مجموع
مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العلم والدعوة والوصايا والتوجيهات والفوائد

المجلد التاسع عشر

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مَجْمُوعُ
مُؤَلَّفَاتٍ وَرَسَائِلَ وَبُحُوثٍ

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
أُسْتَاذُ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا فِي كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ
وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ الْقَصِيمِ

العلم والدعوة والوصايا
والتوجيهات والفوائد

المُجَلَّدُ التَّاسِعُ عَشَرَ

رَتَّبَهُ وَأَعَدَّهُ لِلطِّبَاعَةِ
د. محمد بن عبد الله الطيار

دَارُ التَّدْمُرِيَّةِ

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث
عبد اللّه بن محمد بن أحمد الطيار
العلم والدعوة والوصايا والتوجيهات والفوائد

كل الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العلم والدعوة والوصايا والتوجيهات والفوائد

المجلد التاسع عشر

رتبه وأعده للطباعة

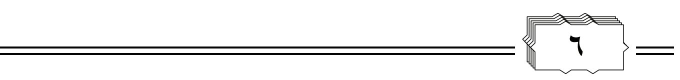
د. محمد بن عبد الله الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم



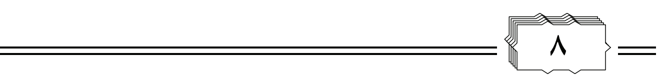
أولاً:

قسم العلم والدعوة





حوار
حول طلب العلم


٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار حول طلب العلم

١ ـ يلجأ بعض طلاب العلم إلى التركيز على الماجستير والدكتوراه والحصول عليها دون الاهتمام بالعلم الشرعي فنود منكم كلمة حول هذا الموضوع؟

٢ ـ هل شهادة الدكتوراه بالعلم الشرعي تجعل صاحبها عالماً بالشرع ومتمكناً منه أم أنها أتاحت لمن يحصل عليها إلى الوصول إلى حد التمكن من العلم الشرعي؟ أرجو التعليق على ذلك.

٣ ـ ما هي السبل التي تجعل طالب العلم يصل إلى درجة التمكن من العلم والإلمام به؟

٤ ـ ما مدى الفائدة التي يجنيها الدارس على يد العلماء في المسجد ودروسهم ومحاضراتهم؟

٥ ـ لا بد من الدراسة على يد أحد العلماء والمشائخ لطلب العلم، ألا يمكن أن تكفي قراءة الكتب لطلب العلم دون اللجوء إلى الدراسة على يد العلماء والمشائخ خصوصاً أن أغلبها قد تم شرحه من قبل على يد المختصين؟



بسم الله الرحمن الرحيم

ج١ ـ للإجابة على هذا السؤال فإننا نقول بأن هناك عدة نقاط لا بد من التحدث عنها:

النقطة الأولى: هو جانب فضل العلم والتعلم:

مما لا شك فيه أن طلب العلم والتعلم من أفضل العبادات والقربات الذي يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات، كيف لا وقد مدح الله أهله بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى في معرض إثبات ألوهيته على خلقه، وأنه تعالى هو المستحق للعبادة، وأنه قد شهد لنفسه بذلك، وكذا ملائكته وأهل العلم به، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

والآيات التي جاءت في بيان فضل العلم وأهله كثيرة؛ بل جاءت آيات أخر تحث على الزيادة منه، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فأمره بالزيادة منه لأنه أشرف مطلوب وبه يتعرف العبد على خالقه ومعبوده جل وعلا.

أما الأحاديث التي جاءت في بيان فضل العلم والتعلم والحث على ذلك فهي كثيرة جداً نذكر منها حديثين:

الأول: وهو قوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، وقوله ﷺ: «**ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**».

النقطة الثانية: في كيفية تحصيل هذا العلم:

فنقول بأن طرق تحصيل العلم في هذا الزمان كثيرة بخلاف الأزمان المتقدمة، فمن طرق تحصيل العلم الجلوس أمام العالم والأخذ منه والكتابة عنه والقراءة عليه وغير ذلك.

ومن الطرق أيضاً الالتحاق بالمدارس النظامية والجامعات والمعاهد العلمية التي تدرس فيها كتب الشريعة.

ومنها أيضاً الاستماع إلى المحاضرات والندوات التي تعقد في المساجد أو في الإذاعات كإذاعة القرآن الكريم فإن فيها النفع الكثير.

ومنها أيضاً سماع الأشرطة التي تتناول شروحات معينة لبعض الكتب أو التي تتناول موضوعاً يهم المستمع ونحو ذلك. فالغرض أن وسائل طلب العلم في العصر الحديث متعددة ولله الحمد.

النقطة الثالثة: وهي رداً على سؤالكم الخاص بتركيز طلاب العلم بالحصول على رسالة الماجستير أو الدكتوراه دون الاهتمام بالعلم الشرعي:

فنقول بأن تقدم البعض للحصول على الماجستير والدكتوراه في العلوم الشرعية أمر محمود شرعاً؛ لأنهما مسلك من مسالك طلب العلم الذي يؤجر عليه صاحبه إذا صلحت فيه نيته، وحسن فيه قصده، قال الإمام أحمد رحمه الله: «طلب العلم لا يعدله شيء إذا صلحت فيه النية».

وكون البعض يريد أن يحصل على هذه الشهادات من أجل عمل وظيفي، أو من أجل الحصول على عائد مادي، فهذا له نيته وقصده، وإن كانوا هم قلة ولله الحمد.

قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..**» (متفق عليه).

ولا شك أن من كان هذا هدفه وغاية مطلوبه فإنه على خطر عظيم

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]. وقد بوب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التوحيد باباً فقال: «من الشرك العمل من أجل الدنيا».

فخلاصة القول في هذا الأمر أنه لا مانع من التركيز على رسالة الماجستير والدكتوراه والحصول عليها إذا كان يريد صاحبها التخصص في فن من الفنون الشرعية؛ كالتخصص في الفقه مثلاً، أو العقيدة أو العلم بالحديث أو التفسير، وغير ذلك من العلوم الشرعية، لكن يستحضر المتخصص في ذلك عظمة وشرف العلم ويجاهد مع ذلك نيته فلا يطلب ذلك من أجل عرض من الدنيا أو رفعة فيها بل يكون مقصوده طلب العلم لله والدار الآخرة.

النقطة الرابعة: وهي نصيحة أسديها للإخوة الذين حصلوا على رسالة الماجستير أو الدكتوراه فأقول لهم:

ليس التعلم الحق أن تحصل على شهادة عالية تحقق لك المورد المالي، أو تضمن لك العيش الرضي ثم تطوي هذه الشهادة وتترك المطالعة والاستزادة بل التعلم الحق أن تستمر في مطالعاتك وتزداد كل يوم علماً وعملاً، قال بعض السلف: «لا تزال عالماً ما كنت متعلماً فإذا استغنيت كنت جاهلاً».

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم».

وقيل لبعضهم: إلى متى تطلب العلم؟ قال: من المحبرة إلى المقبرة. فرحمهم الله، ما أجمل وأنفع أقوالهم.

فنصيحتي لك أيها المتخصص في علم من العلوم الشرعية أو غيرها من العلوم التي فيها نفع للإسلام والمسلمين نصيحتي لك أن تهب اختصاصك كل طاقاتك، وتمنحه جل اهتمامك وتقبل عليه إقبال المسلم المعتقد أن عمله في دائرة اختصاصه فريضة ومن ثم يتوجب عليه أن يتقن العلم الذي اختص فيه كل الإتقان، فلا يدخر وسعاً في الإحاطة بكل ما كتب عنه.

ج٢: الذين يحصلون على شهادة الدكتوراه هم على فئتين:

الفئة الأولى: هم قوم عندهم معرفة بجميع العلوم الشرعية، فتراهم عندهم فقه وعلم بالحديث وكذا علم بالعقيدة، وعلم باللغة وغير ذلك من العلوم الشرعية فهؤلاء وإن تخصصوا في جانب من الجوانب الشرعية إلا أنهم في الحقيقة عالمون بالشرع متمكنين فيه.

الفئة الثانية: هم قوم ليس عندهم إلمام بالعلوم الشرعية سوى التخصص الذي تخصصوا فيه، فتراهم عالمين عارفين به وقد وصلوا إلى حد التمكن فيه فهؤلاء في الحقيقة يكونون أهل علم ومعرفة بما تخصصوا فيه دون غيره.

ج٣: السبل التي تجعل طالب العلم يصل إلى درجة التمكن من العلم والإلمام به كثيرة منها:

أولاً: تقوى الله تعالى فهي من أعظم الوسائل وأشرفها قال تعالى في شأنها: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فبدونها لا يصل الإنسان إلى مطلوبه.

ثانياً: ملازمة العلماء والمشايخ في المساجد من خلال الدروس والندوات والمحاضرات وفي البيوت من خلال زيارتهم والاستفادة من علمهم.

ثالثاً: القراءة مع الزملاء والأصدقاء وطلاب العلم.

رابعاً: حفظ المتون العلمية التي أُلفت في العلوم الشرعية مع دراسة شروح ما حفظه من هذه المتون.

خامساً: كثرة الاطلاع والقراءة الخاصة المرتبة فلا ينتقل مثلاً من كتاب إلى آخر إلا بعد الانتهاء مما في يده.

سادساً: إعداد البحوث العلمية التي يتم فيها تحرير المسائل واستخلاص النتائج مما يجعله يستفيد منها.

سابعاً: المحافظة على الأوقات وذلك بحسن ترتيبها والحرص على استغلالها.

ثامناً: الاستماع إلى ما في الأشرطة من محاضرات وندوات ودروس علمية فهذه أيضاً وسيلة معينة على طلب العلم.

فهذه جملة من السبل والوسائل التي تجعل طالب العلم يصل إلى التمكن من العلم والإلمام به.

ج٤: لا شك أن المسجد هو نقطة الانطلاقة الكبرى في طلب العلم من عهد النبوة والرسالة إلى وقتنا هذا، ولذلك كانت الدراسة فيه أنفع من غيره فأنت ترى أن مستوى العلم في الوقت الحاضر يقل عن مستواه في الوقت السابق وهذا ليس على سبيل التعميم على جميع الناس بأن مستواهم العلمي ضعيف؛ لأنه يوجد ولله الحمد أناس ممتازون في علمهم وعملهم.

لكن الدراسة في المسجد على يد العلماء فيها فوائد عظيمة جداً، فانظر على سبيل المثال علماءنا كالشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمهما الله وغيرهم ممن درسوا في المساجد على يد مشايخهم، وانظر إلى العلم الذي حصلوه من الدراسة في المسجد فتراهم في جميع العلوم قد تمكنوا فيها.

إذاً فالدراسة في المسجد لها نفع عظيم، وفوائد كثيرة لا يمكن حصرها.

وإذا قلنا بأن الدراسة في المسجد هي الأصل، وأن فوائدها عظيمة كثيرة فليس معنى ذلك أننا نقلل من شأن الدراسة المنهجية النظامية، فلا شك أن فيها النفع وهو أيضاً عظيم كما ذكرنا سابقاً ومن أعظم الدلائل على ذلك ما تطالعنا به هذه الدراسة النظامية من طلاب أذكياء ودعاة على علم وبصيرة بهذا الدين يعملون في ساحة الدعوة إلى الله تعالى.

أما ما يدعيه بعض الشباب أن الدراسة المنهجية النظامية قليلة البركة وأنها مضيعة للوقت فهذا خطأ والواقع قد دل على خطأ من يقول هذه المقالة.

والخلاصة في ذلك أن الجمع بين التحصيل الشخصي من خلال قراءة الكتب والقراءة على يد المشايخ والعلماء في المساجد الجمع بينها وبين الدراسة المنهجية من أنفع وأحسن ما يكون.

ج٥: أقول وبالله التوفيق: إن الناس في هذه المسألة أعني مسألة تلقي العلم من أفواه العلماء يكونون فيها على طرفين، فمنهم من يقول لا بد من الدراسة على يد العلماء والمشايخ لطالب العلم ولعلكم أنتم تقولون بذلك، وهذا ما فهمته من خلال سؤالكم.

والطرف الآخر يقول: بأن طلب العلم في قراءة الكتب فقط ولا يتعلق ذلك بالعلماء، فالكتب موجودة ومشروحة، ولا حاجة لي إلى الذهاب إلى المشايخ وغيرهم.

والصواب في هذه المسألة أن كلا الطريقين صحيحان، أعني التلقي من الكتب، والتلقي من أفواه العلماء، لكن لا بد من شرط أساسي في هذين الأمرين وهو سلامة عقيدة لكل من الشيخ والمؤلف؛ أي: أن المؤلف يكون موثوقاً في عقيدته وفي علمه وأمانته وكذلك الشيخ لا بد أن يكون موثوقاً في عقيدته وعلمه وأمانته. لكن تلقي العلم من أفواه العلماء يتميز بثلاثة أمور:

الأول: أنه أضبط وأيسر وأسرع. أضبط من جهة تحرير المسائل، وأيسر من جهة عرض المشروح، فالعالم يأتي لطلابه بأمثلة كثيرة لكي ييسر لهم المطلوب شرحه، وأسرع من جهة أن طالب العلم لا يحتاج إلى البحث والتنقيب في بعض المسائل؛ لأن شيخه حررها وأعطاه إياها جاهزة مع بيان الراجح وغير ذلك، ولهذا كان التلقي على يد العلماء والمشايخ أيسر وأضبط وأسرع.

ثم إن القراءة على الشيخ مع تلقي العلم منه حماية لطالب العلم من الوقوع في الخطأ، ولذا قال بعض السلف: «من كان دليله كتابه فخطأه أكثر من صوابه»، ومن هنا نصح السلف من عدم تلقي العلم ممن جعله شيخه كتابه، فقال: «لا تطلب العلم ممن جعل الصحيفة شيخه».

لكن إذا لم يكن هناك عالم يتلقى طالب العلم من فيه فليقرأ الكتب بالشرط المذكور سابقاً، أعني أن يكون المؤلف موثوقاً بعلمه وأمانته وعقيدته، هذا هو الأفضل والأضبط.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



لقاء حول

العلم والعلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

بدايةً فضيلة الشيخ عبد الله الطيار نريد أن نعرف أثر العلماء على الناس وخاصة في زماننا المتأخر عن القرون المفضلة، وكثرة الفتن التي تتقلب فيها أمة الإسلام.

بسم الله الرحمٰن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإني أشكر مجلة متقن على هذا اللقاء المبارك والذي أسأل الله تعالى أن يجعله نافعاً لنا ولقراء مجلتنا الغراء.. وأقول مستعيناً بالله تعالى:

معلوم أن الإسلام محتاج إلى من يحفظه وينقله وينشره في داخل المجتمع الإسلامي عبر الأجيال، فيعمل على ترسيخ عقائده وسيادة مبادئه ونشر تعاليمه لينفذ إلى القلوب، فيحرك المشاعر، ويفجر في روح المؤمن تلك الطاقة الحية العالية التي تشده شداً محكم الأواصر إلى عقيدته الحقَّة النيّرة وشريعته الكاملة القويمة، وتعمق فيه روح الولاء لأمته القائدة الرائدة التي أكرمها الله ﷻ بهذه الرسالة الهادية.

والدين الإسلامي محتاج إلى من ينقله وينشره خارج المجتمعات الإسلامية، فيعمل على تعميم نوره، وبث ضيائه في الآفاق باعتباره الدعوة العامة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والدين الإسلامي محتاج إلى من يعمل على رد الشبهات عنه، وإحباط المكائد التي تحاك ضده من أعدائه، وبخاصة في الميدان الفكري والثقافي لحرص أعداءه على إقصاء الناس عن الهدى، وصرفهم عن الإيمان، ودفعهم

في مسالك الضلال، ومهاوي الرذيلة، ودروب الغواية، وهذا لا يتحقق إلا بوجود فئة صادقة مخلصة تؤمن بكتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ إيماناً كاملاً، وتستقيم عليه بقدر طاقتها، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك، ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فمن هؤلاء الفئة؟ ومن هم الذين يحملون همّ هذا الدين ويؤمنون به، ويستقيمون عليه؟

إنهم في المقام الأول: العلماء؛ فالعلماء هم الذين يحفظون هذا المنهج الرباني، وينقلونه للأجيال، وينشرونه بين الناس، والعلماء هم الذين يردون الغوى إلى الرشاد، والضال إلى الهدى، والمنحرف إلى صراط الله المستقيم، والعلماء هم الذين يقفون حصناً منيعاً، وسداً متيناً في وجه الظلم والإلحاد، والزندقة والفساد بشتى صوره وأشكاله وألوانه.

فهذه هي وظيفة العلماء وهي الأمانة الغالية التي أناطها الله ﷻ بأعناقهم، وهذا قدرهم وحظهم في هذه الحياة، وبسبب القيام بها فضَّلهم، وشرَّفهم، وكرَّمهم، وأعزَّهم ولو لم يكن في ذلك سوى قوله ﷺ: «**وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء**»[1].

أقول: لو لم يرد في فضل العلماء سوى هذه الكلمات من النبي ﷺ لكفى، فانظر أخي الكريم كيف كرَّم الله ﷻ العلماء العاملين بعلمهم تكريماً لا يسامى ولا يدانى، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه إذا هم قاموا بما أمرهم به، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) رواه أبو داود ١٠/٤٩ رقم (٣١٥٧)، والترمذي ٩/٢٩٦ رقم (٢٦٠٦)، وابن ماجه ١/٢٥٩ رقم (٢١٩)، وأحمد ٤٤/١٩٢ رقم (٢٠٧٢٣)، وابن حبان ١/١٧١ رقم (٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٧).

وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠]، والآيات والأحاديث في فضل العلماء كثيرة جداً ولكن نكتفي بما ذكرنا خشية الإطالة.

فضيلة الشيخ: نرجو منك الإشارة إلى نماذج من تجارب العلماء الذين عايشتهم وتعلمت على أيديهم في طلب العلم.

إن تجارب العلماء كثيرة في طلب العلم، ولكن أكتفي بالإشارة إلى بعض من علمائنا الغائبين الحاضرين وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله رحمة واسعة:

لقد ولد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدينة الرياض وكان مبصراً ثم ذهب بصره بعد عشرين عاماً من عمره، فلم يزده ذلك إلا حرصاً على العلم والتعلم، ولقد حفظ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن الكريم قبل سن البلوغ على يدي الشيخ عبد الله بن مفيريح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض، ومنهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ رحمهما الله وغيرهم.

ولقد لازم الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجلس الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحضر كل ما كان يقرأ عليه من الكتب الشرعية، ثم قرأ عليه جميع المواد التي درسها في الحديث والعقيدة، والفقه، والنحو، والفرائض، والتفسير، والتاريخ، والسيرة النبوية نحواً من عشر سنوات، وكان سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروفاً بالتقى والورع، والمسارعة في الخيرات، والمواظبة على الطاعات، ولقد اجتمعت في سماحة الشيخ ابن باز عدة صفات لا تكاد تجتمع في رجل واحد إلا في القليل النادر، ومن أبرز تلك الصفات: الإخلاص، والتواضع الجمّ، والحلم، والجلد والتحمل، والطاقة العجيبة حتى مع كبر سنه، والأدب المتناهي، والذوق المرهف، والكرم والسخاء الذي لا

يدانيه فيه أحد من أهل زمانه، والسكينة العجيبة، والذاكرة القوية، والهمة العالية، والعزيمة القوية، والعدل في الأحكام، والثبات على المبدأ وعلى الحق، وغير ذلك من الصفات الكثيرة التي تحتاج إلى أوراق كثيرة، ولقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصاً على السنة مطبقاً لها في كل شؤون حياته، ولقد تولى رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديد من الأعمال في خدمة الإسلام والمسلمين، ومنها الاهتمام العظيم بالعلم وتعليمه، والحرص البالغ على الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإجابة الفتاوى، والتعاون مع أهل العلم فيما فيه نفع للإسلام والمسلمين، وإرسال الدعاة وكفالتهم، ودعم الجهاد الإسلامي، والكتابة في الصحف، والرد على المخالفين، وإلقاء الدروس والمحاضرات والندوات، وإلقاء الكلمات والدروس والبرامج الإذاعية، وغير ذلك من الأعمال التي تحتاج إلى رجل في مثل همة الشيخ وإخلاصه، ولقد ترك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات عديدة نفع الله بها الكثير من المسلمين.

فهذه نبذة مختصرة عن حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإلا فنحن نحتاج إلى مجلدات كثيرة لتسطير سيرته رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ومن هؤلاء أيضاً: سماحة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ولد في مدينة عنيزة، ولقد بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم، ثم قرأه على جده لأمه عبد الرحمٰن بن سليمان آل دامغ، ثم اتجه إلى طلب العلم، وبدأ بتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الأدب، ولقد ظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء، وصاحب ذلك همة عالية وحرص شديد، وكان وقتها معاصراً لشيخه عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاعتنى به عناية خاصة، فبدأ بحفظ بعض المختصرات من كتب الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، والشيخ علي بن حمد الصالحي، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، والشيخ عبد الرحمٰن بن علي بن عودان رحمهم الله جميعاً فحصل له خير كثير من هذه المجالس في العقيدة والفقه والنحو وغيرها من العلوم، ثم انتقل رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى معهد الرياض العلمي وتخرج منه، واستفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من وجوده بالرياض.

فجلس يتعلم على سماحة الشيخ ابن باز، والشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمهما الله.

ودرَّس في كلية الشريعة منتسباً ثم عاد إلى عنيزة ليدرس في المعهد العلمي، ثم انتقل منه إلى جامعة الإمام محمد بن سعود بالقصيم للتدريس فيها، ثم عين عضواً في هيئة كبار العلماء، وكان يخطب في المسجد الجامع الكبير في عنيزة.

ولقد عاش رحمه الله حياة حافلة بالعلم والتعليم والإفتاء، وجلس الشيخ رحمه الله للتدريس في المسجد الكبير بعنيزة بعد أن رحل الشيخ ابن سعدي رحمه الله، ولقد كانت دروسه رحمه الله في مختلف العلوم الشرعية والعربية والسيرة، وتوافد إليه الطلاب من داخل المملكة وخارجها، وكان يعتني رحمه الله بطلابه أشد الاعتناء، وكان رحمه الله يتسم بسمات كثيرة جعلته يتبوأ مكانة عالية بين المسلمين، فقد كان يعتني بالعلوم الشرعية من التفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصوله والفرائض وغيرها، وكان يعتني بالدليل وبناء الحكم عليه، والاستنباط منه ليكون ذلك أكثر طمأنينة للعالم والمتلقي، وكان يعتني أيضاً بالمتون وشرحها وتوضيحها وتقريبها للمتعلمين، وعناية بكثرة المراجعة والتكرار للأبواب والفصول ليكون ذلك أدعى لثباتها عند طلبة العلم، وكان يستغل وقته ويحرص عليه فيما ينفع المسلمين وغير ذلك من سماته المعلومة للجميع.

ولقد خلَّف الشيخ رحمه الله مؤلفات كثيرة اشتهرت بين المسلمين في مجالات متعددة منها المسموع والمكتوب في العقيدة والتفسير والفقه والحديث والأخلاق والسلوك والمعاملات وغير ذلك، فنسأل الله تعالى أن ينفع بعلمهما وأن يسكنهما فسيح جناته، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته ووالدينا وجميع المسلمين.

فضيلة الشيخ: اذكر لنا شيئاً من مؤلفاتك وسبب تأليفها؟

أول ما كتبت وألفت في حياتي العلمية رسالة الماجستير (خيارا المجلس والعيب في الفقه الإسلامي) حيث وجدت أن هذا الموضوع يحتاجه كثير من المسلمين، ولم أجد من تكلم فيه إلا القليل في بطون أمهات الكتب،

والحمد لله على توفيقه، وكانت فاتحة خير لي، ومن ضمن ما ألفت أيضاً رسالة الدكتوراه (البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق) حيث أن هذا الموضوع يمس جانباً هاماً في حياة المسلمين وخاصة مع انتشار البنوك والمعاملات الربوية، ولقد امتن الله عليّ بأن قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض مشكورة بطباعة هذه الرسالة ونشرها عن طريقها، سائلاً المولى جل وعلا أن ينفع بها، ومن ضمن مؤلفاتي أيضاً العديد من الكتب المهمة التي يحتاج إليها المسلم والمسلمة في حياتهما اليومية في فقه المعاملات، وفي العقيدة، وفي الأخلاق، وفي المعاملات، والله أسأل أن ينفعني بها وإخواني المسلمين، وأن يجعلها ذخراً لي في حياتي وبعد مماتي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فضيلة الشيخ: يختلف طلاب اليوم عن طلاب الأمس في طلب العلم، فما تقول لطلاب اليوم؟

لقد كان طلاب الأمس يشحذون هممهم ويوجهون جهدهم لما فيه خيرهم في العاجل والآجل، فلم تشغلهم الدنيا عن الآخرة، وكانوا يتصفون بالإخلاص والنية الصالحة، والصدق في الطلب، والهمة العالية في التحصيل، والحرص على الانتفاع بالوقت، فلم تكن تصرفهم الدنيا عن طلبهم العلم، ولقد كانوا أشد الناس عناء في طلبهم للعلم، فلم يكن يتيسر لهم طلب العلم كما نعيشه نحن الآن، إنما كانوا يكابدون الساعات والأيام ويقطعون الوديان والقوافي من أجل طلبهم للعلم، وأما طلاب اليوم فقد ألهتهم الدنيا بانفتاحها عليهم، وانشغلوا بأمور كثيرة من حيث العمل والبيت وغيره، ولكن هناك سلبيات كثيرة وقع فيها طلاب اليوم، ومن ذلك عدم الحرص على الوقت، وذلك بتضييعه فيما لا ينفع، مثل الزيارات الكثيرة بين طلاب العلم بدون الاستفادة من هذه المجالس فيما يعود عليهم بالفائدة من القراءة في بعض كتب أهل العلم، أو مناقشة بعض الموضوعات أو المسائل المهمة، وأيضاً الاشتغال بأمور مفضولة وهو أن يكتفي طالب العلم بنتف من الفوائد حصّلها من قراءة له، ثم يدخل الشيطان عليه مدخلاً ويقول: أنت خير من غيرك فروح

عن نفسك، فيجعل مدة الترويح أضعاف مدة الفائدة التي حصّلها.

أيضاً: إضاعة كثير من الأوقات الهامة وخاصة بين الأذان والإقامة، وبعد صلاة الفجر وغيرها كثير، فإذا ضاع كل هذه الوقت مع الوقت الضائع بسبب العمل أو البيت أو الأهل فماذا سيحصل طالب العلم من هذا الوقت القصير، أيضاً: رغبة كثير من طلاب العلم عن حضور مجالس العلماء والاستفادة منها والنهل من ينابيع الحكمة من أفواه العلماء والاستفادة منهم، بل الكثير منهم ربما لا يحرص على سماع شريط في سيارته، أو القراءة في كتاب من الكتب الشرعية، لذلك ضعفت الهمة، ولتعلق الكثير بالدنيا وملذاتها، وقلَّ الإخلاص فقلَّ التحصيل للعلم، وضاعت الأعمار هباء منثوراً، فلم ينتفع طالب العلم مما علمه ولم ينفع غيره به.

وأقول لطلبة اليوم: إن النبي ﷺ بشَّر الذي يسلك طريق العلم بالجنة «**ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله طريقاً إلى الجنة**» رواه مسلم، فمن أراد الجنة فعليه أن يسلك طريق العلم الشرعي الذي يكون عوناً له بعد الله تعالى في الثبات على الطريق المستقيم، ويكون زاداً له في الدعوة إلى الله وتعليم الناس الخير، وينبغي على طلاب اليوم أن يستحضروا أموراً مهمة في طريقهم هذا، وأول هذه الأمور: الإخلاص في طلب العلم، وثانياً: حضور مجالس العلماء ومزاحمتهم بالركب، وثالثاً: الاستفادة مما يتعلمه فيسجله في دفتره ويداوم على حفظه ومراجعته، رابعاً: الاعتماد على الله تعالى والاستعانة به في تحصيله العلم الشرعي، وخامساً: الحذر من اليأس وخاصة كثير من طلبة العلم إذا لم يحصل ما أراد البحث عنه ترك طلب العلم، وهذا عجز لا ينبغي منه، سادساً: الاستفادة من أخلاق من يتعلم منهم، سابعاً: تنظيم الوقت بين طلب العلم والمسؤوليات الأخرى، ثامناً: النظر في الأولويات من حيث منهجية طلب لعلم فيبدأ بالأهم فالأهم، تاسعاً: عدم الكبر والغرور والحسد مع من يتعامل معهم وخاصة شيوخه وأساتذته، عاشراً: نشر ما يتعلمه بقدر استطاعته، وما يثبت العلم في العقول والأفئدة إلا بتعليمه للغير، وأخيراً عليه أن يعلم أنه بطلبه للعلم يكون من ورثة الأنبياء والمرسلين، فالأنبياء والمرسلين

لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

نسأل الله الكريم من فضله، وأن يجعلنا من أهله المخلصين الصادقين، وأن يحشرنا في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



رسالة إلى

المعلمين والطلاب

(تنشر لأول مرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعلمون حفظكم الله قرب بدء الدراسة، فنلتمس منكم توجيه كلمة حول العلم والمعلم، يستفيد منها المعلمون والطلاب والطالبات.. سدد الله خطاكم، ورفع درجاتكم في الجنات.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ففي يوم السبت القادم ينطلق حملة العلم وقادة التوجيه، وموجهو شباب الأمة وفتياتها على كل مستوياتهم، يحدوهم الأمل وهم رواد التربية وقادة التعليم، يلتقي أولئك المعلمون والمعلمات وهم مشاعل الهدى الذين يضيئون المصابيح للجيل الصاعد.

كم من أب وأم ينتظران هذا اليوم بفارغ الصبر لأن لهم ابناً أو بنتاً سيبدأ رحلته التعليمية بعد أن كان مقيد البيت لا يحسن البعد عن أمه، كم يفرح الأبوان وهما يريان الولد والبنت يحملان الحقيبة في الصباح الباكر بهمة وعزيمة، وعجلة الزمن تتسارع في أذهانهما وهما يفكران في تقدم الولد والبنت في الدراسة وتخرجه، ثم كونه رجلاً أو امرأة يأمر وينهى ويعمل ويوجه، وقد أخذ مكانه في المجتمع كغيره من الناس. وبهذه المناسبة فإني أوجه كلمتي إلى كل من المسؤولين عن التعليم في كل بلد، وإلى المعلمين والطلاب وأولياء أمورهم فأقول:

أولاً: إلى كل مسؤول عن الناشئة في المدارس؛ المدير، والوكيل، والمرشد، وهكذا مدارس البنات؛ أقول لهؤلاء: أنتم مسؤولون أمام الله؛ لأن قيادة المدرسة بأيديكم، والمسؤولية مضاعفة بقدر الموقع والعلم، ولذا لا بد من إدارة المدرسة بإخلاص وصدق، وتفان، وأداء للأمانة على الوجه

الأكمل، وأن يكون المسؤول قدوة في الانضباط والدوام، والأخلاق؛ لأن المعلم سيقتدى به، وكذلك الطالب وعلى قدر مراقبة الله وتقواه يكون النجاح في العمل، وتتحقق الثمرات المرجوة من الدراسة، ومن أهم ما أوصيكم به الدقة في معالجة الأخطاء، وعدم تحجيم الأمور، واغتفار زلات بعض المعلمين بجانب حسناتهم الكثيرة، فذلك يجعلهم يعطون بلا حدود.

ثانياً: إلى أساس العملية التعليمية وهو المعلم، أقول له: أنت أكثر الناس حساسية في هذا الباب، فمنك يبدأ الإصلاح، وبك يرتفع البناء، وعلى كاهلك تصنع المعجزات، أنت فارس العملية التربوية، وراسم بنائها، عملك من أشرف الأعمال، وأفضلها، وأصدقها، ألا تعلم أنه عبادة لله يفوق نافلة الصوم والصلاة إذا أحسنت النية، وصدقت في العزيمة، وقمت بالواجب خير قيام، أنت القدوة لطلابك، فكن محبوباً عندهم، احرص على أن تصل إلى عقولهم وقلوبهم بأقصر طريق من أجل أن يتقبلوا المعلومات ويحفروها في أذهانهم، أخلص في أداء عملك لأن ثمرة إخلاصك لا تعود عليك وحدك، بل تجني ثمارها الأمة جمعاء، وانظر إلى واقع بعض المعلمين!! كم تبقى ذاكرتهم عطرة عبر السنين لا تزيدها الأيام إلا رونقاً وجمالاً، ولا يؤثر فيها تباعد الليالي إلا محبة ودعاء.

ثالثاً: إلى ولي الأمر ومن منا ليس له ولد أو بنت في المدرسة، وهل هناك أحد أحرص من الوالد على أولاده.

إذاً علينا التعامل معهم في مدارسهم مثل معاملتنا معهم في البيت، فكما أننا لا نقصر في مطالبهم وحاجياتهم فكذلك في مدارسهم علينا متابعة مسيرتهم وزيارة أساتذتهم، ومعرفة أخبارهم، والتعاون مع المدرسة عبر القنوات المتاحة من أجل رسم مستقبل زاهر لفلذة كبدك، وهكذا تابع مسيرة البنات عن طريق الزوجة والاتصال، ودفتر الواجبات فهن يقضين ثلث الوقت في المدرسة، فكن على علم بتفاصيل هذا الوقت، وكيف تقضيه البنت مع من تجلس، وماذا تقرأ؟ وبهذا تؤدي الأمانة المتوسطة بك على الوجه الذي يسرك يوم العرض على الله.

رابعاً: إلى كل طالب، وهم زينة الحاضر، وأمل المستقبل، إلى من تبذل هذه الجهود من أجله، بل إن أقطاب العملية التعليمية تعمل من أجل سواد عينيه، فكم من الأموال والأوقات، والجهود تبذل من أجل سعادتهم، ورسم مستقبلهم، فهل يراعي الطلاب ذلك، ويجتهدوا في قطف ثمرة كل هذه الجهود، ويبتعدوا عن سفاسف الأمور، وسيء الأخلاق، ويختاروا الأصدقاء الطيبين الذين يعينون على الخير، ويشجعون عليه، ويكونوا خير من يعين الأساتذة والمرشدين على أداء علمهم، بمعاونتهم ودلالتهم على مكامن الداء، لا سيما أن الطلاب يعرفون من زملائهم ما لا يمكن أن يقف عليه المدير والمرشد.

وأوصي كل طالب وطالبة بتقدير المعلمين والمعلمات، والتفاعل معهم، وأداء الواجبات المطلوبة على خير وجه، كما أوصيهم ببر أبويهم، والقيام بحقوقهم فذلك بركة في الأعمار، وسعة في الأرزاق، وصلاح في الذرية.

جعلكم الله مباركين أينما كنتم، ونفع بكم البلاد والعباد، وأجزل الأجر للمعلمين والمعلمات، وجعل ما يقدمون من علم وتوجيه وتربية في ميزان حسناتهم، وجمعنا بهم ووالدينا وذرياتنا في جنات النعيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



أهمية العلم
للمرأة المسلمة

(تنشر لأول مرة)

أهمية العلم للمرأة المسلمة

الحمد لله القائل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

والقائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

والقائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

والصلاة والسلام على معلم البشرية الخير القائل في سنّته الغراء: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**».

والقائل: «**العلماء ورثة الأنبياء**»، والقائل: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**».

وبعد: فالحديث، أهمية العلم للمرأة، حديث ذو شجون لأن المرأة صاحبة العطاء والموجهة في البيت هي المدرسة والقدوة:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعاهده الحيا ... بالري أورق أيما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الأُلى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

لقد أمر الله بالنفور لطلب العلم والحرص عليه قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] وشجع رسولنا على طلب العلم وسلوك طريقه فقال: «**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع**».

وقال ﷺ: «**من خرج في طلب العلم فهو سبيل الله حتى يرجع**».

لكن أيتها الأخوات ما هو هذا العلم الذي جاء فضله في كتاب الله

وسنّة رسوله وما نصيب المرأة منه إنه العلم الشرعي الذي يعود طالبه رجلاً أو إمرأة بالخير والبركة في الدنيا والآخرة.

لقد اعتنى الإسلام منذ عصوره الأولى بمسألة تعليم المرأة وطلبها للعلم الشرعي النافع فقد كانت أم المؤمنين عائشة رضوان الله عنها وعن أبيها تروي أحاديث رسول الله ﷺ وتبلغها للصحابة وتجيب على ما يشكل على الصحابة من أحوال الرسول ﷺ مع أهله وداخل بيته وكانت تبيِّن وتوضح ما يستحي الرجال من بيانه مما يشكل على النساء وتحتاج إليه.

ولعل من الأدلة على عناية المرأة بالعلم الشرعي مخاطبة تلك المرأة لرسول الله ﷺ حينما قالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي فيه تعلمنا مما علمك الله؛ فقال ﷺ: «**اجتمعن يوم كذا وكذا**» فاجتمعن فجاء رسول الله فعلمهن مما علمه الله.

وفي العصور المتأخرة يسر الله جل وعلا التعليم للمرأة ففتحت المدارس والمعاهد والجامعات والكليات لكن هل النتائج بقدر ما أتيح من الفرص؟ الواقع يقول لا؛ فالمتأمل في حالة الفتاة يرى أن المتعلمات على أقسام:

الأول: فتيات درسن ثم تزوجن وتركن العلم والدراسة وكل ما يتصل بهما من الوعي والثقافة الشرعية حتى القراءة المجردة لا تقرأ بعض الفتيات والعذر هو الإنشغال بالبيت والأولاد لكن الجلسات واللقاءات والعلاقات الاجتماعية حدث عنها ولا حرج والحديث عن الموضات والأزياء والبعض تجلس الساعات خلف شاشات الفضية دون فائدة تذكر.

الثاني: فتيات تعلمن ودرسن وتزوجن وتوظفن ولكن حدودها الوظيفة فبعدها تركن القراءة والمطالعة والعلم وحب الفائدة والخير وهذا القسم في الغالب مشغول بوظيفته وليس له نصيب من العلم الشرعي لا قراءة ولا سماع أشرطة علمية هادفة.

الثالث: فتيات تعلمن ودرسن وتخرجن لكنهن يعتبرن أنفسهن مثقفات العصر وهن اللآتي جمعن المجلات من كل مكان والروايات والقصص الغرامية وكل شيء وغريب ومستورد فهو زاد لهؤلاء وهذه الثقافة المزعومة

طريق إلى الهاوية وأمثال هذه النساء أضر على المجتمع من أعدائه وفتياتنا ولله الحمد يجللهن الحياء ويقويهن الرجاء ولا يرضين إلا بالتدين مسلكاً وصدق القائل:

ومن رضي الحياة بغير دين   فقد جعل الفناء له قرينا

وهذه الثقافة الغربية سبب للفحش والعري والاختلاط وإذا سبرنا حال المرأة المسلمة في كثير من البلاد الإسلامية وجدنا ذلك واضحاً للعيان.

ووصيتي إليك أيتها المرأة العاملة أن تعتني بما يأتي:

١ ـ كتاب الله تعالى:

أول العلوم وأصلها وأساسها كتاب الله فعليك بقراءته والتدبر في آياته والتفكر في قصصه وعظاته...

واغتنام الأجر والثواب فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف فهذه ثلاثون حسنة في ثلاثة أحرف.

وصدق القائل:

سمعتُك يا قرآن والليل غافل   سريت تهز القلب سبحان من أسرى

فتحنا بك الدنيا فأشرق صبحها   وطفنا ربوع الكون نملؤها أجرا

٢ ـ سنة الرسول ﷺ:

المطلوب منك أيتها الأخت الاطلاع على سنة رسول الله وحفظه ما استطعت منها وسنته كل قول أو فعل أو تقرير وصدق الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣ ـ العقيدة: (التوحيد):

وهو من أشرف العلوم وأرفعها بعد الكتاب والسنة وهذا العلم يربط المرأة بخالقها ارتباطاً خالصاً لا تشوبه شوائب.

فكم نحن بحاجة إلى دراسة العقيدة صافية خالصة مما ابتدعه الناس وأحدثوه والإنسان بلا عقيدة كالبهيمة لا يشعر بشيء ولذا نعى الله على الكفار وأخبر أنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

فالذي لا يكون على معتقد صحيح يجري وراء الشهوات والملذات دون رادع أو وازع وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

٤ ـ علم التفسير:

وهذا العلم طريقك إلى فهم كتاب الله فيحسن الاطلاع على كتب التفسير ولا سيما الموثوقة منها المختصرة ومن أجمل ما وقفت عليه وأخصره وأسهله وأنسبه للفتاة المسلمة تفسير ابن السعدي رحمه الله.

٥ ـ علم الفقه:

وهذا العلم تعرفين من خلاله ما يهمك من الأحكام في عباداتك ومعاملاتك وعلاقاتك ولعل هذا العلم هو أكثر العلوم حاجة عملية إذ تحتاجه المرأة في كل حين لا سيما أحكام الحيض والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعلاقة مع الزوج والأقارب والناس جميعاً.

أنسب الطرق لطلب العلم الشرعي:

١ ـ قراءة الكتب الإسلامية...

٢ ـ استماع الأشرطة النافعة ...

٣ ـ الدروس العلمية وحضورها دورياً.

٤ ـ الندوات والمحاضرات وحضورها باستمرار .

٥ ـ الحرص على قدوة صالحة من أهل الخير والفضل والعلم وإن تيسر من بنات جنسك فهو أولى وأحرى وأحسن.

أثر العلم الشرعي على المرأة:

له آثار على نفسها، على بيتها، على أولادها، على علاقاتها مع الآخرين.

ويظهر ذلك جلياً في حياة المصلحات توجيهاً وتعليماً وتربية للبنات...

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



كتاب

أثر العلماء

في توعية المجتمعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد: فإن العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليها حياة الأمة بمجموعها وآحادها فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها بحيث لو فاتت تلك المصالح الضرورية لآلت حال الأمة إلى الفساد ولحادت عن الطريق الذي أراده لها الشارع، ولذا جاء الحث على العلم والاهتمام به والترغيب في طلبه في نصوص كثيرة متضافرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**»[١] ولعل سن الشباب هي خير ما يؤهل فيه الشاب لطلب العلم، وقد

(١) رواه البخاري، كتاب العلم ١/ ١٢٥ رقم (٦٩) ومسلم، كتاب الزكاة ٥/ ٢٤١ رقم (١٧٢١).

يعجز عن إدراك الشيء بعد ما تتقدم به السن لكثرة العوارض والمشاغل وصدق الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذ يقول: «طلب العلم في الصغر كالنقش على الحجر».

وقال علقمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أمَّا ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاسته أو ورقه».

وأوصى لقمان ابنه قائلاً: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء».

وقال الشاعر:

نعم المؤانس والجليس كتاب ... تخلو به إن ملَّك الأصحاب
لا مفشياً سراً ولا متكبراً ... وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر:

واعلم بأن العلم أرفع رتبةً ... وأجل مكتسب وأسنى مفخر
فاسلك سبيل المقتنين له تسد ... إن السيادة تقتنى بالدفتر
والعالم المدعو حبراً إنما ... سماه باسم الحبر حمل المحبر
وبضّمر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضُمَّر

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان العلم أشرف الأشياء لم يحصَّل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة».

ولا بد من الأدب مع العلماء واحترامهم وبيان محاسنهم؛ فهم الشموع المضيئة، والأعلام الهادية، والأدلاء على الخير.

هم بحر الأمة الدافق، وقلبها النابض، وبلسمها الشافي، هم أهل الصلاح والتقى، أهل الطاعة والعبادة.

وما أحقر بعض الأقزام من أهل الأهواء الذين لا يعرفون للعلماء قدرهم، فيغمزونهم، ويلمزونهم، ويتطاولون عليهم، وما علم هؤلاء أنهم يطعنون الأمة في أعز ما تملك، بل في رصيدها الحقيقي وهم العلماء الذين يعتبر تقديرهم واحترامهم والأدب معهم من صميم ولوازم عقيدة المسلم، ونحن مأمورون حال الاختلاف بالالتفاف حول الكتاب والسنة والرجوع إلى

العلماء الربانيين الذين ينهلون من معين الوحيين، وكلّما ابتعد الشباب عن علمائهم تقاذفتهم الأهواء، وفرّقتهم الولاءات والانتماءات، وابتعدوا عن الصراط المستقيم الذي ندعو الله صباح مساء أن يهدينا إليه ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

فالواجب علينا تجاه علمائنا ـ وهم تاج علماء الأمة الإسلامية في هذا الزمان ـ أن نَصْدُر عن أقوالهم ولا سيما في قضايا الأمة العامة وما يهمها في أمر دينها ودنياها، ولا سيما ونحن نرى مؤامرات الأعداء تحيط بنا من كل حدب وصوب، كل همهم تفريق صف الأمة، وتوهين قوتها، والسعي لإبعاد الشباب عن علمائهم.

وما ضلت أمَّة أعلت قدر علمائها، وتمسكت بمنهجهم، وجعلتهم في مقدمة الركب يقودون سفينة المجتمع إلى شاطىء السلامة لئلا تعصف بها رياح الأهواء والاختلافات التي مزقت الأمة وأضعفتها، وجعلت ولاءها لغير الله ورسوله والمؤمنين.

ووصيتي لنفسي والناس عامة والشباب خاصة أن يلتزموا بأدب الإسلام في انتقاء أطايب الكلام، واجتناب الجرح والسب، والإيذاء بالغمز والهمز واللمز.

وخير ما يعين على ذلك سلوك طريق العلماء الموثوقين الذين لهم قدم راسخة في العلم وهم في بلاد الحرمين تاج علماء الزمان، فليلزم الشاب غرزهم، وليسلم من طرائق الأهواء، ومزالق الشيطان، ومضلات الفتن، ويبتعد عن الولاء لغير الله ورسوله والمؤمنين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المؤلف
عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
الزلفي: ٨/ ١١/ ١٤٢٧هـ
ص. ب: ١٨٨ ـ الرمز البريدي: ١١٩٣٢

شريعة الإسلام

المتتبع لنصوص الكتاب والسنة المطهرة واجتهادات علماء المسلمين العباقرة المتمثلة في كتب الفقه الإسلامي وغيرها يجد مصداق ذلك واضحاً جلياً، والأخلاق الإسلامية جاءت كذلك كاملة شاملة حيث أنها لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية جسمية أو روحية دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية إلا رسمت له المنهج الأمثل في السلوك الرفيع، ووضعت له الدستور القويم الذي يحقق إنسانية الإنسان في أتم وأكمل صورها.

وإذا أردنا أن نجمع صورة كاملة لذلك فعلينا بالنظر في مصدري الإسلام العظيمين كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وفي علاقة الإنسان بالكون والحياة، وفي علاقته بنفسه جسماً أو روحاً أو عقلاً أو ضميراً أو وجداناً وإحساساً، وفي علاقته بأسرته أباً أو أماً، أو ابناً أو أخاً أو زوجاً، وفي علاقته بأنظمة الحياة الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو السياسية أو الدينية، في ذلك كله وفي غيره من حالات الإنسان نجد التشريع الأخلاقي في الإسلام الحنيف قد رسم الطريق في وضوح وشمول.

لقد شاء الله ﷻ للدين الإسلامي الحنيف أن يكون منهجاً إلهياً ربانياً كاملاً شاملاً، عاماً خالداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها شاء ﷻ أن تكون هداية الله ﷻ للناس كافة.

من كل الأمم ومن كل الطبقات، ومن كل الأفراد، ومن كل الأجيال.

ولقد أفاض العلماء قديماً وحديثاً في وصف الإسلام الحنيف بصفات الجلال والكمال لما بهرتهم أنوار عظمته، وغمرتهم بحار علمه وهدايته وقدسيته، وحسبنا هنا إيراد بعض ما قاله عَلَمٌ من هؤلاء الأعلام وهو الإمام

ابن القيم ـ عليه رحمة الله ـ حيث يقول في وصف الشريعة الإسلامية: «فإن الشريعة معناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالحُ كلها، وحكمةٌ كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه، وظلِّه في أرضه، وحكمته الدالة عليه، وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهُداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤُه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قُرة العيون، وحياةُ القلوب، ولذةُ الأرواح، وبها الحياة، والغذاء، والدواء والنور، والشفاء، والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خَرابَ الدنيا وطيّ العالم رفع إليه ما تبقى من رسومها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة»[١].

وقال ـ عليه رحمة الله ـ في موضع آخر: «الحمد لله الذي نزه شريعته عن التناقض والفساد، وجعلها كفيلة وافية بمصالح خلقه في المعاش والمعاد، وجعلها من أعظم آياته الدالة عليه، ونصبها طريقاً مرشداً لمن سلكه إليه، فهو نوره المبين، وحصنه الحصين، وظله الظليل، وميزانه الذي لا يعول، لقد تعرّف بها إلى ألبَّاء عباده غاية التعرف، وتحبب بها إليهم غاية التحبب، فأنسوا بها منه حكمته البالغة، وتمت بها عليهم منه نعمه السابغة، ولا إله إلا الله الذي في شرعه أعظم آية تدل على تفرده بالإلهية، وتوحده بالربوبية، وأنه

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ٣/٣.

الموصوف بصفات الكمال، المستحق لنعوت الجلال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى وله المثل الأعلى، فلا يدخل السُوء في أسمائه، ولا النقصُ والعيبُ في صفاته، ولا العبثُ ولا الجورُ في أفعاله، بل هو منزهٌ في ذاته وأوصافه وأفعاله وأسمائه عما يضاد كماله بوجه من الوجوه، تبارك اسمه، وتعالى جده، وبهرت حكمته وتمت نعمته، وقامت على عباده حجته.

والله أكبر كبيراً أن يكون في شرعه تناقض واختلاف، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، بل هي شريعةٌ مؤتلفةُ النظام، متعادلةُ الأقسام، مبرأةٌ من كل نقص، مطهرةٌ من كل دنس، مسلمةٌ لاشية فيها، مؤسسةٌ على العدل والحكمة، والمصلحةُ والرحمةُ قواعدها ومبانيها، فهي صراطه المستقيم الذي لا أمت فيه ولا عوج، وملته الحنيفية السمحة التي لا ضيق فيها ولا حرج، بل هي حنيفية التوحيد، سمحة العمل، لم تأمر بشيء فيقول العقل لو نهت عنه لكان أوفق، ولم تنه عن شيء فيقول الحجى لو أباحته لكان أرفق، بل أمرت بكل صلاح، ونهت عن كل فساد، وأباحت كل طيب، وحرمت كل خبيث، فأوامرها غذاء ودواء، ونواهيها حمية وصيانة، وظاهرها زينة لباطنها وباطنها أجمل من ظاهرها، شعارها الصدق وقوامها الحق، وميزانها العدل وحكمها الفصل، لا حاجة بها البتة إلى أن تكمل بسياسة ملك أو رأي ذي رأي، أو قياس فقيه، أو ذوق ذي رياضة، أو منام ذي دين وصلاح، بل لهؤلاء كلهم أعظم الحاجة إليها، ومن وفق منهم للصواب فلاعتماده وتعويله عليها، فقد أكملها الذي أتم نعمته علينا بشرعها قبل سياسات الملوك، وحيل المتحيلين وأقيسة القياسيين، وطرائق الخلافيين، وأين كانت هذه الحيل والأقيسة، والقواعد المتناقضة، والطرائق القدد وقت نزول قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؟

وأين كانت يوم قوله ﷺ: «**لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[١]، وقوله ﷺ: «**ما تركت من شيء**

(١) رواه ابن ماجه ١/ ٥٠ رقم (٤٣)، وأحمد ٧/٣٥ رقم (١٦٥١٩)، والحاكم ١/ ٣٢١ رقم (٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٦٩).

يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أعلمتكموه[(١)]»[(٢)(٣)].

ومهما قال القائلون في وصف الإسلام الحنيف ورسالته الخالدة.

وشريعته الغراء فلن يبلغوا عشر معشار ما وصفه به رب العزة ﷻ إذ هو منشئه ومصدره ومنزله، فهو أعلم به علم إحاطة وشمول يناسب علمه المحيط الذي لا يمكن أن تدركه البشرية جمعاء ولا أن تحيط به عقولها القاصرة.

لقد وصفه جل جلاله ووصف كتابه ـ القرآن الكريم أصل الدين الإسلامي الأول وقطب رحاه ـ بجملة من الصفات العامة التي يفنى الزمان ولا تستطيع أن تحيط بكنهها العقول.

وإليك طائفة من هذه الصفات نزجيها على سبيل التمثيل لا الحصر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٢٥ ولفظه: «إلا قد بينته لكم»، ولم أقف على صحته.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ٣/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) وروي نحوه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه..**» رواه ابن أبي شيبة ٨/ ١٢٩، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٦/ ٣١٠ رقم (٩٩٨٩) واللفظ له، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦/ ٨٦٥ رقم (٢٨٦٦).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

يمثل الإسلام للمجتمع المسلم ولكل فرد فيه العقائد الصحيحة، والقيم الفاضلة، والمبادىء الشريفة، والأخلاق النبيلة، والشرائع الميسرة الطاهرة، فالإسلامُ إذن قوام شخصية المجتمع المسلم، وحقيقة هويته، ومصدر شرفه وفضيلته، وسبب كرامته، وطريق حريته من عبودية الناس بإخلاص العبودية، وما من منهج في الأرض يحقق هذه الخاصيّات لمعتنقيه سوى الإسلام العظيم.



التحديات التي يواجهها الإسلام داخلياً وخارجياً

منهج الإسلام الكامل الشامل العظيم يتعرض لتحديات كثيرة في مسيرة الحياة تحديات من داخل المجتمع الإسلامي نفسه، وتحديات من خارج المجتمع الإسلامي، فأما التحديات من داخل المجتمع الإسلامي فتتجسم في الخروج والتمرد عليه جزئياً أو كلياً افتياتاً عليه واتباعاً للأهواء الجامحة والجهالات المردية.

وأما التحديات التي من خارج المجتمع فتتمثل في المحاولات المستمرة والمستميتة من أعدائه للقضاء عليه بإثارة الشبهات والشكوك حوله، ورميه بأبشع التهم، وطعنه بسهام الحقد والكراهية، وأبشع ألوان الطعون، ومن ثمّ كان الإسلام الحنيف ـ ومنذ نزل ـ في معركة دائمة، ومستمرة، ومتجددة، ومستميتة، ومتعددة الجوانب في كل زمان ومكان.



احتياج الإسلام إلى من يواجه به التحديات الداخلية والخارجية

الإسلام محتاج إلى من يحفظه وينقله وينشره في داخل المجتمع الإسلامي عبر الأجيال، فيعمل على ترسيخ عقائده وسيادة مبادئه ونشر تعاليمه لينفذ إلى القلوب، فيحرك المشاعر، ويفجر في روح المؤمن تلك الطاقة الحية العالية التي تشده شداً محكم الأواصر إلى عقيدته الحقة النيّرة وشريعته الكاملة القويمة، وتعمق فيه روح الولاء لأمته القائدة الرائدة التي أكرمها الله ﷻ بهذه الرسالة الهادية، فحين يتلاقى العقل والقلب، والفكر والشعور، على فهم الإسلام، ووعي قضيته، والولاء لأمته، والتفاعل مع مبادئه ونظمه وحين يكون ذلك الفهم والوعي والولاء والتفاعل عميقاً قوياً شاملاً فلا بد أن تنبثق من ذلك روح جديدة تتسم بالإيمان الصادق، والعمل المستمر، والعزيمة القوية، وبذلك تتجدد ثقة المسلمين بمهمتهم القيادية الكبرى، وتتلاشى عوامل الانهزام الفكري والنفسي، وتزول أعراض الشعور بالنقص، وشيوع الضعف والخور، والإخلاد إلى الراحة والاستكانة إلى المتاع العاجل والتعلق بالأهواء والشهوات، والخضوع لسلطة الأقوياء، والانبهار بحضارة الأعداء، وتتقدم من جديد جذوة الكفاح الصامد لنشر الدعوة، ومواجهة التحدي، وقيادة الركب الحضاري النيّر الذي فتح العقول والقلوب، ورفع لواء الكرامة والعدالة والحرية، وبسط راية العلم والمعرفة والسلام في أرجاء المعمورة[١].

والدين الإسلامي محتاج إلى من ينقله وينشره خارج المجتمعات

(١) كتاب لمحات في الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب ص٦، ٧.

الإسلامية، فيعمل على تعميم نوره، وبث ضيائه في الآفاق باعتبار الدعوة العامة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والدين الإسلامي محتاج إلى من يعمل على رد الشبهات عنه، وإحباط المكائد التي تحاك ضده من أعدائه، وبخاصة في الميدان الفكري والثقافي لأن أعداء الإسلام في كل عصر يحاولون بكل ما في صدورهم من حقد، وما في وسائلهم من كيد، وما في رؤوسهم من مكر أن يُقصوا الناس عن الهدى، ويصرفوهم عن الإيمان، ويدفعوهم في مسالك الضلال، وطرق الشر، ومهاوي الرذيلة، ودروب الغواية.

إنهم لا يحقدون على شيء كما يحقدون على هذه العقيدة الحقة النيرة التي تحرر الفكر والوجدان، وتطهر القلوب، وتزكي النفوس، وتصحح التصورات، وتقوّم الأوضاع، وتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، كما تخرج البشر من أسر الطغيان، وجور النظم البشرية الفاسدة، وتشويه العقائد الزائغة إلى آفاق الحرية والكرامة والعدالة والاستقامة في ضوء شريعة الإسلام الخالدة.

وأعداء الإسلام يعرفون أنهم لا سبيل لهم إلى التسلط والاستبداد والسيطرة على زمام البشر لا سبيل لهم إلى ذلك، ما دام لهذا الدين بعقيدته وتشريعه وأخلاقه ونظمه وجود قوي، وكيان مكين ودولة وسلطان، ولذلك فإنهم يقذفون بكل قوتهم في المعركة التي يديرونها لتحطيم الإسلام، والقضاء على دعوته، وتشويه رسالته، وتدمير قوته، وتمزيق دولته[١].

ولقد شاء الله ﷻ لهذا المنهج الإلهي القيم القويم وهو الإسلام الحنيف كما جاء به محمد ﷺ شاء الله ﷻ ألا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس إلا بالجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية، فلا يتحقق منه شيء بمعجزة خارقة.

وإنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر تؤمن به إيماناً كاملاً، وتستقيم

(١) كتاب لمحات في الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب ص١١٨ بتصرف.

عليه بقدر طاقتها، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين، وفي حياتهم كذلك، وتجاهد لهذه الغاية بكل ما تملك، تجاهد الضعف البشري والهوى البشري في داخل النفوس، وتجاهد الذين يدفعهم الضعف والهوى إلى الظلم والوقوف في وجه الهدى والنور المبين.

ولا أدل على ما قلناه من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].



علماء الإسلام هم وحدهم المعنيون لمواجهة التحديات الفكرية المناوئة للإسلام

من هُم الذين يحملون هذا الدين، ويؤمنون به، ويستقيمون عليه، ويجتهدون لتحقيقه في حياتهم وحياة غيرهم، إنهم في المقام الأول العلماء وأعني بهم العلماء الذين يؤمنون بهذا المنهج إيماناً جازماً، ويؤمنون بأحقيته في قيادة البشرية حيث لا يصلح لها سواه، ويعلمون طبيعة التحديات التي تواجهه، والآثار المدمرة المترتبة على هذه التحديات لو نجحت لا قدَّر الله، العلماءُ المتسلحون بأسلحة العلم حيث يعلمون أن غيرهم من المسلمين لا يملكون أن يفعلوا شيئاً لهذا المنهج الإلهي الكريم رغم ما يملكون من حماس دافق، فالعلماءُ هم الذين يحفظون علم هذا المنهج الإلهي المستمد من مصدريه العظيمين كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ، ثم ينقلونه للأجيال وينشرونه بين الناس.

والعلماءُ هم الذين يردون الغوي إلى الرشاد، والضال إلى الهدى والمنحرف إلى الصراط المستقيم.

والعلماءُ هم الذين يدفعون عن المنهج الإسلامي الرشيد تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

والعلماءُ هم الذين يقفون حصناً منيعاً، وسداً متيناً في وجه الظلم والإلحاد والزندقة والفساد بشتى صوره وأشكاله وألوانه.



وظيفة العلماء في المجتمعات الإسلامية

العلماء هم الذين يحفظون على المجتمعات الإسلامية عقلها مخافة أن تزل أو تزيغ أو تتيه في أودية الضلال وما أكثرها من أودية.

وهم الذين يحفظون على المجتمعات الإسلامية نورها حتى لا يخبو ولا ينطفىء فتعيش في دياجير الظلام الحالك.

وهم الذين يحفظون على الأمة صراطها المستقيم حتى لا تتشعب بها السبل التي تبعدها عن صراط الله.

وهم الذين يحفظون على المجتمعات الإسلامية شخصيتها وهويتها حتى لا تميع ولا تذوب.

وهم الذين يحفظون على الأمة ضميرها حتى لا يلوث ولا يدنس بأدناس الحياة، وبالجملة فهم الذين يحفظون على الأمة عزتها، وكرامتها وحريتها، وشرفها، وسائر قيمها المتمثلة في منهجها العظيم.

هذه هي وظيفة العلماء والأمانة الغالية التي ناطها الله ﷻ بأعناقهم، وهذا قدرهم وحظهم في هذه الحياة، وبسبب القيام بها فضّلهم، وشرّفهم، وكرّمهم، وأعزّهم، ولو لم يكن في ذلك سوى قوله ﷺ: «**وإن العالِم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء**»[1].

أقول: لو لم يرد في فضل العلماء سوى هذا النص من النبي ﷺ لكفى،

(١) رواه أبو داود ١٠/٤٩ رقم (٣١٥٧)، والترمذي ٩/٢٩٦ رقم (٢٦٠٦)، وابن ماجه ١/٢٥٩ رقم (٢١٩)، وأحمد ٤٤/١٩٢ رقم (٢٠٧٢٣)، وابن حبان ١/١٧١ رقم (٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٧).

فانظر كيف كرّم الله ﷻ العلماء العاملين بعلمهم تكريماً لا يسامى ولا يدانى حينما يتصور أن كل شيء في الكون يستغفر لهم، كل حصاة وكل حجر، وكل حبة وكل ورقة، كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شجرة، كل حيوان وكل إنسان، وكل حشرة زاحفة، وكل دابة دراجة في الأرض، وكل سابحة في الماء، وكل سارحة في الهواء، وكل ساكنة في السماء، كل هذه وغيرها تستغفر للعلماء العاملين.

وحينما يتصور أنهم أفضل بمراحل كثيرة من العباد المنقطعين للعبادة، وحينما يتصور أنهم ورثة الأنبياء أفضل خلق الله وأقربهم إلى الله ﷻ فأعظم بها رتبة، وأكرم بها منزلة.



الإسلام يهيب بالعلماء أن يقوموا بوظيفتهم

لقد أهاب الإسلام بالعلماء أن يقوموا بوظيفتهم في توعية المجتمع الإسلامي وتعليمه والحفاظ على مقدساته، والذود عنها ضد المغيرين والمفسدين، أهاب بهم أن يقوموا بهذه الوظيفة خير قيام، وبيّن لهم أنهم إن فعلوا ذلك فهم في أرقى منزلة وأسمى مكانة عند الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠].

والإسلام الحنيف يدفع العلماء دفعاً إلى ممارسة وظيفتهم هذه بطرق متعددة منها ما يلي:

أولاً: أوجب عليهم العمل على نشر العلم وبذله وعدم الضنّ به، وبيّن لهم الأجر الجزيل الذي ينتظرهم عن ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**من علّم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل بشيء**»(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فضلُ العالم على العابد كفضلي**

---

(١) رواه ابن ماجه ١/٢٧٩ رقم (٢٣٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (٩٥٩).

على أدناكم»، ثم قال ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**»(١).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تاماً حجته**»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع**»(٣).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أيضاً ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(٦) والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

---

(١) رواه الترمذي ٩/ ٢٩٩ رقم (٢٦٠٩)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٧/ ٩٩ رقم (٧٣٤٦) بإسناد لا بأس به، وخرجه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (٨٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود ١٠/ ٧٦ رقم (٣١٧٥)، والترمذي ٩/ ٢٥٩ رقم (٢٥٨١)، وابن حبان ١/ ١٣٦ رقم (٦) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وخرجه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (٨٩) وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود ٣/ ٣٢٢ رقم (٣٦٦٠)، والترمذي ٥/ ٣٣ رقم (٢٦٥٦) وحسنه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٩٠.

(٥) رواه مسلم، كتاب العلم ١٣/ ١٦٤ رقم (٤٨٣١).

(٦) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٣/ ٢١٢ رقم (٤٨٦٧).

ثانياً: أوجب عليهم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحث على ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله ﷻ وأحاديث كثيرة من سنة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

ثالثاً: وعدهم بالنصر والتأييد والهداية والتوفيق بمقتضى علمه وحكمته، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إلى غير ذلك من الآيات.

رابعاً: رهبهم وخوفهم من كتم العلم والضن به، أو القعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما يترتب على كل ذلك من الفساد الفردي والاجتماعي في المجتمع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان ١/ ١٦٧ رقم (٧٠).

ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة: ١٧٤، ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وهذه الآية الكريمة وإن كان الكلام فيها عن أهل الكتاب إلا أن فيها كما يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم؛ فعلى العلماء أن يبذلوا ما في أيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سُئل عن علمٍ فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار**»[(١)].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[(٢)].

وروى قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه**»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود ١٠/ ٧٣ رقم (٣١٧٣)، وابن ماجه ١/ ٣٠٨ رقم (٢٦٠)، وأحمد ١٥/ ٢٩٦ رقم (٧٢٥٥)، ورواه الحاكم بنحوه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ١/ ٣٣٥ رقم (٣١٥)، والطبراني في الكبير ٧/ ٣٩٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٦٦ رقم (١٧٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (١٢٠).

(٢) رواه الترمذي ٨/ ٧٥ رقم (٢٠٩٥)، وحسنه الألباني في جامع الترمذي ٤/ ٤٦٨ رقم (٢١٦٩).

(٣) رواه الترمذي ٨/ ٧٣ رقم (٢٠٩٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٨٨ رقم (١٥٦٤).

خامساً: أن العلماء مسئولون لا محالة عن علمهم الذي علمهم الله ﷻ إياه، واستحفظهم عليه لأداء واجبهم تجاه مجتمعاتهم الإسلامية ودينهم الحنيف، أحفظوا أم ضيعوا؟ أدُّوا أم فرَّطوا؟.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»(١).

وعنه ﷺ قال: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(٢).

وكان أبو الدرداء ﵁ يقول: «إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت، فماذا عملت فيما علمت»(٣).



(١) رواه الترمذي ٨/٤٤٣ رقم (٢٣٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (١٢٦).
(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق ١١/٤٦ رقم (٣٠٢٧).
(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/٢.

الإسلام يهيب بالمجتمعات الإسلامية أن تحافظ على علمائها

هذا من جهة العلماء، أما من جهة المجتمعات الإسلامية فقد أفهمها الإسلام أن علماءها هم سبب رشادها، ونجوم هدايتها، وأنهم إن فُقِدوا صارت المجتمعات الإسلامية في ظلام حالك السواد، فإما وجود العلماء العاملين، وإما الضلال والانحراف وسوء المصير.

روي عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وَكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[(٢)].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم ١/ ١٤١ رقم (٧٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم ١/ ١٧٦ رقم (٩٨)، ومسلم، كتاب العلم ١٣/ ١٦٠ رقم (٤٨٢٨).

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ١١.

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما طرد الليل والنهار»(١).

ومن ثمّ أوصى الإسلام المجتمعات الإسلامية بجملة من الوصايا قبل علمائها منها ما يلي:

أولاً: يوجب الإسلام الحنيف أن يكون في المسلمين هذا الصنف من العلماء ضرورة لوجودهم، وضرورة لحياتهم في شرف وعزة وكرامة، وضرورة لنجاتهم في الآخرة، وذلك بالترغيب في طلب العلم والحث عليه، ومدح العلماء والثناء عليهم، مثل قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٢).

ومن أجمع الأحاديث وأروعها في هذا الباب حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور الذي يقول فيه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً،**

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٥٣.
(٢) رواه البخاري، كتاب العلم ١/ ١٢٦ رقم (٦٩)، ومسلم، كتاب الزكاة ٥/ ٢٤١ رقم (١٧٢١).

وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»[١].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وذلك كله حرصاً على توفر هذا الصنف من العلماء الذين يعملون على توعية المجتمع الإسلامي وإمساك نوره وهداه وروحه عليه.

ثانياً: يوجب الإسلام على المجتمعات الإسلامية المحافظة على علمائها وإجلالهم وتوقيرهم واحترامهم، ويحذر من الاستخفاف بهم أو الزراية عليهم، أو إضاعتهم وعدم المبالاة بهم.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**»[٢].

وعن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»[٣].

ثالثاً: يوجب سؤالهم فيما أشكل، والرد إليهم فيما خفي، خوفاً من الزيغ والضلال، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أن عيسى عليه السلام قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر يتبيّن لك رشده فاتبعه، وأمر يتبيّن لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه**

---

(١) رواه أبو داود ١٠/ ٥٠ رقم (٣١٥٨)، والترمذي ٩/ ٢٤٣ رقم (٢٥٧٠)، وابن ماجه ١/ ٢٥٩ رقم (٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧).

(٢) رواه أحمد ٤٦/ ٢٣٩ رقم (٢١٦٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٤٣).

(٣) رواه أبو داود ١٢/ ٤٧٣ رقم (٤٢٠٣)، وحسنه الألباني في سنن أبي داود ٤/ ٢٦١ رقم (٤٨٤٣).

فردّه إلى عالم»[١].

رابعاً: يوجب طاعتهم وعدم مخالفتهم ما دامت في حدود طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في إحدى الروايتين عنه، وجابر بن عبد الله، والحسن البصري، وأبو العالية، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك، ومجاهد في إحدى الروايتين عنه ﴿أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ هم العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد وقال أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهم في الرواية الأخرى، وزيد بن أسلم، والسدي، ومقاتل: هم الأمراء وهو الرواية الثانية عن أحمد.

والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء. .اهـ»[٢].

ولو قيل: إنها تشمل العلماء والأمراء لكان أولى.



---

(١) رواه الطبراني في الكبير بسند لا بأس به ٩/١٩٥ رقم (١٠٦٢٣)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب: ضعيف جداً ١ رقم (١١٦).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ١/٣٧.

ما يجب على العلماء حتى يؤدوا وظيفتهم على الوجه الأكمل

لما يترتب على تفريط العلماء من انحراف العامة وضلال الأمة كان إثمهم أعظم، ووزرهم أكبر وأخطر، وعذابهم أشد وأبقى، لذلك قال ﷺ موضحاً مصير المفرطين من العلماء، وما ينتظرهم من سوء العاقبة وعذاب الآخرة: «**يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى تخاض بالخيل في سبيل الله، ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن، فإذا قرؤوه قالوا قد قرأنا القرآن، فمن أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل ترون في أولئك من خير؟ قالوا: لا، قال: فأولئك منكم وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار**»[(١)].

لذلك فمن اللازم للعلماء لكي يؤدوا وظيفتهم على أكمل الوجوه وأحسنها أن يكونوا في أعلى مستوى من الصلاح في خاصّة أنفسهم وفي سلوكهم بين الناس، ولن يتأتى لهم ذلك إلا إذا تحلّوا بجميع الفضائل جملة، وتخلُّوا عن جميع الرذائل جملة، وإذا كان هذا الأمر واجباً على كل مسلم، فهو في حق العلماء ألزم وأوجب؛ لأنهم الأئمة والقدوة في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان ـ والناس تبع لهم ينظرون إليهم على أنهم الهداة المرشدون إلى الطريق المستقيم، ويحلونهم من قلوبهم محلاً رفيعاً، إذا قالوا أصغوا إليهم بآذانهم، ووعت عنهم قلوبهم، وحكت عنهم ألسنتهم، وهم بهم مقتدون.

---

(١) رواه أبو يعلى ١٣/ ٤٤٠ رقم (٦٥٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧ رقم (٣٢٣٠).

ومن ثمّ كان لصلاح العلماء أكبر الأثر في صلاح الناس، ولفسادهم كذلك أكبر الأثر في فسادهم، وقد أُثرت عن الصحابة والتابعين روايات كثيرة بهذا المعنى.

فقد روي عن مالك رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اعلموا أنه لا يزال الناس مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم»[١].

وروي عن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «لله قراء، وللشيطان قراء، وصنفان إذا صلحا صلح الناس؛ السلطان والقراء»[٢].

وكان يقول أيضاً: «الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء»[٣].

يجب إذاً أن يكون العلماء على أعلى مستوى من الصلاح في أنفسهم وفي سلوكهم بين الناس حتى يتحقق فيهم الإمامة والقدوة، ويؤدوا وظيفتهم على أكمل الوجوه وأحسنها، يجب أن ينضح علم الإسلام على سلوكهم وأخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم هدىً وتقى وزهداً وتواضعاً وعفة وورعاً وسكينة وخشوعاً ووقاراً بحيث يظهر كل ذلك في هيئتهم وسيرتهم، وسرهم وعلانيتهم، وسكونهم وحركتهم، ونطقهم وسكوتهم حتى يُعرفوا بسيماهم، وحتى يكبر العلم الذي يحملونه في أعين الناس عندما يرون أثره في هؤلاء العلماء، فيكونون لهم سامعين طائعين.

كل خلق فاضل دعا إليه الإسلام فهو في حق العلماء أوجب، وكل خلق سيء نهى عنه الإسلام، فالنهي في حق العلماء آكد، ونريد هنا أن نؤكد فقط على بعض الصفات المهمة جداً للعلماء حتى يقوموا بوظيفتهم، وحتى تؤتي جهودهم ثمارها.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٨٥.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٩.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٦.

أولاً: الإخلاص والتجرد لله ﷻ:

ومعنى الإخلاص: تجريد العمل لله ﷻ بحيث لا يريد به الإنسان شيئاً آخر سوى مرضاته ﷻ لا يريد به المحمدة عند الناس، ولا يريد به الحياة، ولا يريد به المنصب، ولا يريد به المال، ولا يريد به الرئاسة والشرف، بل يريد به وجه الله ﷻ أولاً وأخيراً وجه الله سبحانه فحسب.

ومن المعروف أن الله ﷻ قد أوصى عباده جميعهم العلماء منهم وغير العلماء بهذا الوصف في جميع أعمالهم، وبيّن لهم أنه لن تقبل منهم طاعة من الطاعات إلا إذا توفر فيها الإخلاص والتجرد.

قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

كما بيَّن لهم ـ جل جلاله ـ أن عدم الإخلاص في أي طاعة من الطاعات يهبط بها، بل ويجعلها معصية شائنة لا ينال صاحبها منها إلا الفشل والخسار بعد التعب في تحصيلها والكد في أدائها.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧].

وقال ـ جل جلاله ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وفي آية جامعة عامة يقول سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وهكذا كل عمل ديني أخروي يقصد به الدنيا لا يكون لصاحبه أدنى

نصيب من الأجر، بل ينقلب معصية عليه وزرها ووبالها لأنه غلف عمل الدنيا بغلاف الآخرة، وقد قال ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة في الدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب**»[١].

وهذه الأحكام العامة وشاملة في العلماء وغير العلماء، ولكن الإسلام لم يقف عند هذا الحد ـ ولو وقف لكان في ذلك كفاية وبلاغ ـ ولكنه خص العلماء في هذا الموضوع بجملة من الوصايا توجب إخلاص عملهم لله ﷻ، والتحذيرات من عدم الإخلاص والتجرد، فإن في ذلك وبالاً عليهم وأي وبال!!.

ونكتفي بأن نسوق هنا بيان الحافظ الجليل ابن رجب الحنبلي ـ عليه رحمة الله ـ ففيه كفاية عن غيره.

قال رحمه الله: «طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد أفحش من طلبها بالولاية والسلطان والمال، وأقبح وأشد فساداً وخطراً، فإن العلم والعمل والزهد، إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم، ويطلب بها ما عند الله والقرب منه والزلفى لديه.

قال الثوري رحمه الله: إنما يُطلبُ العلم ليتقي الله به، فمن ثمّ فضل، لولا ذلك لكان كسائر الأشياء.

فإذا طلب بشيء من هذا عرض الدنيا الفاني فهو أيضاً نوعان:

أحدهما: أن يطلب به المال، فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرمة، وفي هذا الحديث عن النبي ﷺ: «**من تعلم علماً مما**

---

(١) رواه أحمد ٤٣/ ٢٣٤ رقم (٢٠٢٧٦)، وابن حبان ٢/ ٣٠٠ رقم (٤٠٦)، والحاكم ١٨/ ٢٦٧ رقم (٨٠٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٤/ ٣٥٨ رقم (٦٥٦٦)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (٢٣).

يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها(١).

وسبب هذا والله أعلم أن في الدنيا جنة معجلة، وهي معرفة الله ومحبته والأنس به، والشوق إلى لقائه وخشيته وطاعته، والعلم النافع يدل على ذلك.

فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة، ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة.

ولهذا كان أشد الناس عذاباً في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه، وهو أشد الناس حسرة يوم القيامة حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلا في التوصل إلى أخس الأمور وأدناها وأحقرها.

فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمة فباعها ببعرة أو شيء مستقذر لا ينتفع به، فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه.

وأقبح من ذلك من يطلبها بإظهار الزهد فيها، فإن ذلك خداع قبيح جداً.

والثاني: من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق، والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له، ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم، ونحو ذلك، فهذا موعده النار لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه.

فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان.

وفي السنن عن النبي ﷺ: **«من طلب العلم ليجاري به العلماء أو**

---

(١) رواه أبو داود ١٠/ ٨٢ رقم (٣١٧٩)، وابن ماجه ١/ ٢٩٤ رقم (٢٤٨)، وأحمد ١٧/ ١٤٥ رقم (٨١٠٣)، والحاكم ١/ ٢٧٧ رقم (٢٦٤) وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم، وابن حبان ١/ ١٥٢ رقم (٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (١٠٥).

ليماري به السّفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»[١]، وفي رواية: «**فهو في النار**»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار**»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لا تعلموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، أو لتجادلوا به الفقهاء، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فإنه يبقى ويفنى ما سواه»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه... وذكر منهم: ورجل تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت! ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»[٥] اهـ[٦].

أقول: ومما ورد في ذلك أيضاً من الأحاديث الشريفة ما روي عن أبي سعد بن أبي فضالة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه**

---

(١) رواه الترمذي ٩/ ٢٥٥ رقم (٢٥٧٨)، وحسنه الألباني في جامع الترمذي ٥/ ٣٢ رقم (٢٦٥٤).

(٢) رواه ابن ماجه ١/ ٢٩٥ رقم (٢٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٢).

(٣) رواه ابن ماجه ١/ ٢٩٦ رقم (٢٥٠)، وابن حبان ١/ ١٥١ رقم (٧٧)، والبيهقي ٤/ ٢٩٠ رقم (١٧٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (١٠٧).

(٤) رواه الدارمي في سننه ١/ ٢٨٨ رقم (٢٦١).

(٥) رواه مسلم، كتاب الإمارة ١٠/ ٩ رقم (٣٥٢٧).

(٦) عن كتاب شرح حديث: «ذئبان جائعان. . .» لابن رجب الحنبلي، وهو مدرج ضمن كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٧٥، ١٧٦، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.

من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[١].

ثانياً: موافقة الأعمال والأحوال والأقوال:

دلالة صدق العالم عند الناس فيما يدعوهم إليه، وما يوصيهم به، ويحثهم عليه هي أن تكون أفعاله وأحواله مطابقة لأقواله ووصاياه، فلا يكذب فعله قوله، ولا يخالف باطنه ظاهره، وبعبارة أخرى لا يأمر بمعروف إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن منكر إلا كان أول منته عنه، حينئذ فقط يؤثر في الناس، ويستميلهم إلى ما يريد، أما إن كذب فعله قوله، وخالف باطنه ظاهره، وأمر بمعروف لا يفعله، ونهى عن منكر وهو ملوث به متلطخ فيه، فأنى يستجاب لقوله؟ وكيف يتأثر به الناس؟.

إن ذلك أمر أشبه بالمحال؛ لأنه أصبح موضع الشك والارتياب، وانتفت عنه ثقة الناس، فلا تجاوز كلماته صماخ الآذان بل يصبح ويمسي كمن يصبح في واد، وينفخ في رماد، ولا أثر لقوله ولا متأثر به، وحقاً ما قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ: «إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب، كما يزل القطر على الصفا»[٢].

إن شر ما يمنى به الإسلام حقاً هو أولئك الذين يأمرون بخير ويتركونه وينهون عن شر ويفعلونه، فأقوالهم أقوال الصديقين، وأفعالهم أفعال الشياطين، ورضي الله تعالى عن الإمام علي بن أبي طالب حينما قال: «قصم ظهري رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه»[٣].

أجل؛ فإن دعوة العلماء إلى الخير والمخالفة عنه في سلوكهم هي الآفة التي تصيب الناس بالشك والارتياب لا في الدعاة وحدهم، ولكن فيما يدعون

---

(١) رواه الترمذي ١٠/٤٢٩ رقم (٣٠٧٩)، وحسنه الألباني في سنن الترمذي ٥/٣١٤ رقم (٣١٥٤).

(٢) هداية المرشدين ص٩٠.

(٣) هداية المرشدين ص٩٤.

إليه وهو الإسلام الحنيف أيضاً لأنهم يسمعون قولاً جميلاً، ويشهدون فعلاً قبيحاً فتتبلبل أفكارهم، وتتملكهم الحيرة بين القول الجميل والفعل القبيح، وبالتالي يبدأ فقدهم للثقة في العلماء أولاً ثم فيما يدعون إليه ويمثلونه ثانياً.

لقد استنكر الإسلام أشد الاستنكار أن يقول الإنسان ما لا يفعله، وقبّح هذا الخلق وهذه الصفة أشد تقبيح، وتوعد على ذلك أشد العقاب، يقول ﷻ مخاطباً علماء بني إسرائيل وأحبارهم في أسلوب تقريع وتوبيخ واستنكار لما اتصفوا به من انفكاك بين قول الخير والبرّ وفعله من أنفسهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤]، ويقول ﷻ في بعض المؤمنين الذين تشبهوا بأولئك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

وعن النبي ﷺ قال: «**أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟، فقال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به**»[(١)].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[(٢)].

وإنما كانت مخالفة أفعال العلماء لأقوالهم محل هذا الاستنكار وسبب هذا التعذيب لأنهم عصوا ربهم عن علم وإصرار، ولكونهم قدوة الناس فقد عصى بمعاصيهم خلق كثير، إذ كانوا بمواقفهم هذه سبباً للجرأة على

---

(١) رواه البيهقي ١٠/٤٦٣ رقم (٤٧٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ رقم (١٢٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق ١١/٤٦ رقم (٣٠٢٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق ١٤/٢٦١ رقم (٥٣٠٥).

حرمات الله والتفلت من هدى الله، فهم بهذا أئمة ضلال في أزياء المتقين وشياطين رحماء في ملابس المتنسكين!!

وفيهم يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق»[١].

ثالثاً: الشجاعة الأدبية:

يجب أن يكون العلماء على حظ كبير جداً من الشجاعة الأدبية أو المعنوية بمعنى أن يجهروا بالحق، وينطقوا بالصدق لا يخافون إلا الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يرجون سواه، هدفهم وغايتهم ومنتهى أملهم سيادة الحق أعني سيادة الإسلام وهيمنته على كل ما سواه، سواء في ذلك رضي كل الناس، أو سخط كل الناس، وسواء في ذلك عاش حياته سعيداً قرير العين أو شقياً لا يقر له قرار، فقد أوقف حياته على الدعوة إلى الله، ونذر نفسه لمرضاة الله ونصرة دينه الحنيف.

وليس معنى ذلك أن يبدأ العالم الناس بالمخاشنة والمغالظة بأمر بعيد عن وظيفته في نشر الإسلام والرد عنه فيثير حفائظهم، ويوقد أحقادهم ويلهب غضبهم، وإنما معناه أن يجهر بالحق مخلصاً لوجه لله، فإن وافقه الناس في الحق الذي دعاهم إليه فبها ونعمت، وإن خالفوه وعاندوه ثبت على حقه حتى ولو عادوه لذلك وكرهوه ونصبوا له، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ولقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه على الجهر بالحق في إخلاص وأدب مهما كان ثمن ذلك الجهر.

---

(١) هداية المرشدين ص٩٢.

كان ﷺ يبايع أصحابه ويوصيهم ألا يدعوا إعلان الحق والجهر به ما دام في مصلحة سيادة الحق وانتشار الخير والفضيلة، وإزالة ومحق الشر والرذيلة حتى ولو ضحى الإنسان في ذلك بماله أو بجاهه أو بنفسه أو بكل ذلك دفعة واحدة.

روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ .... وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»[١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أمرني خليلي ﷺ بسبع... ومنها قوله: وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مراً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم..»[٢].

كما كان النبي ﷺ يعتبر كلمة الحق الشجاعة في وجه الطغيان أعظم أنواع الجهاد، فقد سأله أحد الصحابة قائلاً: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ فقال ﷺ: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»[٣].

كما يعتبر أن من تحقير الإنسان نفسه وإذلالها وإهانتها أن يرى أمراً يستطيع فيه أن يعلن بالحق ثم لا يفعل مخافة الناس!!.

كما يبين ﷺ في جملة أحاديث أن الجهر بالحق لا يبعد نفعاً قدره الله عز وجل للإنسان، ولا يجلب شراً لم يقدره الله عز وجل عليه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام خطيباً، فكان فيما قال: «... **ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه**»، فبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا»[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام ٢٢/ ١٤٠ رقم (٦٦٦٠)، ومسلم، كتاب الإمارة ٩/ ٣٧٣ رقم (٣٤٢٦).

(٢) رواه أحمد ٤٣/ ٤١٣ رقم (٢٠٤٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/ ١٩٩ رقم (٢١٦٦).

(٣) رواه النسائي ١٣/ ١٢١ رقم (٤١٣٨)، وصححه الألباني في سنن النسائي ٧/ ١٦١ رقم (٤٢٠٩).

(٤) رواه ابن ماجه ١٢/ ١١ رقم (٣٩٩٧)، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٢٨ رقم (٤٠٠٧).

وهكذا يجب أن يكون العلماء حتى يؤدوا الأمانات التي وضعها الله ﷻ في أعناقهم وناطها بهم على الوجه الأفضل المطلوب.

رابعاً: الصبر على الأذى:

من المعروف أن العالم يدعو إلى الأخذ بدين الله ﷻ والتمسك بشرعه القويم، ومن المعروف كذلك أن الناس جميعاً ليسوا على دين واحد، ولا على طريقة واحدة ولا على مذهب واحد، وإنما يختلفون أدياناً ومذاهب وطرائق، ومن هنا فإن العالم سوف يلاقي الأمرين في وظيفته!!.

سوف يلاقي الكافر والمشرك والملحد والزنديق والمنافق، وسوف يلاقي الباطل على أيديهم يتبجح، والشر ينتفش، والرذيلة تستشري، وسوف يلاقي الأذى يصيبه من كل هذه الجهات، وبمختلف الوسائل، وسوف يلاقي العالم أيضاً ممن لم ينالوا من التربية والعقل ما يؤهلهم لأن يدركوا مقاصده ويفهموا أفكاره فيعارضوه عن جهل، مصرين على التمسك بما وجدوا عليه آباءهم من قبل ولو كانوا على غير هدى أو ضلال مبين.

وسوف يلاقي من يقفون له بالمرصاد فيعارضونه في أفكاره، ويصادمونه في دعوته، ويقابلون كلامه بالسخرية والاستهزاء، ويتتبعون عوراته، ويتسقطون هفواته، وسوف يلاقي أيضاً الحاقدين والحاسدين الذين يتألمون أشد الألم إذا ارتفع واحد من الناس عنهم، ولا يجدون راحتهم إلا إذا أنزلوه من مكانته بالطعن عليه، والتشهير به، واختلاق الأكاذيب في حقه، والإزراء لطريقته.

وكل هؤلاء وأولئك قد يعارضون العالم بالباطل، ويثيرون من حوله الزوابع والأعاصير، فإذا لم يتسلح بضبط النفس، وقوة التحمل، والصبر على الأذى حتى يجعل تلك المكاره دبر أذنيه، ومواطىء نعليه فإنه سيضطرب، وينفعل انفعالاً يسد عليه مسالك تفكيره، ويقعده عن عمله ووظيفته، أو على الأقل يورثه البطء والتكاسل فيها، وعدم التحمس لها..!!

أما إذا صبر على الأذى، وراض نفسه على تحمله فإنه يستطيع أن يستمر

في دعوته، ويمضي بها قدماً بقلب ثابت ونفس مطمئنة، ولا شك أن النصر والظفر في النهاية لمن صابر وصبر.

لما حكى الله ﷻ قصة لقمان في القرآن الكريم بين أنه قرن الأمر بالصبر مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وما أمر لقمان ولده بالصبر عند أمره له بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لعلمه بأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس الأذى والعنت والمشقة، فلا بد له من الصبر الذي لا جزع معه ولا تردد ولا نكوص.

وعندما نطالع القرآن الكريم بتدبر وإمعان وروّية نجد أن الله ﷻ يوجه رسوله ﷺ إلى الصبر ويوصيه به ويحثه عليه، وخاصة في أوائل السور نزولاً تلك التي كان يربي الله ﷻ بها رسوله ﷺ لكي يقوم بالدعوة على أكمل الوجوه وأحسنها، ففي سورة المدثر وهي من أوائل السور نزولاً يقول سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١ ـ ٧].

وفي سورة المزمل يقول ﷻ بعد عدة توجيهات من أجل الدعوة: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ [المزمل: ٨ ـ١٠].

وفي سورة الإنسان يقول ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾ [الإنسان: ٢٣ ـ ٢٤].

ويستمر هذا التوجيه الإلهي الكريم للرسول ﷺ حتى بعد أن يتحمل الأمانة الغالية أمانة التبليغ والدعوة يستمر في آيات كثيرة وفي مناسبات عديدة.

فمرَّة يطلب منه سبحانه ألا يستخفنَّه تكذيبهم إياه وإيذاؤهم له على عدم الصبر، بل عليه بالصبر موقناً بوعد الله إذ يقول سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

ومرة ثانية يوصيه بألا يضيق صدره بمكر الماكرين، وكيد الكائدين وخيانة الخائنين، وإنما عليه أن يمضي في دعوته غير عابىء بهؤلاء ولا هؤلاء، فإنما يدعو لله ﷻ لا لنفسه، والله ﷻ هو الحافظ له من الماكرين والكائدين والخائنين، فيقول تعالى له: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ [النحل: ١٢٧].

وقد يقع عليه الأذى لامتحان صبره، ويبطىء عليه النصر لابتلاء ثقته بربه، ولكن العاقبة معروفة وهي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨].

وكل ما هو موجه إلى الرسول ﷺ في هذا الموضوع، وبهذا الخصوص هو موجه أيضاً إلى العلماء الذين هم خلفاء الأنبياء وورثة الأنبياء وسائر الدعاة من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة.

فلا يمكن أن يقوم بوراثة النبوة أحد إلا والصبر زاده وعتاده، والصبر جنته وسلاحه، والصبر ملجأه وملاذه، «**ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**»(١).

هذه هي أهم الصفات التي يجب أن تتوافر في العلماء حتى يؤدوا واجبهم في توعية المجتمعات الإسلامية على الوجه الأكمل، والله تعالى هو الموفق والمعين، ولا حول ولا قوة إلا به جل جلاله.



---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة ٥/٣١٨ رقم (١٣٧٦)، ومسلم، كتاب الزكاة ٥/ ٢٧٤ رقم (١٧٤٥).

رسالة بعنوان

كيف يستثمر المسلم وقته

فوائد وتوجيهات لطالب العلم

(تنشر لأول مرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فالزمن هو عمر الحياة وميدان وجود الإنسان وساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه، وقد أشار القرآن الكريم إلى عظم هذا الأصل في أصول النِّعم، وألمح إلى علو مقداره على غيره فجاءت آيات كثيرة ترشد إلى قيمة الزمن ورفيع قدره وكبير أثره، فقال تعالى ممتناً على عباده بهذه النعمة العظيمة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾، وقال تعالى ممتناً على عباده في آية أخرى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

وقد أقسم الله جل وعلا بأجزاء من الوقت في كتابه العزيز فأقسم بالفجر: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾.

وأقسم بالليل والنهار: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾.

وأقسم بالضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾.

وأقسم بالعصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾.

وأكّد رسولنا ﷺ على أهمية الوقت في أحاديث كثيرة، أذكر منها على سبيل الاختصار: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن**

شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**».

الغيرة على الوقت:

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن الوقت سريع التقصي أبيُّ الجانب بطيء الرجوع، فالوقت منقض بذاته منصرم بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرَّمت أوقاته وعظم فواته واشتدت حسراته ولا يعود منه إلا أثره وحكمه... ولهذا يقال للسعداء في الجنة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ ويقال للأشقياء المعذبين في النار: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

لقد كان سلف الأمة الصالح ومن سار على نهجهم ممن جاء بعدهم أحرصَ الناس على كسب الوقت وملئه بالخير علماؤهم وصلحاؤهم، لقد كانوا يبادرون الأوقات ويسابقون الساعات حرصاً على الوقت وخوفاً من ضياعه دون فائدة نُقل عن عامر بن عبد قيس رحمه الله أحد التابعين أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له عامر: يا هذا أمسك الشمس؛ يعني: أوقف الشمس وأحبسها عن المسير لئلا يحسب عليَّ الوقت حتى أكلمك، فالزمن دائب المسير لا يعود بعد مروره وخسارته أعظم الخسارات ولا يمكن استدراكها بحال لأن لكل وقت ما يملأه من العمل.

نعم أيها الأحباب: إن وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو يمر مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وما عدا ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم، وهذا النوع من الناس كما

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ موته خير من حياته وقد أبدع الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ في تصوير هذا المعنى فقال: «يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك».

إن الزمن يساوي عطاءَ الإنسان، وحصادَه عمرُه يساوي اليدَ التي ستحمل كتابه يمنى تكون أو يسرى. قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدركت أقواماً كان أحدهم أشحَّ على عمره منه على درهمه».

قال علي البستي:

إذا ما مضى يوم ولم أصطنع يداً ولم أقتبس علماً فما هو من عمري

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير»: «من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرضٍ أداه، أو مجدٍ أثَّله، أو حمدٍ حصَّله، أو خيرٍ أسَّسه، أو علم اقتبسه، فقد عقَّ يومه وظلم نفسه».

وها هو ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُشبِّه من يضيعون الأوقات بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر». ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل يبادرون الأوقات وينافسون الزمان...».

وقد أجاد رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام بديع حول هذا المعنى وما يتصل به من إشغال بعض الناس من اللاهين لبعض الجادين وتكرار زيارتهم وتضييع أوقاتهم، وليراجع كلامه في «صيد الخاطر» ص٤٦ وما بعدها.

خصائص الوقت:

للوقت خصائص يتميز بها لا بد من إدراكها والتعامل معه على ضوئها ومن ذلك:

١ ـ سرعة انقضائه:

فالوقت يمر مر السحاب لكن أيام السرور والفرح تكون أسرعَ، وهذا بالنسبة لشعور صاحب الفرح، وهكذا بالنسبة لأيام الهموم والأحزان فهي تمر ببطء وهذا بالنسبة لمن وقعت له وصدق من قال:

مرت سنينٌ بالوصال وبالهنا فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنت أيامُ هجرٍ بعدها فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلُها فكأنها وكأنهم أحلام

ومهما طال عمر الإنسان فهو قصير ما دامت نهايته الموت. فعند الموت تتقاصر السنون والأعوام حتى لكأنها لحظات مرت كالبرق الخاطف.

وقد أُثر عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قيل له: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا وقد عاش ما يزيد على ألف عام، فقال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر، وصدق الله العظيم: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

٢ ـ أن ما مضى منه لا يعود ولا يعوض:

فكل لحظة تمر، وكل ساعة تنقضي، وكل يوم يمضي لا يمكن أن يستعاد ولا يعوض. وقد عبر التابعي الجليل الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الأمر بقوله: «ما من يوم ينشق تجده إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة». وقد قيل:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

وقيل:

وما المرء إلا راكب ظهرَ عُمرِه على سفر يُغنيه باليوم والشهر
يَبيت ويُضحي كل يوم وليلة بعيداً عن الدنيا قريباً من القبر

٣ ـ أن الوقت أنفس ما يملك الإنسان:

فهو لا يعوض وهو الوعاء لكل عمل وكل إنتاج فهو رأس المال الحقيقي للإنسان على مستوى الأفراد والمجتمعات.

فالوقت أغلى من الذهب لأن الذهب يمكن تعويضه والوقت لا يمكن تعويضه.

وسائل معينة لحفظ الوقت وكسبه والانتفاع به:

هناك وسائل كثيرة تعين على حفظ الوقت والانتفاع منه، وشغله فيما يقرب إلى الآخرة والناس يتفاوتون في استغلال هذه الوسائل والاستفادة منها وأذكر بعضها على سبيل التمثيل.

١ ـ الإخلاص:

وهو كمال الدين إذ هو درجة عالية لقبول الأعمال عند الله. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾.

فإخلاص العمل لله وحده سر قبوله وسبب عظيم للظفر بحب الله ورضوانه.

وأعظم أنواع الإخلاص ما كان العمل فيه مستوراً عن الناس.

وسر السعادة في الإخلاص أن العبد يكون في هذه الحالة مع الله، ومن كان الله معه فقد فاز برضوان الله، ومن فاز برضوان الله فقد فاز بالسعادة الحقيقية في الدارين الأولى والآخرة.

أخلص لربك ذي الجلال عبادةً ... حتى تفوز وتذهب اللأواء

٢ ـ القدوة برسول الله ﷺ:

فهو الحقيقة العملية للإسلام. قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾.

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾.

وصح عنه ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**».

نِعْمَ الرسولُ محمد لك قدوة ... زالت بفضل قدومه الظلماءُ

٣ ـ العلم:

ذلك أن العلم طريق إلى معرفة الحق. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾.

فالعلم خير من المال لأنه يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يصحبك في دورك الثلاث في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد، والمال إن وجد صحبك صحبة منكّد.

والعلم نور يُهتدى به في ظلمات الجهل والشكوك والشبهات والشهوات، والعالم ما يزال يَعلم ويُعلِّم ويعمل، فصحيفة حسناته في ازدياد في حال الحياة وبعد الممات، والاشتغال بالعلم من أفضل الطاعات وأجلِّ القربات، فمذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعلُّمه ودراسته والاشتغال به طريق لرضوان الرب جل وعلا.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه من وصيته الجامعة حول العلم: «تعلّموا العلم فإنه منار سبل أهل الجنة والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً... به توصل الأرحام ويعرف الحلال من الحرام هو أمام العمل، والعمل تابعه ويُلهمه السعداء ويُحرمه الأشقياء».

٤ ـ التقوى:

هي وقاية النفس من الشرك وهي خير زاد يقدمه المرء لنفسه. قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

وقال بعضهم يستدل على تقوى العبد بثلاث:

أ ـ التوكل فيما لم ينل.

ب ـ وحسن الرضا بما نال.

ج ـ وحسن الصبر عما فات.

تقوى الإله حماية للمتقى ... ووقاية ومهابة وثراء

٥ ـ المبادرة إلى فعل الطاعات:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

الوقت يمضي سريعاً وحال الشباب غير حال المشيب، وحال الصحة غير حال المرض، وملك الموت لا يستشير ولا يمهل، والأجل لا يتأخر ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. فالعبد الحريص على نجاة نفسه ينبغي له أن يبادر إلى الطاعات ويسابق إلى القربات، وكلما لاح له مجال لعمل الخير يستغله ويودعه في صحيفة حسناته ليجده يوم العرض على الله.

مناسبة العمل للوقت:

ينبغي للمسلم أن يعرف ما يتطلبه الوقت من عمل القلب واللسان والجوارح، ليوافق المقصود وليقع موقعه عند الله جلّ وعلا، وصدق أبو بكر رضي الله عنه حينما أوصى عمر بن الخطاب عند استخلافه: «اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار». ولذا جاءت أوقات العبادات محددة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾. وفي الصيام: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وفي الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾. وفي الزكاة: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾.

قال بعض الصالحين: أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية.

فعلى المسلم أن يتحرى الأوقات الفاضلة وأن يجتهد في العمل ولا يضيع الفرصة إذ لاحت له، فرمضان وعشر ذي الحجة وشهر الله المحرم ويوم الجمعة والخميس والاثنين وآخر الليل، كل هذه أوقات فاضلة، فالعمل العمل قبل فوات الأوان.

العمر الحقيقي للإنسان:

سُئل نبينا محمد ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال: «**من طال عمره وحسن عمله**».

والموت نهاية كل حي، ولذا مهما طال العمر فهو قصير، وكما اخترم الموت شاباً في شبابه وغنياً في عز غناه وحاكماً بين حرّاسه وخدّامه.

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الإنسان فيها مخبراً ... حتى يُرى خبراً من الأخبار

وفي الحديث: «**عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ومسؤول عنه**».

فالعمر الحقيقي للإنسان ليس السنين التي يقضيها من يوم ولادته إلى يوم وفاته إنما العمر الحقيقي هو الرصيد من العمل الصالح الذي سجل له في ديوان حسناته، ولذا نجد شخصاً يعمر مائة سنة أو أكثر ورصيده قليل إن لم يكن مديناً، ويموت شاب لم يكمل العشرين ولكن رصيده حافل بالأعمال الصالحة، فالمسلم يستطيع بمقدار فعله للخيرات وبُعده عن المنكرات رفع رصيده.

الإخلاص في طلب العلم:

إخلاص النية لله تعالى هو المقصود الأول في كل عبادة، وطلب العلم من أشرف العبادات، والعمل به هو ثمرته، فلو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

فمن عمّر ظاهره بالسنّة وباطنه بالإخلاص تفجر في صدره ينابيع العلم ولم يكد ينطق إلا بالحكمة، وأما إذا كان عمله بلا إخلاص كان كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

وعلى الشاب أن يعالج نيته ويجتهد في ذلك قدر المستطاع. يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي فمن أخلص في طلب العلم نيته وجدد للصبر عليه عزيمته كان جديراً أن ينال منه بغيته».

قيل للشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أين لك هذا العلم كلُّه؟ قال: بنفي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب.

لقد عشق السلف الصبر والمصابرة على طلب العلم، وتحملوا في سبيل

ذلك المشاق حتى نالوا منه ما نالوا، وبمثل هذا الشغف والعشق للعلم ظهر النبوغ والإمامة فيهم. فاحرص يا طالب العلم على التشبُّه بهم والصبر كما صبروا، فإن لم تصبر على تعب التعلم صبرت على شقاء الجهل، ومن عرف العلم وفضله لم يقض نهمته منه ولم يشبع من جمعه طول عمره.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «تأملت عجباً وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجراً اللذات والراحة...».

ويقول ابن القيم رحمه الله في كلام جميل: «وأما سعادته فلا يورثك إياها إلا بذلُ الوسع وصدقُ الطلب وصحةُ النية».

لولا المشقة ساد الناس كلُّهم ... الجود يفقر والإقدام قتَّال

ومن طمحت همته إلى الأمور العالية فواجب عليه أن يشد على محبة الطرق الدينية وهي السعادة وإن كانت في ابتدائه لا تنفك عن ضرب من المشقة والكره والتأذي...

فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلّا على جسر المشقة فلا تقطع مسافتُها إلا في سفينة الجد والاجتهاد. ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف، ولكن حفّت بحجاب من المكاره وحجبوا عنها بحجاب من الجهل ليختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكلُه ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ويقول الشافعي رحمه الله: «حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه والصبرُ على كل عارض دون طلبه وإخلاصُ النية لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً والرغبةُ إلى الله تعالى في العون عليه».

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: «لقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو».

الجد بالجد والحرمان بالكسل ... فانصب تصب عن قريب غاية

والعلم يجتمع مع الليالي والأيام إذ لا يمكن تحصيله بوقت يسير، بل لا بد من الصبر والمصابرة والجد والمثابرة وجمع العلم من صدور الرجال وبطون الكتب.

اليوم شيء وغداً مثله ... من نُخب العلم التي تلتقط
يُحصِّل المرء بها حكمةً ... وإنما السيل اجتماع النقظ

حُسن الاقتداء والاتباع:

أعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال المشروعات معرفة وفعلاً، ولا يمكن معرفة ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنّة الموصلين إلى الله تعالى. فأقرب الوسائل إلى الله ملازمة السنّة والوقوف معها في الظاهر والباطن ودوام الافتقار إلى الله وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال، وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة وما انقطع عنه أحد إلّا بانقطاعه عنها أو عن أحدها. فأعلى الهمم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنّة والفهم عن الله ورسوله، وأخس همم طلاب العلم قصر الهمة على تتبُّع شواذ المسائل وما لم ينزل ولا هو واقع أو تتبُّع الخلاف والوقوف على آراء الآخرين للمحاسبة والمتابعة والردود.

يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث حيث كان».

ويقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم».

دين النبي محمد أخبار ... نِعْمَ المطيَّةُ للفتى الآثار
لا ترغبن عن الحديث وأهلِه ... فالرأي ليل والحديث نهار

تقديم الأولى من العلوم:

ينبغي لطالب العلم أن يلتمس من العلوم أنفعها، فإن العلم كالبحر المتعذر كيلُه والعمر قصير لا يستوعب ذلك كله فيشتغل بالمهم منه، فمن شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم.

ما أكثر العلم وما أوسعه ... من ذا الذي يقدر أن يجمعه
إن كنت لا بد له طالباً ... محاولاً فالتمس أنفعه

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «العلم كثير ولن تعيه قلوبكم ولكن اتبعوا أحسنه، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾».

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه ... حمل فأبصر أيُّ شيء تحمل
وإذا علمت بأنه متفاضل ... فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

ذو الهمة لا يخفى عليه قصر العمر وكثرة العلم، فيبتدئ بالقرآن وحفظه وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليه منه بذلك شيء من معاني الآيات ومدلولاتها وأحكامها قدر الاستطاعة، ويطالع أشياء من النحو وكتب اللغة التي تعينه على توسُّع مداركه والدقة في تحصيله.

وأشياء من الحديث وأصوله من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء والرواة، وليكن النظر في أصول ذلك كله. ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغني عنه كنسب الرسول ﷺ وأقاربه وأزواجه وما جرى له.

ثم لِيُقبل على الفقه فلينظر في مسائله ومنشأ الخلاف فيها وأدلتها ولو تطلّب ذلك الرجوع إلى مظانها من كتب التفسير والحديث واللغة.

وعليه مع ذلك أن يتشاغل في ما لا بد له منه من أصول الفقه وعلم الفرائض.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «واعلم أن الفقه عليه مدار العلوم فإن اتسع الزمان للتزيُّد من العلم فليكن من الفقه فإنه الأنفع».

ورحم الله ابن الوردي إذ يقول:

من كل فن خذ ولا تجهل به ... فالحر مطلع على الأسرار
وإذا علمت الفقه عشت مصدراً ... في العالمين معظم الأقدار
وعليك بالإعراب فافهم سره ... فالسر في التقدير والإضمار

جمع الكتب وكثرة القراءة:

من الأسباب المعينة على تحصيل العلم والتقدم فيه جمع الكتب والنظر فيها، فكثرة المطالعة والقراءة تعين وتسدد؛ لأن مطالعة الكتب تشحذ الهمة وتفتق الوعي وترهف الإحساس.

يقول ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أحب أن يستفيد فلينظر في كتبه، فالكتاب حاضر نفعه، مأمون ضرّه، ينشط بنشاطك فينبسط إليك ويمل بملالك فينقبض عنك، إن أدنيته دنا وإن أنأيته نأى، لا يبغيك شراً ولا يفشي لك سراً، ولا ينم عليك ولا يسعى بنميمة إليك.

نِعْمَ المحدث والرفيق كتاب ... تلهو به إن خانك الأصحاب

لا مفشياً للسر إن أودعته ... ويُنال منه حكمةٌ وصواب

فاجعل يا أخي الشاب الكتاب جليسك في الوحدة وأنيسك في الخلوة.

قال ابن الأعرابي رَحِمَهُ اللَّهُ يتحدث عن كتبه التي يطالع فيه:

لنا جلساء ما نمل حديثهم ... أَلِبَّاءُ مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعَقلاً وتأديباً ورأياً مسددا

بلا فتنةٍ تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا

فإن قلتَ أموات فما أنت كاذباً ... وإن قلت أحياءً فلست مفندا

فسبيل الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب والاستزادة منها، فإنه يرى من علوم القوم وعلوّ هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد وما يخلو كتاب من فائدة.

وقد حرص العلماء على جمع الكتب والنظر فيها، ولعلّ معظم البارزين من العلماء الذين نفع الله بعلمهم كانوا ممن يعتني بالكتب وجمعها ومداومة مطالعتها. يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمته لابن القيم: «وكان مغرى بجمع الكتب فحصَّل منها ما لا يحصى حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوا منها لأنفسهم...».

فاحرص أخي الشاب على اقتناء الكتب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً،

وأَكْثِر القراءة فيها فإنه لا يخلو كتاب من فائدة وربما لا تحتاج إلى الكتاب اليوم وتحتاجه غداً فلا تجده، وتشبّه بأولئك العلماء لعلك تظفر ببعض ما ظفروا به، فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالكرام فلاح.

أهمية الحفظ:

الحفظ نعمة من الله تعالى أنعم بها على عباده، والناس فيها على مراتب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وبالحفظ يدرك الشخص العالم وينتفع به وطالب العلم من أكثر الناس حاجة للحفظ وكثرة القراءة. فكثرة القراءة تكسبه سعة الاطلاع وبالحفظ يحوز العلم في صدره فلا تكفي القراءة بلا حفظ ولا الحفظ بلا سعة اطلاع.

فالاحتفاظ بما في صدرك أولى من درس في دفترك، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حديث في دفترك.

فينبغي لطالب العلم أن يكون جل همته مصروفاً إلى الحفظ والإعادة، ولو أمكن صرف الوقت لذلك كله لكان أولى غير أن البدن مطيَّة وإجهاد السير مظنة الانقطاع.

ومما يعين على الحفظ أن يقصد بالحفظ ابتغاء وجه الله والنصيحة للمسلمين بالتوجيه والبيان، وليجتنب ارتكاب المحرمات والوقوع في المعاصي فإن ذلك يحرمه بركة العلم.

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

ويكرر الشيء الذي يريد حفظه ففي ذلك إعانة له على الحفظ وتثبيت ما حفظ. قال بعض أهل العلم: «كل وعاء أفرغت فيه شيئاً فإنه يضيق إلا القلب فإنه كلما أفرغ فيه اتسع».

فبالمداومة والتكرار يسهل الحفظ على صاحبه. والحفظ لا يكون إلا مع شدة العناية وكثرة الدرس وطول المذاكرة، والمذاكرة حياة العلم وإذا لم يكن درس لم يكن حفظ وإذا لم تكن مذاكرة قلّت منفعة الدرس، ومن عوَّل على

الكتابة وأخلَّ بالدرس والمذاكرة ضاعت ثمرة سعيه واجتهاده في طلب العلم.

الأمانة العلمية:

ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بالأمانة العلمية في الطلب والتحمل والعمل والبلاغ والأداء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصغون، فمن تحدث في العلم بغير أمانة فقد مسّ العلم بقرحه ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة.

الصدق:

الصدق خُلُق إسلامي كريم وهو على العلماء، وطُلّاب العلم أوجب من غيرهم؛ لأنهم يبلغون عن الله ويبينون أحكام الشرع المطهر لعباد الله، وصِدق اللهجة عنوان الوقار وشرف النفس ونقاء السريرة ورجحان العقل وعنوان العلاقة الوطيدة بين الناس.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم». وقال وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق».

زكاة العلم:

زكاة العلم بذله وأدائه وتبليغه للناس، والصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم بين الناس وحب النفع لهم وبذل الجاه وقضاء حوائجهم والسعي في مصالحهم والشفاعة الحسنة لهم، صح عنه ﷺ قوله: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

حذار من الثقافة السطحية:

بعض الشباب يبني ثقافته الشرعية من المجلات والأشرطة والصحف،

فيبقى هشاً لا يثبت على شيء صلب سرعان ما تتقاذفه الرياح هنا وهناك، والأَوْلى بالشاب أن يؤسس ثقافته على شيء صلب وقواعد راسخة، فالمطالعة في أمهات الكتب ساعة تعدل ساعات كثيرة تطالع فيها ما جدّ من وسائل العصر، رصيده حافل بالأعمال الصالحة التي بارك الله فيها.

فالمسلم يستطيع أن يطيل عمره بمقدار ما يوفق إليه من عبادة الله والإحسان إلى الخالق وإخلاص العمل وإتقانه.

نسأل الله أن يبارك في أعمارنا على عمل صالح يرضي ربنا.

وصايا غالية:

أ ـ أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنه الحسن فقال: «... أحيي قلبك بالموعظة، وأَمِتْهُ بالزهادة، وقوِّهِ باليقين، ونوِّره بالحكمة، وذلِّله بذكر الموت، وقرِّره بالفناء، وبصِّر فجائع الدنيا، وحذِّره صولة الدهر وفحش تقلُّب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين...».

ب ـ وقال أبو حيان:

أما إنه لولا ثلاث أحبها ... تمنيت أني لا أُعدُّ من الأحياء
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة ... تكفر لي ذنباً وتُنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل ... لئيم فلا أمشي إلى بابه مشيا
ومنهن أخذي بالحديث إذا الورى ... نسوا سنّة المختار واتبعوا الرأيا

ج ـ حفظ اللفظات: قال ابن القيم رحمه الله: «وأما اللفظات فحظها ألّا يخرج لفظةٌ ضائعة بل لا يتكلم إلّا فيما يرجو فيه الربح والزيارة في دينه، فإن أراد أن يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح وفائدة أم لا، فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها وإن كان فيها ربح نظر هل يفوت عليه شيء أنفع منها، وإذا أردت أن تستدل على القلوب فاستدل عليها بحركة اللسان». قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: «القلوب كالقدور تغلي بما فيها وألسنتها مغارفها».

د ـ في بعض الخطب المرويّة: إن الآمال تطوى والأعمار تفنى،

والأبدان تحت التراب تُبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كتراكض البريد ويقرِّبان كل بعيد ويبليان كل جديد، وفي ذلك ما يلهي عن الشهوات ويسلِّي عن اللذات ويرغب في الباقيات الصالحات.

إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب الله عليه البقاء ولا بقاء لما كتب الله عليه الفناء، فلا يغرنّك شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهر طول الأمل بقصر الأجل.

شحذ الهمم:

إن خير وسيلة لإشعال العزائم وإثارة الروح الوثابة وقدح المواهب وإذكاء الهمم وتقويم الأخلاق بصمت وهدوء ودون أمر أو نهي والتسامي إلى معالي الأمور والترفُّع عن سفاسفها والاقتداء بالأسلاف الأجلّاء هو: قراءة سِيَر نبغاء العلماء والصلحات والوقوف على أخبار الرجال العظماء واستملاء سِيَرهم ومعرفة ما عانوه وكابدوه لتحصيل العلوم ومعالي الأمور، فذلك خير معين لشد الهمم والعزائم وإنارة القلوب وإخلاص النيات وتفجير النبوغ وتفتح الطاقات والصبر على اجتياز الصعاب والعقبات واغتنام الباقيات الصالحات واعتلاء قمم المجد وذرى الكرامة.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

كيف تتعظ؟

إذا أردت أن يؤثر فيك ذكر الموت فاجعل نفسك كالذي يريد سفراً إلى محل خطر أو إلى مفازة مُخطرة، أو كالذي يريد أن يركب في البحر، أو في أي مركب من المراكب الخطرة فإنه لا يتفكر إلّا فيه.

وأنجح الطرق بإذن الله أن تتذكر أقرانك في السن الذين قصمهم هادم اللذات ومشتت الشمل ومفرّق الجماعات، فتذكّر موتهم وأحوالهم وصورهم وأولادهم ومساكنهم، ثم تفكّر في مآلهم تحت التراب، واعلم بأن هذا مصيرك طال الوقت أو قصر.

وذي حــرصٍ تــراه يُـلــمُّ وَفــراً ... لــوارثــه ويــدفــع عــن حــمــاه
ككلب الصيد يُمسك وهو طاوٍ ... فــريــســتــه لــيــأكــلــهــا ســواه

هذا يصدق عليه اسم طالب العلم:

هذه العبارة قالها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إمام أهل السُّنّة في حق المحدث الأندلسي الإمام بقي بن مخلد الذي رحل من الأندلس إلى المشرق لملاقاة الإمام أحمد وكانت رحلته مشياً على الأقدام، ولما وصل إلى بغداد وجد الإمام أحمد محبوساً في بيته وقد مُنع من أن يحدث الناس ولما قابله بقي بن مخلد ألحّ على الإمام أحمد أن يأخذ عنه وتزيّا بزيّ المتسوّل وكأنه فقير وقد جعل ورقه تحت كمه، وفي كل يوم يأتي ويأخذ عن الإمام أحمد مجموعة من الأحاديث حتى فرَّج الله عن الإمام أحمد وأصبح بقيّ بن مخلد من تلاميذه المقربين فكان إذا أقبل قال الإمام أحمد: هذا يصدق عليه اسم طالب العلم.

ورحم الله ابن الجوزي فقد أبدع حين قال:

من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس ويلتذ بتصنيف ما جمع ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئاً بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم. قال الشاعر:

أهتز عند تمني وصلها طربا ... ورب أُمنية أحلى من الظفر

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلّا ما لو حصل لي ندمت عليه ثم تأملت حالي، فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم وجاهي بين الناس أعلى من جاههم وما نلته من معرفة العلم لا يقوَّم... إلخ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا تلميذ ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ العالم الفذّ أحمد بن عبد الدائم المقدسي يقول بعد أن كبر سنّه وطال عمره وعجز عن العلم:

عجزت عن حمل قرطاس وعن قَلَم ... من بعد إلفيَ بالقرطاس والقلم

كتبت ألفاً وألفاً من مجلدة ... فيها علوم الورى من غير ما ألم
ما العلم فخرُ امرئ إلا لعامله ... إن لم يكن عملٌ فالعلم كالعدم
العلم زينٌ وتشريف لصاحبه ... فاعمل به فهو للطلاب كالعلم
ما زلت أطلبه دهري وأكتبه ... حتى ابتليت بضعف الجسم والهرم

وفي مثل هذا وغيره يصدق قول القائل:

نفسي فداؤك من ميت ومن بدن ... ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا

وها هو أبو عبد الله الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب «المستدرك» يذكر أوصاف العلماء العاملين المتتبعين لحديث رسول الله ﷺ وسير أصحابه يقول عنهم في كتابه «معرفة علوم الحديث»: «هم قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف من الماضين ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ وآله أجمعين. آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدِّمَن والأوطار وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار... إلخ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

ورحم الله أبا الحسن القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث يقول في قصيدته العصماء:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذُّل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزةُ النفس أُكرما

إلى أن يقول:

وكم نعمةٍ كانت على الحر نقمةً ... وكم مغنم يعتدُّه الحر مغرما
فإن قلتَ زند العلم كاب فإنما ... كباحين لم تخرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظَّموه في النفوس لعُظِّما

نيل المقامات العليَّة:

نيل المقامات العليّة لا يقتصر على جنس دون جنس ولا بلد دون بلد ولا لون دون لون ولا عرق دون عرق ولا قوم دون قوم، بل كل من جدّ واجتهد ودأب وثابر وتفرغ وأقبل نال وارتفع بقدر جدّه ومواهبه وفضل الله

عليه، فالمقامات العالية لا تنال إلا بالاجتهاد والدأب وكثرة الطلب ومتابعة التحصيل كما قيل:

فقل لمرجيّ معالي الأمور بغير اجتهاد رجوتَ المحالا

وكما قيل:

يا ب سارٍ بات ما توسَّدا إلا ذراعَ العَنْس أو كفَّ اليدا

أو كما قال بديع الزمان الهمذاني:

كنفي بعير إن ظعنت ومفرَشي كُمِّي وجُنح الليل مطرحُ هودجي

هكذا تُقضى الأوقات:

طالب العلم إذا بذل جهده في الطلب والتحصيل وتحمَّل المشاق والمتاعب وغالب الصعاب والعقبات، لا يخيِّب الله مسعاه ولا يهضم الناس حقه وإن حسده من حسده وظلمه من ظلمه من الأقران والخلّان والأصحاب، والنبوغ صبر طويل وجهاد عسير كما قيل:

وإنَّ سيادَة الأقوام فأعْلم لها صَعْداء مطلعها طويل

أما التواني والتكاسل وتتبع متاع الدنيا فذلك بعيد كل البعد عن العلم وتحصيله وصدق من قال:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ويُبس الخريف وبَرْد الشتاء

ويُلهيك حسن زمان الربيع فأخْذك للعلم قل لي متى

قال شيخ الأسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكم ممن لم يرد خيراً ولا شراً حتى رأى غيره لا سيما إن كان نظيره يفعله ففعله، فإن الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبُّه بعضهم ببعض.

ورحم الله الوزير الصالح والعلّامة الفقيه يحيى بن هبيرة إذ يقول:

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

لما أدركت الشيخوخةُ أبا عثمان الجاحظ الأديب كان ينشد هذين البيتين متحسراً متألماً من تقاعد الضعف والكِبَر:

أترجو أن تكون وأنت شيخ   كما قد كنت أيام الشباب
لقد كَذَبَتْك نفسك ليس ثوب   دريس كالجديد من الثياب

الاعتماد على التفرغ من الشواغل في المستقبل:

كثير من العاجزين يعللون أنفسهم بالعمل مستقبلاً ويعدونها الأماني الكاذبات وهذا هو الحلم الخادع إن الأماني والأحلام لا تُصنع حاضراً ولا تبني مستقبلاً.

وصدق الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: «كثرة الأماني من غرور الشيطان». ويقول علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وصيته لابنه الحسن: «إياك والاتكال على المنى فإنها بضائع النَّوكى» أي: الحمقى.

قال الشاعر:

إذا تمنيتُ بتُّ الليل مغتبطاً   إن المنى رأس أموال المفاليس

إن هؤلاء الذين يتعللون بالتفرغ غداً أو بعد غد والخلو من المشاغل والاطلاع والقراءة وطلب العلم بعد نهاية الدراسة أو بعد شهر أو بعد التخرُّج أو بعد القدوم من السفر. وهكذا هؤلاء كالرجل الذي قال لابن سيرين: إني رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح، فما تفسير هذه الرؤيا؟ فقال له: أنت رجل كثير الأماني والأحلام.

آفات تضيع الوقت:

هناك آفات تقضي على الوقت وتذبحه بغير سكين فليحذر المسلم منها، ومن أكثرها شيوعاً بين الناس:

١ ـ الغفلة:

وهي مرض يصيب عقل الإنسان وقلبه، بحيث يفقده الإحساس الواعي بمرور الزمان واختلاف الليل ولانهار فتجده لا يكترث بحقائق الأمور بل يعتني بالصور والمظاهر فقط ومن البلية إن تمر بأمة الإسلام الأحداث التي تزلزل الجبال فلا تعتبر ولا تتعظ ولا تتحرك وكأن الأمر مجرد تمثيل فقط، وقد جاء

من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اللهم لا تدعنا في غمره ولا تأخذنا على غره ولا تجعلنا من الغافلين».

٢ ـ التسويف:

قال الحسن البصري رحمه الله: «إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك فإن يكن غدك فكن في غد كما كنت في اليوم وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم.

وصدق من قال:

فما لك يوم الحشر شيء سوى الذي ... تزودته قبل الممات إلى الحشر
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ... ندمت على التفريط في زمن البذر

وأحسن من قال:

ولا أو أخر شغل اليوم عن كسل ... إلى غدٍ إنَّ يوم العاجزين غدُ

وقال آخر:

عليك بأمر اليوم لا تنتظر غداً ... فمن لغدٍ من حادثٍ بكفيل

وأجاد من قال:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

إخوتي في الله: تعالوا معي لنكن صادقين مع أنفسنا مع إطلالة هذا العام من هو الذي حاسب نفسه، من هو الذي العبرة والعظة من العام المنصرم، أليس التاجر يجعل له حسابات يومية وشهرية وسنوية.

لقد ودعنا قبل أيام عاماً كاملاً وكأننا عبرنا من قنطرة إلى أخرى، خلفنا ما في العام الماضي والكل مسجل ومكتوب ومقيد ومحسوب، وسنحاسب عن النقير والقطمير بل عن مثاقيل الذر. وليس الحال كما قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

بل الماضي هو الذي يتحسر عليه الإنسان ويندم ولات ساعة مندم، فالجد الجد والحزم والحزم ما دام في العمر إمكان..

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التحام

فكّر معي أخي المسلم في دقائق تقضيها لحفظ كتاب الله ومراجعته، الحسنة بعشر أمثالها الألف حرف والميم حرف واللام حرف، كم في الفاتحة من حسنة.

إن بعض القادرين يقصّرون في حفظ كتاب الله، ولو حسبت الساعات التي يقضونها لقراءة الجرائد والمجلات لهالك الأمر، ولو قضى جزءاً من هذا الوقت يومياً للقرآن لكان في ذلك خير عظيم وأجر كبير ونفع في الدنيا والآخرة.

تذكر أخي أحبة لك في سنك وطموحك وقدراتك ونظرتك للمستقبل، إلا أن الموت عاجلهم فلم يستكملوا ما بنوا أو خططوا ولم يذهبوا إلا بعملهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وتذكر أن الأجل محدود والرزق مضمون وأن الكون كلَّه أنسَه وجنَّه أفلاكَه وعوالَمه، كلُّ ذلك يسير حسب تقدير العطاء، فاحرص على أن تبني لك داراً في الآخرة وليكن ذلك بعشر معشار حرصك على بناء دار لك في الدنيا.

والخلاصة:

١ ـ همة في الطلب تسهل الصعاب.

٢ ـ الاشتغال بالعلم ليلاً ونهاراً.

٣ ـ الإعادة والتكرار ومباحثة أهل العلم من الصغار والكبار.

٤ ـ اعتبار الكيف لا الكم، والبداءة بالأهم فالمهم.

٥ ـ جرّد المطولات لاستنباط الفوائد وترسيخ المعلومات بكثرة التكرار والإيرادات.

٦ ـ اختيار الفن الذي تميل له النفس وتقديمه على غيره.

٧ ـ عدم الإفراط في الوسائل على حساب المقاصد وتذكر فضل العالِم على العابد.

٨ ـ كثرة الاستغفار ليمحو كل ذنب يعوق العلم والتحصيل.

٩ ـ جمال العلم صيانته وثمرته التديُّن وتاجه الأمانة، والعمل به أعظم معين على ثباته وبقائه.

١٠ ـ لا يثبت العلم إلا بالتعليم ولا يرسخ إلا بالتفهيم.

١١ ـ المقصود من العلم طاعة الرحمٰن وآفته النسيان ومرارته حسد الأقران.

١٢ ـ وكتب المتقدمين أنفع وأكثر فائدة لا سيما ما جمعت سهولة العبارة ودقة المعلومات، ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

١٣ ـ الإكثار من مصاحبة الكتاب، لا يشغله عنه طعام ولا شراب، يقطف منه ما لذّ وطاب.



المنهجية في طلب العلم[1]

أمور مهمة في طلب العلم:

١ ـ الإخلاص.

٢ ـ الصبر والمتابعة.

٣ ـ البدء بالأهم ثم المهم.

٤ ـ العمل بالعلم.

٥ ـ بذل العلم.

٦ ـ محبة أهل العلم واحترامهم.

٧ ـ التواضع.

٨ ـ الإكثار من الذكر والاستغفار.

٩ ـ الحرص على الدعوة إلى الله بما أعطاه الله من العلم.

١٠ ـ الدفاع عن هذا الدين ومعرفة مخططات الأعداء.

١١ ـ العلم بالواقع ومعرفة مستجداته.

عوائق الطلب ومعوقاته:

١ ـ طلب العلم لغير الله.

٢ ـ ترك العمل بالعلم.

٣ ـ الاعتماد على الكتب.

---

(١) من أجمل ما قرأت في هذا الباب رسالة لطيفة للشيخ ابن سعدي ضمن الفتاوى حول طلب العلم.

٤ ـ أخذ العلم عن الأصاغر.

٥ ـ عدم التدرج في العلم.

٦ ـ الغرور والعجب والكِبْر.

٧ ـ استعجال الثمرة.

٨ ـ دنو الهمة.

٩ ـ التسويف والتمني.

١٠ ـ حسد الأقران.

التأصيل والتأسيس:

لا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه بضبط أصله ومختصره على شيخ ولا تعتمد على التحصيل الذاتي، ولا بد من أخذ العلم بالتدرج. ففي كل فن يلزمك:

١ ـ حفظ مختصر فيه فإن لم تستطع فعليك أن تستظهر هذا المختصر وتكرره كثيراً.

٢ ـ ضبطه على شيخ وسماع تحليل ألفاظه وحل غامضه.

٣ ـ عدم الاشتغال بالمطولات والشروح قبل الضبط والإتقان للأصل.

٤ ـ عدم الانتقال من مختصر لآخر بلا موجب أو مبرر قوي.

٥ ـ الحرص على تقييد الفوائد وحفظها.

٦ ـ الهمة العالية والحرص الدؤوب والترقي وطول الملازمة للشيخ ففي ذلك الخير الكثير.

ومما يعين على التحصيل واستظهار الدروس:

١ ـ الانتباه للقراءة والمتابعة والحرص على فهم شرح الشيخ للمقروء.

٢ ـ عدم الحرص على السؤال أثناء القراءة وتكون الأسئلة بعد ذلك.

٣ ـ مراجعة الدرس بعد انتهائه.

٤ ـ استحضار الدروس بين وقت وآخر.

٥ ـ الحرص على تطبيق الدروس عملياً لتثبت في الذهن.

حفظ أو دراسة المتون:

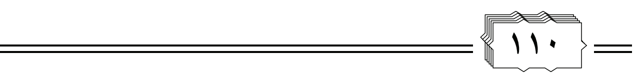
يُحسن بالطالب حفظ المتون فإن لم يتيسر فعليه دراستها واستظهارها بالتكرار والمتون فمرتبة، فهناك للمبتدئين متون وللمتوسطين متون وللمتقدمين متون.

فالمبتدئ بالعلم: «الأصول الثلاثة» في العقيدة، و«آداب المشي إلى الصلاة» في الفقه، و«الأربعين النووية» في الحديث.

وللمتوسطين: «التوحيد» في العقيدة، و«عمدة الأحكام» في الحديث، و«أخصر المختصرات» في الفقه.

وللمتقدمين: «الطحاوية» في العقيدة، و«زاد المستقنع» في الفقه، و«بلوغ المرام» أو «مختصر البخاري ومسلم» في الحديث.

فضل الدعوة إلى اللّٰه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

مما لا شك فيه إن أفضل وخير ما تُصرف فيه الجهود وتبذل فيه الطاقات هو نشر دين الله تعالى وبيانه للناس، ومن أعظم هذه الوسائل التي تستخدم في نشر هذا الدين هو الدعوة إلى الله تعالى. ومفهوم هذه الدعوة قد غفل عنه الكثير ونظراً لأهمية هذا المفهوم فنقول: بأن الدعوة إلى الله هي طلب الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده لا شريك له والعمل بطاعته وترك معاصيه. هذا هو مفهوم الدعوة «الصحيح».

أولاً: أهمية الدعوة إلى الله تعالى:

ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى أهميتها عظيمة كان ولا بد من وقوعها على أفراد من هذه الأمة وهو ما يعبر عنه أهل الأصول بفروض الكفايات، فإذا تعطل هذا الفرض الكفائي أثمت الأمة جميعاً.

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالدعوة إلى الله أهميتها عظيمة لا تخفى على أحد، فمتى التزمت الأمة بها صارت أمة متكاملة البناء وتحقق لها الخير العظيم الذي بيّنه ربنا ﷻ بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى هو من أسمى مقومات الدعوة إلى الله تعالى.

ثانياً: فضل الدعوة إلى الله تعالى:

جاءت نصوص الكتاب والسنّة ببيان فضائل الدعوة إلى الله تعالى، كل

ذلك حثاً لأفراد الأمة إلى التسابق في الدعوة إلى الله تعالى. فمن ذلك قوله تعالى:

١ ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾. والمعنى: لا أحسن قولاً ممن دعا إلى الله تعالى. فأحسن الأقوال وأزكاها وأشرفها يكون بدعوة الناس إلى الخير الذي جاءت به نصوص الشريعة الإسلامية.

٢ ـ أن الداعي إلى الله تعالى يكون مقتدياً بنبيه ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فأتباعه ﷺ يدعون بدعوته التي هي الدعوة على بصيرة ومن لم يدع كان إتباعه للنبي ﷺ ناقصاً.

٣ ـ ومن فضائلها ما ثبت عنه ﷺ حيث قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**».

وقوله ﷺ: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**». هذه بعض فضائل الدعوة وإلّا فالفضل كثيرة.

لكن لما جاءت نصوص الكتاب والسنّة ببيان منزلة الدعوة إلى الله ركّزت على جانب مهم جداً قد يخفى على بعض الدعاة وهو امتثال الحكمة والموعظة الحسنة. قال تعالى توجيهاً لنبيه ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ ففي هذه الآية حدد الرب سبحانه وتعالى أموراً ثلاثة يتخلق بها الداعي إلى سبيله وهي: «الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن». فهذه هي درجات الدعوة إلى الله تعالى، فالحكمة هي الدرجة الأولى في الدعوة إلى الله تعالى.

والمراد بها القول العلمي البليغ الدقيق الذي يشكل على الحجج والبراهين المقنعة، وكذا الدليل الواضح وهذه بلا شك تكون لمن جهل الحق، فإذا بيّن له هذا الحق أخذ به ومن هنا كان ولا بد من استخدام الحكمة واللين واللطف.

أما الموعظة الحسنة والمراد بها بيان ثواب المطيعين لله تعالى وعقاب

العاصين له، وهذه الدرجة تكون لمن عرف الحق ولم يأخذ به فلا بد من تذكيره بالله تعالى ولطفه به وأليم عقابه لكي يتقوى فيه حوافز الخير وعواطف البر وكل ما فيه سعادة له في الدنيا والآخرة.

أما المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الجدال بالتي هي أحسن، فهذه تكون لمن عرف الحق ولم يقبله بل حاول رد الحق بالشبهات التي قذفها الشيطان في قلبه، فهنا يجادل بالتي هي أحسن لكشف شبهاته وبيان خطئه.

فينبغي على كل داعية أن ينتبه لهذه الأمور فهي من أعظم الوسائل لنجاح دعوته.

ثالثاً: أفضل السبل في الدعوة إلى الله تعالى:

لا شك أن وسائل الدعوة كثيرة وبخاصة في هذه الأزمنة التي تعددت فيها الطرق التي من خلالها يستطيع المرء وهو جالس في بيته أن يدعو إلى الله تعالى في جميع أنحاء العالم. وسنذكر هنا طرفاً من بعض وسائل الدعوة.

أولاً: الدعوة بالقول: وهي أعلى درجات الدعوة إلى الله تعالى، وتتمثل الدعوة بالقول في أمور كثيرة منها: الخطبة والدروس والندوات والإرشاد والكلمة الوعظية والفتوى الشرعية.

ثانياً: الدعوة بالكتابة: والمراد بالكتابة هنا جميع أنواع الكتابة من رسائل ومقالات وبحوث علمية، وتأليف الكتب المفيدة وطباعتها والكتابة إلى الصحف والجرائد والمجلات، وكذا كتابة المطويات.

ثالثاً: الدعوة من خلال الزيارات: ويتم ذلك من خلال زيارة الداعية إلى المرضى في المستشفيات أو زيارة بعض الناس في منازلهم وذلك لكي يكون الداعية مرتبطاً بالمدعو، وكذلك زيارة القرى النائية والقرى المجاورة.

رابعاً: ومن وسائل الدعوة أيضاً: إقامة المعارض الدعوية مثل ما تقوم به وزارة الشؤون الإسلامية في بلادنا هذه رعاها الله، فهذه المعارض بلا شك تُعد أيضاً من أعظم الوسائل في الدعوة إلى الله وذلك لما يعرض فيها من نشاطات تخدم الدعوة والدعاة، وتُعرف الناس بوسائل الدعوة إلى الله وتربطهم

بهذه المهمة الشريفة التي هي وظيفة الأنبياء والرسل وتبيّن لفئات المجتمع كلها كيف يساهم كل فرد منهم حسب جهده وطاقته وموقعه وقدراته في الدعوة إلى الله. ولذا لاحظنا آثار هذه المعارض على مجموعات كبيرة بالمشاركة الجادة في فروع الوزارة في مختلف مناطق المملكة، ولذا نحث كل إخواننا العاملين في مجال الدعوة للزيارة والمشاركة في هذه المعارض لكي نصل بها إلى أسمى ما يتمناه كل داعية.

نسأل الله تعالى أن يوفق القائمين على هذه المعارض وأن يجزيهم خير الجزاء، وصلّى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتاب

الجماعات الحزبية
خنجر مسموم طُعنت به
أمة الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد:

بعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ من جزيرة العرب إلى الإنس والجن عامة ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة وترك الشرك وأهله والبراءة من الشرك وأهله، والولاء للتوحيد وأهله.

وقد مكث النبي ﷺ عشر سنين يثبت العقيدة في نفوس أصحابه حتى قويت جذورها واشتدَّ أصلها، وبعد ذلك عرج به إلى السماء وفرضت الصلوات الخمس، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، ولما استقر بها أمر ببقية الشرائع من الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغيرها من شرائع الإسلام وعاش المجتمع المدني في أمن وطمأنينة بعد أن أنعم الله عليهم بفضله بالألفة والاجتماع بعد اجتماع القلوب على إخلاص الدين لله ومتابعة رسوله ﷺ وهذا هو منطلق الإسلام ومبنى جماعة المسلمين ومنهج النبي المصطفى ﷺ التربية على العقيدة وتصديق ذلك بالعمل، وبهذا الأمر أصبح الصحابة سادة العالم ثم لا يزال الأمر كذلك حتى بدأت الفرق والأحزاب تنخر في جسم الأمة وتمزقها متخذة كل وسيلة لهدم كيان الأمة المتماسك المبني على عقيدة الإسلام. والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين وقد أخبر عن ذلك الصادق المصدوق ﷺ بقوله: «**إن هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»[(١)] وفي رواية: «**قالوا: من هي يا رسول الله قال: ما**

---

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم ١٢٨/١، وأحمد ١٠٢/٤ من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

أنا عليه وأصحابي»[١] وهكذا يؤكد أن الاختلاف واقع لا محالة، وأن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة ذلك أن المختلفين المفترقين خالفوا هدي رسول الله ﷺ وابتعدوا عن سنته واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وصاروا شيعاً وأحزاباً كل حزبٍ بما لديهم فرحون، واتبع كل فريقٍ وحزب ما في قلوبهم من الهوى المخالف لهدي الرسول ﷺ فحلَّ ما حلَّ بالمسلمين من الكوارث والنكبات التي سببها البعد عن الاعتصام بالكتاب والسنة وسلوك طريق غير طريق المؤمنين وسبيل غير سبيلهم، وكل يغني على ليلاه، وكل يظن أنه يدعو إلى الخير، لكن ميزان الدعوة في الإسلام الذي يعرف به صواب منهاج الدعوة وخطؤه في أي زمان ومكان وعلى أي حال يتخلص في الآتي:

١ ـ مطابقة سبيل رسول الله ﷺ في إبلاغ رسالة ربه.

٢ ـ أن يكون الداعي إلى الله على بصيرة بما يدعو إليه أي على علم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة.

٣ ـ أن تقوم الدعوة إلى الله على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٤ ـ التزام الداعي إلى الله بما يدعو إليه ليقرن القول بالعمل. ويكون قدوة لمن يدعوهم.

وعلى قدر القرب من هذا الميزان والبعد عنه يكون التوفيق والسداد للداعي في كل زمان ومكان، وعلى كل حال، وهذا من حيث الجملة أما جزيرة العرب مهبط الوحي ومتنزل الرسالة ومهوى أفئدة المسلمين فلها شأن آخر لأن الله ميزها بميزات ليست لغيرها منها:

١ ـ وجود البيت العتيق فيها قبلة المسلمين في صلاتهم ومحط رحالهم في حجهم وعمرتهم.

---

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم ١/١٢٩ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢ ـ انطلاق رسالة التوحيد منها إلى الثقلين في كل زمان ومكان، فمنها بعث خاتم الأنبياء والمرسلين، ومنها انطلقت جحافل الإيمان تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ ـ الحكم بتطهيرها من الشرك وأهله حتى لا يجتمع فيها دينان. وها هي بلاد الحرمين الشريفين تتميز على بلاد الدنيا بميزات ظاهرة للعيان ومنها:

١ ـ قيام دولتها على الدعوة إلى التوحيد ونبذ ما سواه.

٢ ـ تحكيم شرع الله وإقامة حدوده.

٣ ـ شعارها في رايتها الشهادتان وهذه الراية ترتفع خفاقة حتى ولو نكست الرايات لموت عظيم أو كبير لم تنكس مهما كانت الظروف.

٤ ـ خلو أرضها ـ ولله الحمد والمنة ـ من التماثيل والأوثان والأضرحة والمقامات التي تنتشر في سائر بلاد المسلمين، ولكن الله حمى هذه البلاد منها لأنها قامت على التوحيد الخالص.

٥ ـ خلو المساجد في هذه البلاد المباركة من البدع التي تعج بها المساجد في كثير من الأصقاع الإسلامية.

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار معلن تفخر به هذه البلاد وقد وضعت به الأنظمة واللوائح وتصرف من أجله الملايين في كل عام.

٧ ـ الأذان للصلاة شعار يرفع يومياً وتلزم المؤسسات بإغلاق المحلات التجارية ويحاسب من يخالف هذه التعليمات كائناً من كان.

٨ ـ فرض الحجاب الشرعي على النساء ومحاسبة من يخالف ذلك.

٩ ـ فصل الرجال عن النساء في قاعات الدراسة ومنع الاختلاط في المنتديات والجامعات والمؤسسات الخاصة والعامة.

١٠ ـ لا تمنح جنسية هذه البلاد إلا لمسلم، وهذا أمر تفخر به هذه البلاد تنفيذاً لوصية المعصوم ﷺ: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم ٥/ ١٦٠ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذه حال جزيرة العرب ولله الحمد والمنة، والمتأمل لحال كثير من البلاد الإسلامية التي عصفت بها رياح الفتن والاختلافات ودخلها التفرق وتغلغلت بها الحزبيات والجماعات يرى العجب، لقد وصل الحال بالمسلمين نتيجة لتعدد الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف إلى أن تعدى بعضهم على بعض بالتهم والإشاعات الكاذبة والسباب حتى اعتدى بعضهم على بعض.

والعجيب الغريب أن هؤلاء الذين وقف بعضهم في طريق بعض أذى بعضهم بعضاً يدعي كل منهم أن همَّهم الأول تجميع الصفوف ووحدة المسلمين، ونحن نقول كيف تجتمع الصفوف ويتحد المسلمون بواسطة جماعات وطوائف وأحزاب متفرقة كل طرف منها يحاول بكل وسيلة أن يثبت أنه على الحق وغيره على الباطل، كل ما كان يؤدي لخدمة حزبه وجماعته يسارع إليه ويشجع عليه، وما وقف في طريق حزبه أو خالفه يبذل الغالي والنفيس للتخلص منه. أما الموازين الشرعية عند هؤلاء فهي غائبة فالقرب منهم والبعد والحب والكره كل ذلك منوط بالانضمام معهم والانخراط في حزبهم، وكان الأجدر بهؤلاء أن يتحدوا على السنَّة لأنها أساس الاتحاد وأصل جمع الصفوف وسفينة النجاة. نعم لأن السنَّة أمارة الوحدة والبدعة أمارة الفرقة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في (الاستقامة ١/ ٤٢): «البدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة» فهذه الجماعات وهذا التفرق الحاصل على الساحة اليوم لا يقره دين الإسلام بل ينهى عنه أشد النهي، ويأمر بالاجتماع على عقيدة التوحيد وعلى منهج الإسلام جماعة واحدة وأمة واحدة كما أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذلك، والتفرق وتعدد الجماعات إنما هو من كيد شياطين الجن والإنس لهذه الأمة فما زال الكفار والمنافقون من قديم الزمان يدسون الدسائس لتفريق الأمة. وعليه فإذا انعقدت فرقة أو جماعة أو حزب إسلامي تحت شعار معين مستحدث يعقد عليه الولاء والبراء وإذا انعقدت ملتزمة بعضاً مما أمر الله به دون بعض وإذا انعقدت لا توالي إلا من انتظم في سلكها دون

من سواهم، وإذا انعقدت في بلد أهل منهاج النبوة التي درج عليها السلف الصالح أهل السنة والجماعة مخالفة في أمر كلي أو جزئي باسم أو رسم. فكل هذه عقود محرمة لا تجوز لما فيها من البغي بغير الحق وهضم لجوانب في الإسلام وميل عن طريق النبي ﷺ في الدعوة وشذوذ عن الأصل جماعة المسلمين وإيذان بتفرقهم وتشتيت لشملهم وكسر لوحدتهم والمتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم يرى أن البدن الإسلامي مثخن بمحنة الأحزاب حيث لا يرضاها لبوساً ولا يهضمها فهو بها يعايش علة انتحار داخلي في الأمة لأنها قضت على حرية الرأي والإبداع في الأمة، وقد تساقطت الفرق في الماضي الواحدة تلو الأخرى ومن نهج نهجها سيقتفي أثرها في السقوط مهما كانت جذور حزبيته ضاربة في الأرض لأن هذه سنة الله في خلقه، والحزبية كانت وما تزال حجاباً عن معرفة الحق لداء التعصب المقيت الذي يلازمها وهي كذلك من أسباب ضعف الغيرة على التوحيد الخالص ودليلنا على ذلك سكوت بعض الحزبيين عن أخطاء جوهرية في المعتقد لتأليف القلوب بزعمهم وساء ما يزعمون، والحزبية كذلك سبب للفرقة التي هي من أقوى المعاول التي حطمت بها الأمة ولا تزال، فالحزبيون لا يهمهم إلا أنفسهم ومن على شاكلتهم، وأما غيرهم فمهما كان صلاحه وتقاه فهو عقبة في طريقهم والحزبيون لا يرون الدعاء لولي الأمر. وهذا من جهلهم وفاحش غلطهم، سُئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن من يمتنع عن الدعاء لولي الأمر فأجاب: هذا من جهله وعدم بصيرته، الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات ومن النصيحة لله ولعباده والنبي لما قيل له أن دوسا عصت فقال: «**اللهم أهد دوسا وأتِ بهم**»[1]، يدعو للناس بالخير والسلطان أولى من يدعى له لأن صلاحه صلاح للأمة، فالدعاء له من أهم الدعاء، ومن أهم النصح أن يوفق للحق وأن يعان عليه وأن يصلح الله له البطانة، وإن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء فالدعاء له بأسباب التوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل

(١) أخرجه البخاري ٨/ ١٠١، ومسلم ٤/ ١٩٥٧ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

من أهم المهمات، ومن أفضل القربات[1].

إن الذين يمتنعون عن الدعاء لولاة الأمور ويجتهدون في بذر الفرقة والخلاف بين عامة الناس وولاة أمورهم بنشر الكذب والزور وتضخيم بعض الأمور فوق حجمها وتوزيع المنشورات في كل مكان هم الحزبيون الذين أقلقهم ما تعيش فيه هذه البلاد من أمن وطمأنينة وتلاحم بين قيادتها وشعبها، ولكن الله حافظ دينه وناصر كلمته ومعز سلطانه ولو كره الحاقدون.

أن ولاة الأمر في هذه البلاد ـ بلاد الحرمين الشريفين ـ حين يأخذون على أيدي بعض السفهاء والحاقدين، ويحاسبونهم كلٌّ حسب جرمه وخطئه وينفذون فيهم شرع الله عن طريق المحاكم الشرعية إنما يستجيبون لتوجيه العلماء ودعوتهم للأخذ على أيدي العابثين والمتربصين بهذه البلاد الدوائر، أما أن يترك الحبل على الغارب ويتغلغل إلينا الحزبيون وأصحاب الولاءات فهذا مالا ترضاه هذه البلاد قيادة وعلماء وشعباً لأن الجميع عاهدوا الله على تحكيم شرعه وبايعوا ولي الأمر على ذلك، وستبقى هذه البلاد بمشيئة الله قوية بإيمانها متمسكة بشرع الله يتعاون فيها ولاة الأمر والعلماء وسائر أفراد الشعب على الضرب بيد من حديد على من تسوِّل له نفسه تعكير الصفو أو تمزيق الصف أو بذر الخلاف والفرقة، والله غالب على أمره ولو كره المجرمون.

اللهم احفظ بلادنا ومقدساتنا وولاة أمرنا وعلماءنا من كيد الكائدين وحقد الحاقدين، اللهم أيد بالحق ولاة أمرنا واقمع بهم الباطل وأهله اللهم أصلح بهم البلاد والعباد واجمع بهم كلمة المسلمين واحفظهم بالإسلام قائمين قاعدين وأعنهم على أمور دينهم ودنياهم يا كريم. . . . آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم ص٢١.

ثانياً:

قسم الوصايا والتوجيهات والفوائد



دور القرآن الكريم
في حماية الناشئة

(تنشر لأول مرة)

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على الهادي البشير؛ الذي بعثه ربه رحمة للعالمين، فكان خلقه القرآن حيث شهد له ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] فصلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة أما بعد:

فلقد أنزل القرآن على قلب رسوله ﷺ ليكون للناس حجة ومنهجاً وليكون لهم سبيلاً للنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

إن من أكبر النعم علينا أن شرفنا الله بهذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما تمسكت به أمة إلا أفلحت في الدنيا والآخرة، والذي أنقذ الله به البشرية من جميع الشرور والفتن، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت الفتن في كل مكان؛ من فتن الشبهات والشهوات، وفتن الأفكار المنحرفة والتوجهات الضالة التي تفسد وتهدد الأولاد والشباب.

فما على الآباء وأولياء أمور الناشئة إلا أن تبحث عن الطريق الأمثل الذي ينجي الأبناء ـ بعون الله ـ مما وقع فيه العالم من ظلمات الفتن . وإننا على يقين أن خير ما يحقق ذلك هو الرجوع إلى كتاب الله وإجلاله وجعله محل الصدارة في التربية والتعليم وربط الناشئة به ربطاً وثيقاً تلاوة وتدارساً وتعليماً.

ولنتذكر كل منا أن العناية بكتاب الله وحفظته وتعليمه وتعلمه من أفضل القربات إلى الله تعالى وأن أجره دائم لا ينقطع.

نسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يسلكنا في زمرة عباده الصالحين وأن يهيء لنا أسباب خدمة كتابه المبين ويهدي ناشئة هذه الأمة إلى صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



الحث على تعلم القرآن وحفظه وتدبره والعمل به

القرآن الكريم كتاب الله يهدي للتي هي أقوم وإلى صراط مستقيم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

والقرآن العظيم كما أنه كتاب هداية وإصلاح هو كذلك كتاب تربية وتهذيب، يتضمن منهاج الحياة السوية، بل لا منهج تربوياً كاملاً في مضامينه شاملاً في مقاصده كالمنهج القرآني الجليل.

ولقد كان النبي ﷺ منذ فجر الإسلام يربي أصحابه على القرآن العظيم؛ تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتطبيقاً، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

١ ـ الحث على تعلم القرآن وحفظه:

وردت الأحاديث النبوية وأقوال السلف التي تحث على تعلم القرآن وحفظه وتدبره والعمل به، منها:

روى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[(١)].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم فقلنا يا رسول الله نحب ذلك قال:**

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٤٧٣٩).

أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كاتب الله ﷻ خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل»[(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٢)] .

وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: سألت ابن عباس أي العمل أفضل؟ قال: «ذكر الله وما جلس قوم في بيت يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها وكانوا أضياف الله ما داموا فيه حتى يفيضوا في حديث غيره»[(٣)] .

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**»[(٤)] .

٢ ـ واجب المسلم نحو القرآن هو تدبره والعمل بما فيه:

إن المسلم حين يقرأ القرآن ينبغي له أن يتدبر آياته ويتفكر فيها فليست القراءة له مجرد التلاوة بل لا بد من تدبره والعمل بما فيه، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين قصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (٨٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٠٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام (٥١١١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧).

وتعددت الآيات القرآنية التي تدعو لتلاوة القرآن وتدبره والعمل به؛

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

• وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

• وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فالاستفادة من قراءة القرآن مرتبطة بتدبره، يقول أحد السلف: «ألا ترون ـ رحمكم الله ـ إلى مولاكم الكريم كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه عرف الرب عَجَّلَ وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاء..»[(١)].

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يبين لنا كيف تكون قراءة القرآن حيث يقول: «لا تنثروه نثر الدقل[(٢)] ولا تهذوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، حركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[(٣)] فيه النهي عن الهذ[(٤)] وقد حث الله عَجَّلَ على القرآن وتدبره حيث يقول: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] وقال في موضع آخر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

---

(١) أخلاق حملة القرآن لمحمد بن الحسين الآجري ص١١١.

(٢) اردأ التمر: معجم مقاييس اللغة، باب الدال والقاف (٢/ ٢٨٩).

(٣) أخلاق حملة القرآن للآجري ص١١٢.

(٤) الهذّ: بتشديد الذال هو شدة الإسراع والإفراط في العجلة، انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ١٠٥).

إن الله تعالى أمر بتدبر القرآن لمن أراد أن يقرأه، إذ التدبر اتباع لما جاء من توجيه للسلوك واتباع للفضائل وبعد عن الرذائل. أما قراءة القرآن بدون تدبر فهذا لا يكون فيه تأثير على صاحبه، وقد بين أحد السلف ـ رضوان الله عليه ـ حال مثل هؤلاء بقوله: «إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفاً وقد والله أسقطه كله ما ترى في خلق ولا عمل حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس واحد والله ما هؤلاء بالقرّاء ولا الحكماء ولا الورعة»[(١)].

لكي يرتبط المسلم بكتاب الله ربه دائماً ويتمثله في حياته، يلزمه أثناء قراءته الوعي لما يقرأ، وتدبره على أنه توجيهات حية تتنزل عليه في تلك اللحظة لتعالج المسائل التي تواجهه، ولتنير له الطريق إلى المستقبل، لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل ولا على أنه سجل لحقائق مضت ولن تعود.

فلا بد لكل فرد مسلم أن يأتي إلى القرآن بقلب سليم مخلص يخشى ويحذر أن يكون على ضلالة، عندئذ يفتتح القرآن عن أسراره وأنواره التي تشده في كل لحظة إلى الارتباط به والاطلاع عليه[(٢)].

إن المسلم الحقيقي هو الذي يعتصم بالقرآن علماً وحالاً وتلاوةً وسمعاً باطناً وظاهراً كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما قال: «فالمعتصمون به علماً وحالاً وتلاوةً وسمعاً باطناً وظاهراً هم المسلمون حقاً»[(٣)].

وأمراض القلب تجمعها أمراض الشبهات الشهوات، والأفكار المنحرفة والتوجهات الضالة والقرآن شفاء وحماية لها، ففيه بينات وبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، وبين الطريق السوي من الطريق المعوج فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه،

---

(١) أخلاق حملة القرآن للآجري ص١٦٩.
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/٣٨، ٢٦١).
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٣٧٦).

فمن درس القرآن وخالط قلبه وعمل به أبصر الحق والباطل وميز بينهما كما ميز بين الليل والنهار كما قال عليه الصلاة والسلام: «... **إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوّم**...»(١).



(١) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٢/ ٤٢٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٩١)، والترمذي في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن عن علي (٤/ ٣٤٥).

مسؤولية الأبوين تجاه أبنائهم وبناتهم وذلك بحثهم على تعلم القرآن وتطبيقه

إن على الوالدين مسؤولية كبيرة تجاه أبنائهم وبناتهم وهي مسؤولية تعليمهم القرآن أو بحثهم على تعلم القرآن وتطبيقه في الحياة اليومية.

لقد كان دأب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يحثون أبناءهم على تعلم القرآن وتطبيقه في أنفسهم وفي أولادهم، وهم أكرم الأجيال وأفضلها، يحفظون القرآن ويحفظونه أولادهم تلقياً عن رسول الله ﷺ في صلواتهم وغيرها حتى كان حفظ القرآن وتلاوته وتلقيه جزءاً من حياتهم اليومية.

أخرج الطبراني وابن النجار عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن**»[١].

وروى الحاكم بسند ضعيف عن أبي ذر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ختم سورة البقرة بآيتين، أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم فإنها صلاة وقرآن ودعاء**»[٢].

وكان من حرص الصحابة رضوان الله عليهم في توجيه أبنائهم دقة الملاحظة في مراقبة أفعال أبنائهم مع القرآن، وحكاية ذلك للنبي ﷺ للتعرف على ما ينفع أبناءهم: أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو: أن رجلاً جاء بابن له فقال: يا رسول الله! إن ابني يقرأ المصحف بالنهار ويبيت الليل، فقال رسول الله ﷺ: «**ما تنقم إن ابنك يظل ذاكراً ويبيت سالماً**»[٣].

---

(١) ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير، انظر: فيض القدير للمناوي (١/ ٢٢٥).
(٢) ضعيف الجامع (١٦٠١).
(٣) أخرجه أحمد في مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٦٦١٤).

ونرى نصح الصحابة للناس بهذا القرآن وتنشئة أبنائهم على حبه وتلاوته، فقد ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره؛ أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى، قال: اقرأ «تبارك الذي بيده الملك» وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك، وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ: «**لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي**»[١].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «عليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظاً لمن عقل»[٢].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة»[٣].

ومما يجب أن يهتم به الوالدان هو ترسيخ معاني القرآن في الأبناء، وربطهم بالقرآن تبنى في أنفسهم العقيدة الإسلامية، وتعليم الأبناء التحاكم إلى القرآن يبني فيهم العقلية الإسلامية التي تساعدهم على معرفة الحق من الباطل والكفر والإيمان، وتحميهم من الأفكار المنحرفة والتوجهات الضالة.

على سبيل المثال: نظرية فرويد أن أصل الإنسان قرد تعاكس ما جاء في القرآن أن الله تعالى خلق آدم في الجنة، ثم أهبطه إلى الأرض، فالإيمان بما أخبر القرآن يمثل عقيدة، ومحاكمة نظرية فرويد وفق القرآن يمثل بناء العقلية الإسلامية في الأبناء.

«وينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى،

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١٤٠).

(٢) رواه أبو عبيد بن عبد السلام في كتابه (فضائل القرآن) تحقيق مروان العطية ورفيقه طبع دار ابن كثير ص٥٣.

(٣) المصدر السابق ص٧٦.

وتسري روح القرآن في قلوبهم، ونوره في أفكارهم ومداركهم وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشآ ويشبَّا على محبة القرآن والتعلق به، والائتمار بأوامره، والإنتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهجه.

قال الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام؛ فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها؛ وسوادها بأكدار المعصية والضلال»[(١)].

وأكد ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ هذا المفهوم بقوله: «تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات»[(٢)].

ونورد هنا أقوال السلف الصالح التي تحث على تعليم الأبناء القرآن الكريم ليقتدي بها الآباء والأمهات.

١ ـ أقوال السلف الصالح بتعليم الأولاد القرآن الكريم[(٣)]:

وعن عبد الله بن عيسى رَحِمَهُ اللهُ قال: لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدانها القرآن. وعن ثابت بن العجلان رَحِمَهُ اللهُ قال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ ليريد أهل الأرض العذاب فإذا سمع صوت الصبيان يتعلمون الحكمة صرفه عنهم، قال مروان: الحكمة القرآن.

عن الضحاك بن قيس رَحِمَهُ اللهُ قال: أيها الناس! علموا أهاليكم القرآن فإنه من كتب الله عَزَّ وَجَلَّ من مسلم أن يدخل الجنة من ذكر أو أنثى أتاه ملكان فاكتنفاه فقالا له: اقرأ وارتق في درج الجنة حتى ينزلاه حيث بلغ علمه من القرآن.

---

(١) نقلاً عن «منهج التربية الإسلامية للطفل» لمحمد نور عبد الحفيظ سويد (٢/ ١٨٢).
(٢) في مقدمته ص٣٩٧.
(٣) نورد هنا من كتاب (العيال) لابن أبي الدنيا (١/ ٤٧٨) باب تعليم الأصاغر القرآن، تحقيق د. نجم خلف.

وقال سعد بن العاص رضي الله عنه: «كان عمره عند وفاة النبي ﷺ تسع سنين»: «إذا علّمت ولدي القرآن وحججته وزوّجته، فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه».

٢ ـ أجر الوالدين في تعليم الأولاد القرآن الكريم:

إن الله تعالى وعد للوالدين يوم القيامة أجراً نتيجة تعلم أبنائهم القرآن الكريم كما في قوله ﷺ: «**من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلبس والده يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل الشمس، ويكسى والده حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسبنا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**»(١).

وروى الدارمي في سننه ـ بسند حسن ـ عن وهب الذماري رحمه الله قال: «فإذا كان يوم القيامة قيل: أين الذي كانوا يتلون كتابي، لم يلههم اتباع الأنعام، فيعطي الخلد والنعيم، فإن كان أبواه ماتا على الطاعة جعل على رؤوسهما تاج الملك فيقولان: ما بلغت هذا أعمالنا؟ فيقول: بلى! إن ابنكما كان يتلو كتابي»(٢).

٣ ـ نماذج من حفظة القرآن من الأطفال:

هذه نماذج نضعها بيدي الوالدين لتكون وسيلة في استنهاض الهمم، وشحن النفوس، نحو الاهتمام بحفظ كتاب الله ولتكون أداة فعالة في تنشيط العقول وتحريكها للتغذي بها المنهل العذب:

- يقول الشافعي رحمه الله: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر»(٣).
- ويقول سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: «فمضيت إلى الكتاب فتعلمت

---

(١) رواه أبو عبيد بن سلام في فضائل القرآن ص٨٥ وقال محققو الكتاب: رواه أحمد (٥/ ٣٤٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩): رجال الصحيح.
(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٤٠) من طريق حسن، ورواه أبو يعلى (٣/ ٦٥) بسند ضعيف.
(٣) طبقات الحفاظ للسيوطي ص١٥٤.

القرآن وحفظته وأن ابن ست أو سبع سنين»[١].

• وأما الإمام النووي رحمه الله، فيقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي عنه: رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته، وكان قد جعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل في البيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلمه فوصيت به وقلت له: إنه يرجى أن يكون أعلم زمانه وأزهدهم وينتفع به الناس، فقال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالديه فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم[٢].

• والآن مع ابن سبعة عشر عاماً حفظ القراءات السبع: ذكر الدكتور عبد الحي الفرماوي في مقدمة تحقيقه لكتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تأليف محمد بن الجزري، عن حياة المؤلف:

«يحدثنا التاريخ أن أباه كان تاجراً، وقد حرص بعد أن استجاب الله لدعائه على تربية ابنه تربية دينية، وعلى تنشئته نشأة صالحة، ولذا نشأ ابن الجزري في بيت يقدر العلم وأهله مما ساعده على أن يتم حفظ القرآن، وله من العمر ثلاثة عشر عاماً، وأن يسمع الحديث، ويفرد القراءات على أعلام بلاد الشام بالقراءات، وهو الشيخ ابن اللبان كان ذلك وهو لم يزل في عامه السابع عشر»[٣].

• وفي عصرنا الحاضر يحدثنا العلامة محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله ابن محمد يحيى الكنادهلوي الذي ذكر عن والده فيقول: «كان رحمه الله تعالى حفظ ربع الجزء الثلاثين من القرآن عند فطامه، وحفظ سائر القرآن إذ كان عمره سبع سنين، وكان والده قدس سره قد أمر بعد فراغه من حفظ القرآن قبل

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٣/ ٧٢).
(٢) الطبقات الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٦).
(٣) طبقات القراء (٢/ ٢٤٧).

شروعه في الكتب العربية أن يقرأ كل يوم القرآن المجيد مرة واحدة، فكان يبتدئ من بعد الفجر ويختم قبل الظهر، وتسلسل عمله ذاك إلى ستة أشهر»(١).

هذا ولئن كانت الناشئة عماد الأمة وأمل المستقبل فحري أن تنشأ على مائدة القرآن وأن تنهل من معينه الذي لا ينضب وأن يكون القرآن العظيم وهو كلام الله جل ذكره الهاجس الأكبر للولد يقرؤه ويردده غدواً وعشياً في الخلوة والجلوة، يتلوه تدبراً وتفكراً قراءة وعملاً، حتى إذا شب عن الطوق شب وقد امتلأ صدره بنور القرآن وشغف قلبه بحبه فكان تقياً نقياً عالماً عاملاً، وأي سعادة يحصلها الإنسان بعد هذا؟.



(١) انظر: كتاب (لامع الدراري على جميع البخاري) في نهاية المقدمة (١/ ١٥٢) الطبعة الهندية الحجرية.

الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع أود أن ألخص ما توصلت إليه وهو كالآتي:

أولاً: أن تعلم القرآن وحفظه وتدبره والعمل به واجب من واجبات المسلم الحقيقي إذا أراد الخير في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أن القرآن منهج التربية الذي سلكه رسول الله ﷺ وتربى عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليه.

ثالثاً: أن الله أمرنا بأن نقرأ القرآن مع التدبر لأن في التدبر تأثيراً على القلوب ويربطنا به في حياتنا ليعالج المسائل التي تواجهنا، وينير لنا الطريق إلى المستقبل.

رابعاً: أن المسلم الحقيقي هو الذي يعتصم بالقرآن علماً وحالاً وتلاوة وسمعاً باطناً وظاهراً كما قال ذلك شيخ الإسلام.

خامساً: أن الصحابة والسلف الصالح هم خير قدوة في تعلمهم القرآن وتدبرهم له وعملهم به.

سادساً: أن العمل بالقرآن في الحياة الواقعية يحمي صاحبه من الشبهات والشهوات، ويبعدهم عن الأفكار المنحرفة والتوجهات والتيارات الضالة.

سابعاً: أن على الآباء وأولياء الأمور مسؤولية كبيرة تجاه أبناءهم وبناتهم وذلك بحثهم على تعلم القرآن وتطبيقه في الحياة.

ثامناً: ينبغي للآباء وأولياء الأمور أن يقتدوا بالصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح في حث أبنائهم على تعلم القرآن وتطبيقه في أنفسهم وفي أولادهم حتى يكون جزءاً من حياتهم اليومية.

تاسعاً: أن تعليم الأبناء القرآن الكريم منذ الصغر يحميهم من الانحرافات العقدية والسلوكية والتوجهات الضالة، لما في القرآن من توجيهات ربانية تنورهم في أفكارهم ومداركهم وحواسهم.

عاشراً: لا بد للوالدين أن يهيئا الجو القرآني للناشئة لينشأ على الفطرة ويشب على محبة القرآن والتعلق به ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال.

الحادي عشر: أن جميعة القرآن الكريم في هذه المحافظة وغيرها في مناطق المملكة العربية السعودية لها دور كبير في العناية بكتاب الله جل وعلا والاهتمام به حيث أن هذه الجمعية قد أسهمت إسهاماً كبيراً في تخريج الحفاظ وحملة القرآن ليحيى بهم روح الإيمان في قلوب المسلمين، ويحميهم من كل شر.

وأخيراً أسأل الله أن ينفع بهذا البحث المتواضع وأن يجعله خالصاً لوجهه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





رسالة في

هدي الرسول ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(تنشر لأول مرة)

هدي الرسول ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبابي وإخواني في الله:

في هذه الليلة المباركة وفي مساء هذا اليوم الأربعاء الموافق للسابع عشر من شهر ربيع الآخر من العام التاسع والعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وفي هذا المكان الطاهر في جامع «موضي السديري في مدينة الرياض» ووسط هذا الجمع المبارك الطيب،

وفي مجلس نرجو أن تحفه الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتتنزل عليه السكينة، في مجلس ندعو أن يحبه الله تعالى ويباهي به ملائكته، في مجلس نسأل الله ألا يقوم فيه من حضره إلا وقد غفرت له ذنوبه، كما قال ﷺ: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»(١)، وقال أيضاً: «**ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم**»(٢).

إخواني وأحبابي في الله:

إن الله ﷻ امتن على أمة الإسلام ببعثة محمد ﷺ، الذي أكرمه ربه بذكره في كتابه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، فأخرجها الله به من العمى إلى البصيرة، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وجعله الله سداً منيعاً لأمته من عذاب الله ما دام أنه يعيش بين أظهرهم، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال].

ولقد بعثه الله ﷻ إلى الثقلين ـ الإنس والجن ـ كافة يحذرهم من الشرك، ويدعوهم إلى التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك وأهله، والولاء للتوحيد وأهله، والتمسك بجميع الأخلاق الحميدة، والبعد عن الأخلاق الرذيلة المنكرة.

ولقد أخذ ﷺ على هذا نحواً من ثلاث عشرة سنة بمكة، ثم هاجر بأمر ربه تبارك وتعالى إلى المدينة المنورة، فلما استقر فيها أمر ببقية الشرائع، وإن مما أمر به ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى آمراً له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فاستجاب النبي الكريم ﷺ لأمر ربه، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ودعا إلى الله حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٠٩).

تعريف المعروف والمنكر:

معلوم لما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منزلة في دين الله تعالى، بل عدَّه بعض العلماء بأنه الركن السادس من أركان الإسلام، وذلك لفضله وأهميته.

والمعروف: «فهو ما عرف الناس بأنه محبوب للشارع سواء كان مفروضاً كان أو مسنوناً أو مستحباً».

والمنكر: «هو ما ينكره الشارع سواء كان محرماً أو مكروهاً».

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله: «اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: ٢١]. قال: «دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة».

وقال الحسن البصري رحمه الله: «من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه».

ومن أجل ذلك أنشئت هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للقيام بهذه الوظيفة في هذه البلاد المباركة وهي تدعم من ولاة الأمر ـ وفقهم الله ـ كغيرها من الدوائر الحكومية.

ومن الأدلة الشرعية على أهمية هذه الفريضة ما يلي:

من كتاب الله:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

ومن السنة:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[(١)].

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم**»[(٢)].

لذا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو وظيفة الرسل جميعاً، وإن أكبر معروف هو معرفة الله وتوحيده، وأكبر منكر هو الكفر بالله وعبادة غيره معه.

وهو وظيفة أتباع الرسل الصادقين أيضاً الذين تمسكوا بالصراط المستقيم، ولم يبتدعوا في دين الله تعالى.

ومعلوم للجميع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما تصلح به الأمم، وبدونه تعتريها الآفات والمصائب، وتنعدم فيها الأخلاق، وتضيع فيها القيم، ويسود فيها الفساد، ويؤخذ العامة بذنوب الخاصة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) أخرجه الترمذي، وأحمد، والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد وأهل السنن بعدة روايات، وحسنه الترمذي.

وبهذا يعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أجل الأعمال ومن أفضل القربات إلى الله ﷻ، ويتحقق بالقيام به الخيرية المشار إليها في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ أي: إن الخير سيظل فيكم ما دامت فيكم فئة تأمر بالخير وتنهى عن الشر.

بل إنه لن يتحقق لأمتنا الفلاح إلا بالتناصح وتوجيه بعضنا لبعض لا فيما نحب ونهوى، بل حتى فيما نكره ونبغض، نتناصح ونتكاتف، ونكون أولياءً لبعض، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فمتى قمنا بهذه المهمة وخصص لهذه الفريضة العظيمة من أهل العلم والحزم والحلم من يقوم بها، وناصرناهم بأقوالنا وأفعالنا وكتاباتنا، ولم نلتفت يوماً من الأيام إلى من يطعن بهذه الفريضة، وما يقوم به أولئك الذين يبذرون الشوك في الطريق ويعيقون كل دعوة خير ويثيرون حولها من الشكوك والشبه ما يكرِّه الناس بهذه الفريضة والقائمين عليها، فهنا نستحق نصر الله لنا كما قال تعالى: ﴿... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

فالقول قول الله والحكم حكم الله، إنهم هم المفلحون، وإنهم هم المنصورون، وإنهم هم الموفقون، فلن تضرهم الصيحات ضدهم، ولن ينخر جدارهم العظيم مقالات تطعن بهم أو مجالس تشوِّه فعلهم أو كتابات تحذر منهم.

إن من قام بحق الله وأدى فريضة الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان حقاً على الله نصره وتأييده وتوفيقه، والله كفيل بإسكات هذه الصيحات التي تخاف وترتعد من إظهار هذه الفريضة، والذين يعلمون حق اليقين أنهم سيكونون أول من سيبدأ بهم قبل غيرهم لما عندهم من التقصير

والأخطاء، والسعيد كل السعادة من ضمن الله له الفلاح وأرشده إليه، والشقي كل الشقاء من خالف أمر الله وحارب دينه.

أهمية هذا الموضوع:

ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وضرورته لأمتنا ومجتمعنا، وحيث أن إدراك الناس لأهمية هذا الركن العظيم قد ضعف، وقلَّ المنكرون، وظن بعض الناس من ضعاف الإيمان أنه سيف مسلط على رقابهم، وبعض المبطلين تلاعب بحكايات ملفقة حوله من أجل إبغاض الناس فيه، ووقوع بعض المنكرين من المسلمين في مفاسد كثيرة لقلة فقههم بهذا الركن العظيم، وخاصة تلك الفئة الشاذة التي خرجت على أمة الإسلام تكفر، وتقتل، وتروع، وتفسد، وتنفر من أصحاب الإرهاب الذين أفسدوا وشوَّهوا صورة الخير وأهل الخير.

لذلك كله سأبين هدي رسولنا ﷺ في هذا الركن العظيم، وما كان يقوم به من الإنكار، وكيفية تعامله مع المخطئين، وأسلوبه في التوجيه والنصح، وحلمه ورفقه بالناس كافة، وكيف أنه ﷺ كسب قلوب كل من تعامل معه، وسمع توجيهاته ونصائحه.

رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة:

الناظر في حياة نبينا ﷺ وسيرته العطرة حول هذا الركن العظيم يجد العجب العجاب، فالمواقف والأحداث التي مر بها أثناء رحلة الدعوة تبين مدى تخلقه بصفات يعجز عن وصفها المنصفون، وتتوقف عند عظمتها أقلام الصادقين.

فحري بنا أن ننظر في سيرته، ونشرب من معينه، ونستعرض أعماله ومآثره، حتى نسير على طريقه، ونتلمس دربه فلا نضل بعد هدى، ولا نعمى بعد نور.

النبي ﷺ هو الأسوة لنا في كل شيء، والقدوة لنا في كل صغيرة

وكبيرة، وكيف لا وقد أمر الله تعالى أمة الإسلام باقتفاء أثره، والاستنان بسنته، والعض عليها بالنواجذ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾. . .[الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ في آخر حياته موجهاً الأمة إلى التمسك بهديه وسنته آمراً لهم ألا يحيدوا عنها ففيها الخير والرشاد، وأن يعضوا عليها بالنواجذ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[١]. فيجب على المسلمين من أجل تغيير الانحرافات الواقعة في الأمة، وإيجاد الفضيلة والخير أن يكونوا سائرين على المنهج الذي سار عليه الرسول ﷺ، ومن حاد عن منهجه ضل وهلك.

لقد اتصف النبي ﷺ بأجل الصفات وأكرمها، وحوى منها ما لم يحصل عليه بشر في هذه الدنيا، ولقد أمر نبينا ﷺ أمته أن يلتزموا بما كان عليه حتى يحصلوا على خيري الدنيا والآخرة.

لقد كان النبي ﷺ من أرفق الناس بالناس، وكيف لا وهو حاصل على أجل صفات البشر من الرفق والحلم، وها هو ﷺ يوجه لمن أراد أن يأمر وينهى أن يتصف بصفة عظيمة يحتاجها الآمر والناهي، وهي صفة الرفق.

فقال: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**»[٢].

وقال أيضاً: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[٣].

وعن جرير رضي الله عنه مرفوعاً «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**»[٤].

---

(١) رواه مالك في الموطأ، وصححه الألباني في صفة الفتوى.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

فهذه الصفة وغيرها من الصفات الحميدة من الرحمة والشفقة والإحسان محببة إلى الخلق كافة، لأن الإنسان بطبعه وفطرته يحب الإحسان ويكره الإساءة، وهو يقبل من طريق الرفق ما لا يقبل من طريق العنف والشدة، بل إن الإنسان ـ غالباً ـ إذا أُمِر بعنفٍ فإنه تأخذه العزة بالإثم، فيأنف ويصر على خطئه عناداً، وهو بطبعه نفور من أهل الفظاظة والغلظة، قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولذا أرشده المولى جل وعلا إلى المدخل إلى نفوسهم وقلوبهم وهو ضد ذلك الوصف الرديء، فقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾، وهذا ولا شك إذا كان المقام يحتمل ذلك، ثم أعقب ذلك بقوله ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾، فاتصاف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالشفقة والرحمة والخوف على مصلحة المأمور أمر ضروري لقبول دعوته.

وهكذا كان حال النبي ﷺ كما قال الله تعالى عنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر..».

ومن الأمثلة العجيبة في تحقيق هذا المطلب في واقع المسلمين من الكتاب والسنة ما يلي:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله. ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه ـ دائما إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى

رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾.

ونقل عنه ﷺ نماذج كثيرة من سيرته الحسنة في باب الحسبة، وكيف كان من أجل الناس وأحسنهم تعليماً وإرشاداً، ومن ذلك:

* عن عائشة رضي الله عنها أن يهوداً أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة رضي الله عنها عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم، قال: «**مهلاً يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش**، قالت: أولم تسمع ما قالوا، قال: **أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ**»(١).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فاحشاً، ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عن المعتبة ماله ترب جبينه»(٢).

وكان عليه الصلاة والسلام حليماً في تغييره للمنكر وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ينظر دائماً إلى عواقب الأمور، فإذا رأى في ذلك مفسدة صبر حتى يجد الفرصة المناسبة ويبين لصاحبها، وإذا لم تكن هناك مفسدة باشر تغيير المنكر بيده.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

حادثة تبول الأعرابي في المسجد ـ والتي سيأتي ذكرها ـ وتسابق الصحابة رضي الله عنهم على توبيخه على هذه الفعلة وأخذ النبي ﷺ الأمر كله بالحلم والأناة ونهيه لأصحابه عن زجره وتوبيخه فقال: «**لا تزجروه وصبوا على بوله ذنوباً من ماء**»(٣).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: «وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزم من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولاسيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه».

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) رواه البخاري.

وما فعله كبير المنافقين من سب للنبي ﷺ واتهامه بعرضه، وترك النبي ﷺ له ولأصحابه عن قتالهم أو إيذائهم تحقيقاً للمصلحة وبعداً عن المفسدة التي كان يتوقعها عليه الصلاة والسلام من ذلك، لذا قال النبي ﷺ: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي**».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ لعبد الله ابن أبيّ وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان فإزالة منكر بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه».

أمره ونهيه ﷺ في مجال العقيدة:

* جاء في سنن الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ونحن حديثوا عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح قال: فمررنا بشجرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، وكان للكفار سدرة يعكفون حولها، ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط، فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال: «**الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم**»(١).

ففي هذا الحديث لم يعنفهم النبي صلى الله على طلبهم ولم يشدد عليهم، ولكنه وجههم التوجيه السديد وذلك بتكبير الله تعالى وتعظيمه، وأشعرهم بأن طلبهم هذا من أمور الجاهلية، ووجههم إلى عظم أمر التوحيد، وأن الوقوع في مثل هذه الأمور فيه شبه من اليهود الذين طلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن يصنع لهم عجلاً ليعبدوه من دون الله، وحذرهم من استنانهم سنن السابقين من أهل الكتاب.

---

(١) أخرجه الترمذي وابن أبي عاصم واللفظ له.

وهذا موقف آخر:

* جاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**» قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا حولاً، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم ولا يستجزينكم الشيطان**».

* وكما ورد أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»(١).

زجره ﷺ عن الغلو والمديح والتكلف في العبادة:

ومن لينه ورفقه ﷺ في احتسابه على الناس استخدامه للتعليم والنصح العام، كقيامه بجمع الناس ونصحهم عن منكر وقع فيه البعض تذكيراً وتحذيراً للكل عما وقع فيه البعض، وربما أشار وألمح إلى ذلك ﷺ بقوله: ما بال أقوام.

كما ورد ذلك في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»(٢).

أمره ونهيه ﷺ في مجال العبادة:

* ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عروة رحمه الله قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون أحسب اسمها خولة بنت حكيم على عائشة وهي باذّة الهيئة فسألتها ما شأنك؟ فقالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار. فدخل النبي ﷺ فذكرت عائشة ذلك له فلقي رسول الله ﷺ عثمان فقال: «**يا**

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أفما لك فيّ أسوة، فوالله أني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده».

أمره ونهيه في الوضوء:

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة، ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «**ويل للأعقاب من النار**» مرتين أو ثلاثاً[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح: «وفي الحديث تعليم الجاهل، ورفع الصوت بالإنكار، وتكرار المسألة لتفهم».

ونقل الحافظ رحمه الله عن ابن بطال أنه قال: «كأن الصحابة أخروا الصلاة في أول الوقت طمعاً أن يلحقهم النبي ﷺ فيصلوا معه، لما ضاق الوقت بادروا إلى الوضوء ولعجلتهم لم يسبغوه، فأدركهم على ذلك فأنكر عليهم».

فعلى المحتسب أن يأخذ بهذا التعليم والإرشاد والتوجيه الذي يستخدمه رسول الله ﷺ، ـ فإذا رأى وهو في المسجد متوضئاً ـ قد قصَّر في وضوئه أن ينكر عليه فعله وأن يعلمه طريقة الوضوء ولا يعنف ولا يغلظ في ذلك، بل عليه بالحلم والصبر.

أمره ونهيه في الصلاة:

ومن الصور الرائعة في حياته ﷺ من خلال تلك الفريضة العظيمة ما يلي:

* ما رواه معاوية بن الحكم رضي الله عنه بينما أنا أصلي مع رسوله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمّاه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

ولا شتمني قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، وإنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**».

فهذه طريقته ﷺ، لم يكن يعنف أحداً ولا يشتم أحداً في تعليمه، بل كان حكيماً حليماً في تعليمه، متواضعاً عليماً بأحوال الناس وكان أحياناً يقول:

«**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**».

«**ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله**».

«**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء**».

فهو بذلك قدوة مطلقة لكل أحد في الدين وهكذا أيضاً في تعامله مع الدنيا.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ عليه السلام، فقال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**، فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: **ارجع فصل فإنك لم تصل** «ثلاثاً» فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره، فعلمني، قال: **إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»[(١)].

قال الحافظ رحمه الله وفي هذا الحديث من الفوائد: «.. فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن التعليم بغير تعنيف وإيضاح المسألة وتخليص المقاصد، وطلب المتعلم من العالم أن يعلمه».

* وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: «**ما شأنكم؟**» قالوا استعجلنا إلى الصلاة. قال: **فلا تفعلوا. إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»[(٢)].

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٢) متفق عليه.

* وعن الحسن أن أبا بكرة رضي الله عنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصلَ إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**زادك الله حرصاً، ولا تعد**»(١).

رفقه ولينه ﷺ مع الغريب ومن لا يعرف آداب الإسلام:

قدَّر الله تعالى أن تقع حادثة هي عظيمة في نفوس الصحابة إلا أنها أظهرت لهم عظم سعة رحمة رسول الله ﷺ ورفقه ولينه مع المسلمين وكان ذلك في المسجد المعظم في نفوس المسلمين الذي كان عليه الصلاة والسلام حريصاً على نظافته أشد الحرص، لا يرضى لأحد أن يقذره.

* روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تزجروه دعوه**» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر. إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**» قال: فأمر رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه»(٢).

فانظر إلى حكمته ﷺ في الانتظار حيث ترك الأعرابي يكمل بوله، ومنع أصحابه من الاحتساب عليه لعلمه ﷺ ما سيقع من المفاسد بعد ذلك حيث سينتشر البول في المسجد وربما اتسخت ثياب الأعرابي وربما نفر من فعلهم وترك الإسلام، ولكن القدوة كان حكيماً في ذلك. فقد انتظر حتى انتهى من فعله ثم بيَّن له خطأ تصرفه ببيان واضح مقنع.

أمره بالمعروف ﷺ بسبب التقصير في أداء الزكاة:

معلوم أن الله تعالى جعل الزكاة فريضة يجب على كل مسلم أداؤها إذا حال الحول على ماله وقد بلغ النصاب، فإذا امتنع العبد عن أدائها وجب على

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) متفق عليه.

الوالي أن يجبره على إخراجها، وكان النبي ﷺ يقوم بالاحتساب على المقصرين أداء شيء منها، وينبه إلى وجوب إخراجها مع ذكر الوعيد الشديد للمتهاونين فيها في كل مناسبة تقتضي ذلك.

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: إن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: «**أتعلمين زكاة هذا؟** قالت: لا، قال: **أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة بسوارين من نار؟** قال: فجعلتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله».

والشاهد من هذه القصة أن هذه المرأة لم تؤد زكاة هذا الذهب فأمرها النبي ﷺ بإخراجه وخوّفها من التساهل في إخراج الزكاة وبين لها أن مصيرها سيكون النار، وتعذب بهذين السوارين، وقد بادرت المرأة رضي الله عنها إلى إلقاء السوارين حسبة لله سبحانه وتعالى.

أمره ونهيه ﷺ في الصوم:

كان عليه الصلاة والسلام يحب الصيام ويكثر منه، وكان يحبه لأمته ويدعوهم إليه لما في ذلك من صحة البدن والحد من تمادي النفس في الاستغراق في الشهوات، وحيث أن المبالغة في الصوم تضر البدن وتنهكه فإن النبي ﷺ كان يغضب إذا شعر من أحد التكلف فيه ويحتسب عليه.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين إنك تواصل يا رسول الله، قال: **وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**. فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً ثم يوماً، ثم رأوا الهلال، فقال: **لو تأخر لزدتكم**» كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا[١].

* وحديث أنس رضي الله عنه الذي تقدم في النفر الثلاثة، الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ كأنهم تقالّوها، وقال أحدهم وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. فأجابه

(١) متفق عليه.

الرسول ﷺ أنه يصوم ويفطر وأن ذلك الفعل ليس من سنته».

أمره ونهيه ﷺ في موسم الحج:

الحج فريضة عظيمة تجمع المسلمين من أنحاء العالم، ويقع ـ حين أداء مناسك الحج ـ بعض المخالفات الشرعية وأكثرها من جهل الناس وتفريطهم أو لتساهلهم في تطبيق أحكام الشريعة.

وقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى في ذلك اليوم ولم يشغله الزحام عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان إذا رأى بعض المعاصي يغيرها في الحال أو بعض الاجتهادات الخاطئة يصوبها لصاحبها ومن ذلك:

* ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرّ وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان يسير ـ أو بخيط أو بشيء غير ذلك ـ فقطعه النبي ﷺ بيده ثم قال: «**قُدْهُ بيده**».

قال الحافظ رحمه الله قال النووي: وقطعه عليه الصلاة والسلام السير محمول على أنه لم يمكن إزالة هذا المنكر إلا بقطعه، أو أنه دق على صاحبه فتصرف فيه.

وقال غيره: كان أهل الجاهلية يتقربون إلى الله بمثل هذا الفعل، قلت: قال ابن بطال في هذا الحديث: إنه يجوز للطائف فعل ما خف من الأفعال وتغيير ما يراه الطائف من المنكر.

* عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خشعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: **نعم**، وذلك في حجة الوداع»[١].

---

(١) متفق عليه.

هكذا صرف النبي ﷺ وجه الفضل رضي الله عنه، وفي بعض الروايات أنه صرفه أكثر من مرة وقال: «**رأيت شاباً وشابة فخشيت عليهما من الشيطان**».

فإن للشيطان مداخل وللقلب حالات يضعف فيها فيكون للشيطان في هذا الوقت أثر ربما صرفه إلى الوقوع في المحذور، ولكن إذا كان المحتسب موجوداً، فإن له أثراً كبيراً في منع وقوع مثل تلك الحالات والمحافظة على أعراض الناس.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: «لبيك عن شبرمة، قال: **من شبرمة؟** قال: أخ لي، أو قريب لي، قال: **حججت عن نفسك؟** قال: لا، قال: **حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**»[(١)].

فعندما رأى النبي ﷺ أن هذا الرجل قد نوى في حجته أن يحج عن غيره وهو لم يحج عن نفسه بعد، لأنه ربما مات قبل أن يحج عن نفسه فيكون في ذلك مقصراً تاركاً للواجب وهذا منكر مخالف لما جاء عن الشارع، فأمره أن يحج عن نفسه أولاً ثم عن غيره إن شاء.

أمره ونهيه ﷺ في الدعاء:

كان النبي ﷺ يرشد صحابته إلى كيفية الدعاء وآدابه، فقد يصدر من بعض الصحابة ما يخالف به أصل الدعاء فيعود ذلك عليه بالضرر لأنه يدعو سميعاً بصيراً سريع الإجابة سبحانه إذا دعاه العبد بإخلاص وتضرع، كان له نعم المجيب، ولكن قد يدعو الإنسان بأمر يظن أن فيه خيراً له، ويكون هذا الدعاء ضرراً عليه في دنياه، وربما وصل إلى دينه، كما لو كان يدعو الرجل على نفسه، وكان الله يستجيب له.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ **هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟**. قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي

---

(١) أخرجه أبو داود.

في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ **سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**. قال فدعا الله به فشفاه الله»(١).

أمره ونهيه ﷺ داخل بيته:

* كان عليه الصلاة والسلام يهجر أزواجه شهراً كاملاً إذا رأى منهن ما يغضبه كأن يكثرن عليه المراجعة أو غير ذلك فيحلف عليه الصلاة والسلام أن لا يدخل عليهن زجراً لهن وتأديباً، فمن ذلك: ما روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً وقعد في مشربة له، فنزل لتسع وعشرين، فقيل: يا رسول الله إنك آليت شهراً، قال: **إن الشهر تسع وعشرون**»(٢).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك، ففهمتها فقلت: عليك السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ **مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله** فقلت يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ **فقد قلت عليكم**»(٣).

فأرشدها رسول الله ﷺ إلى عملية الإنكار كيف تكون وهي الحلم والرفق والأناة، وكان ﷺ في تعليمها حليماً متأنياً، ولو نظرنا إلى الأحاديث المذكورة في هجره نسائه وإنكاره لعائشة في الغيبة كيف كّره إليها الغيبة بتصويرها أمراً صغيراً أفسد البحر العظيم، لتشعر وتدرك إثم فعلها وكذلك كان يستخدم عملية الهجر فقد هجرهن شهراً تأديباً لهن حتى لا يعدن إلى مخالفته أو الوقوع في تلك المعصية.

وكان عليه الصلاة والسلام يذهب إلى أقاربه فيدعوهم إلى الإسلام ويلح في ذلك عليهم، لحرصه ﷺ في إخراجهم من الظلمات إلى النور.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

أمره ونهيه ﷺ مع الناس خارج العبادة:

أمره ونهيه ﷺ في اللباس والزينة:

١ ـ ستر العورة:

* عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: أقبلت بحجر أحمله ثقيلاً، وعليَّ إزار خفيف قال: فانحل إزاري ومعي الحجر ولم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه، فقال رسول الله ﷺ: «**ارجع إلى ثوبك فخذه، ولا تمشوا عراة**».

وعن جرهد رضي الله عنه أنه قال: جلس رسول الله ﷺ عندنا وفخذي منكشفة فقال: «**أما علمت أن الفخذ عورة**».

* وعن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل من البراز بلا إزار، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﷺ: «**إن الله عز وجل ستّير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**».

وهذا دليل للمحتسب إذا سار في الأسواق أو مرّ بالحمامات أو دخل مسجداً من المساجد فوجد رجلاً قد كشف عن عورته أو امرأة كشفت عن حجابها أن ينهاهم عن ذلك ويأمرهم بستر عوراتهم.

٢ ـ اللباس والزينة:

هناك بعض الألبسة منع النبي ﷺ الصحابة من لبسها حتى لا يقعوا في التكبر أو التشبه بالنساء، أو يكون ثوبه متسخاً فيؤذي منظره، ورائحته للمسلمين فيبين عليه الصلاة والسلام له بلطف إذا كان الأمر لا يحتاج إلى غلظة، وقد يغلظ عليه إذا استدعى الأمر ذلك.

* روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء فقال: يا عبد الله ارفع إزارك فرفعته، ثم قال: زد فزدت فما زلت أتحراها بعد فقال بعض القوم إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين.

* وروى أحمد عن الشريد رضي الله عنه أن النبي ﷺ تبع رجلاً من ثقيف حتى هرول في أثره حتى أخذ ثوبه فقال: «**ارفع إزارك**» قال: فكف الرجل عن

ركبته، فقال: يا رسول الله إني أحنف، وتصطك ركبتاي، فقال رسول الله ﷺ: «**كل خلق الله ﷻ حسن**» قال: ولم ير ذلك الرجل إلا وإزاره إلى أنصاف ساقيه حتى مات.

فانظر كيف كلمه النبي ﷺ إذ وعظه ثم أمره برفع إزاره إلى أنصاف ساقيه، وبلغ من اهتمام النبي ﷺ أنه هرول خلفه ليشعره بعظم فعله وحرصه على تنبيهه لخطئه.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»؟ فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»[(١)].

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أتانا رسول الله ﷺ زائراً في منزلنا فرأى رجلاً شعثاً فقال: **أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه؟**» ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال: **أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه**»[(٢)].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى صبياً قد حلق بعض شعره وترك بعضه فنهاهم عن ذلك وقال: «**احلقوه كله أو اتركوه كله**»[(٣)].

أمره ونهيه ﷺ في أدب الاستئذان:

كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه كيف يستأذنون، فإذا زار أحدهم أخاه يلقي التحية ويذكر اسمه ولا يقف أمام الباب فيطلع على عورات أهل البيت بل يبتعد يميناً أو شمالاً، وكان إذا رأى أحداً خالف شيئاً من ذلك ربما زجره زجراً عنيفاً حتى يكاد يؤذي عضواً من أعضائه إذا كان يستحق هذه العقوبة.

وإذا كانت المخالفة لا تستحق مثل ذلك كان يبين له خطأه ويوضح له الصواب كما في التحية.

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه أحمد والحاكم وأبو داود.
(٣) أخرجه أبو داود.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ في دينٍ كان على أبي، فدققت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا، فقال: أنا، أنا، كأنه كرهها»(١)، وعند مسلم: «فخرج وهو يقول أنا، أنا».

* وعن أبي جرير جابر بن سليم رضي الله عنه قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يا رسول الله مرتين قال: «**لا تقل عليك فإن عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك**»(٢).

أمره ونهيه ﷺ في المجالس:

المجالس مجمع الناس ومختلطهم فيقع منهم أشياء ربما توافق الشرع وربما تخالفه، فكان عليه السلام إذا رأى شيئاً من ذلك نبّه عليه، حتى تكون مجالسهم بعيدة عن المنكرات والأخلاق السيئة، وحتى تغمرهم الفضيلة والمحبة وهذا واجب المسلم إذا حضر مجالس العامة أن ينكر عليهم بعض ما يقعون فيه من منكرات ومخالفات وينصحهم ويرشدهم إلى الخير.

* وعن سلمة بن الأكوع: أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كل بيمينك**» قال: لا أستطيع. قال: «**لا استطعت ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه**».

وعن عمر بن أبي سلمة قال: «كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**»، فما زالت تلك طعمتي بعد(٣).

أمره ونهيه ﷺ على زائري القبور:

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال:

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه أبو داود.
(٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

اتقي الله واصبري. قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين. فقالت: لم أعرفك، فقال: **إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(١).

موقفه ﷺ فيمن تسرع في تخطئة أخيه:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلما سلم لببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فوالله إن رسول الله ﷺ هو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال رسول الله ﷺ: **أرسله يا عمر اقرأ يا هشام** فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها قال رسول الله ﷺ: **هكذا أنزلت** ثم قال رسول الله ﷺ: **اقرأ يا عمر** فقرأت القراءة التي أقرأني قال رسول الله ﷺ: **هكذا أنزلت** ثم قال رسول الله ﷺ: **إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**»(٢).

موقفه ﷺ في إقناع المخطىء:

عن أبي أمامة قال إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنى. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه فقال: **ادنه**. فدنا منه قريباً. قال: فجلس. قال: **أتحبه لأمك؟** قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**. قال: **أفتحبه لابنتك؟** قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: **ولا الناس يحبونه لبناتهم**. قال: **أتحبه لأختك؟** قال:

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه النسائي.

لا والله جعلني الله فداك. قال: **ولا الناس يحبونه لأخواتهم**. قال: **أتحبه لعمتك؟** قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: **ولا الناس يحبونه لعماتهم**. قال: **أتحبه لخالتك؟** قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: **ولا الناس يحبونه لخالاتهم**. قال: فوضع يده عليه وقال: **اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه**. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»(١).

موقفه ﷺ فيمن وقع على امرأته في نهار رمضان:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً قال: يا رسول الله وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال رسول الله ﷺ: **هل تجد رقبة تعتقها** قال: لا قال: **فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين** قال: لا قال: **هل تجد إطعام ستين مسكيناً** قال: لا فسكت فبينا نحن على ذلك أتي النبي ﷺ بعرق تمر فقال: **أين السائل خذ هذا تصدق به** فقال: الرجل على أفقر مني يا رسول الله فوالله ما بين لابتيها يريد الحرتين أفقر من أهل بيتي فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: **أطعمه أهلك**»(٢).

فانظروا إلى حسن أخلاقه، ورفقه، وحلمه، وفرحه بإدخال السرور عليهم، وحرصه العظيم على أمته ـ فصلوات ربي وسلامه عليه ما تعاقب الجديدان الليل والنهار ـ.

مما سبق ذكره ـ وغيره كثير ـ يتبين لنا أن النبي ﷺ كان أكثر الناس أمراً ونهياً وزجراً ونصحاً وإرشاداً للأمة في مجال دينها ودنياها في عبادتها وعادتها، وكل ذلك كان تبعاً لمرضات الله تعالى، واتباعاً لأمره ونهيه، وحرصاً على الخلق، وأخذاً بأيديهم لما فيه رضا الله تعالى.

وعلى ذلك فيجب على كل محتسب ـ بل على كل مسلم ـ أن يقتدي به في قوله وفعله، وأن يجتهد في الاتصاف بأخلاقه وشمائله، وأن يستعين بربه

---

(١) رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي.

(٢) متفق عليه.

في أمره ونهيه وأن يكون قدوة صادقة لمن حوله حتى تقبل نصيحته وتوجيهه.

أسأل الله تعالى بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يعيننا على الاقتداء بصفوة الخلق وحبيب الرب ﷺ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يمن على أمة الإسلام بالعافية في دينها ودنياها.

اللهم تقبل عملنا، واجعله خالصاً لوجهك، وانفعنا به وإخواننا يوم نلقاك يا أكرم الأكرمين. اللهم اهدي ضال المسلمين وردهم إلى دينهم رداً جميلاً.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لقاء حول

المساجد

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء حول المساجد

*** فضيلة الشيخ: كمسؤول عن المساجد(١) ما الدور المنوط بالمسجد؟.**

المسجد ينبوع هداية.. ومؤل عبادة وموطن إعداد وإصلاح ودار ثقافة وتربية، فالمؤمنون يتربون في المساجد ويتزودون بالإيمان، ومن فوق منابرها يدعون إلى الخير ويتناصحون، ومن بين يتلقون العلم وتزداد أواصر الإخاء والألفة بينهم.

*** ما نصيب المسجد من اهتمامات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؟**

من منطلق اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بأمر المساجد وعمارتها وتهيئتها وإكمال جميع مستلزماتها كمواقع للعبادة ومراكز إشعاع للدعوة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد انتشرت المساجد وازدادت توسعاً حتى وصلت إلى ٣٤ ألف مسجد في أنحاء المملكة العربية السعودية، يعمل فيها ٨٠ ألف ما بين إمام وخطيب ومؤذن وخادم، وقد بلغ ما أنفق على إنشاء المساجد وترميمها أكثر من ٣٣٠٠ مليون ريال.

ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وهي تتشرف بخدمة بيوت الله لا تأل جهداً في سبيل المحافظة على رسالة المسجد وتكثيف الجهود لتهيئة المساجد لتؤدي الرسالة السامية المنوطة بها.

---

(١) كان هذا اللقاء في أثناء تولي المؤلف وكالة وزارة الشؤون الإسلامية للمساجد والدعوة والإرشاد.

*** وما خصائص المسجد في الإسلام؟**

من خصائص المسجد في الإسلام:

أ ـ فضل المساجد وشرف منزلتها عند الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾.

ب ـ أنها أحب الأماكن إلى الله سبحانه وتعالى.

ت ـ أنها بيوت الله في الأرض.

ث ـ فضل بنائها وحبها والسعي إليها.

ج ـ أنها مكان للتوجيه والإرشاد وتبصير الناس بأمور دينهم ومناقشة قضاياهم الاجتماعية والتشاور فيما بينهم.

ح ـ يتفرغ قاصدوها للعبادة والذكر ويتجردون عن مشاغلهم الدنيوية.

خ ـ أن الأرض تذهب يوم القيامة إلا المساجد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تذهب الأرض كلها يوم القيامة إلا المساجد**».

*** كيف يعود المسجد كمؤسسة اجتماعية يتحقق فيها التكافل والتعاون والإخاء والمساواة، فضلاً عن أنه مصدر إشعاع دائم في حياة المجتمع المسلم؟**

يتحقق ذلك بالعناية بالمساجد ورعايتها ومتابعة احتياجاتها وعمارتها حسياً ومعنوياً، وشغلها بالدروس وحلقات العلم وتحفيظ القرآن الكريم.

المسجد وهوية الأمة:

*** ما دور المسجد في الحفاظ على ثقافتنا وذاتيتنا الإسلامية؟**

بإحياء لرسالته السامية وتكثيف الدروس والحلقات العلمية وتشجيع أبناء المسلمين للالتحاق بها، وبيان أهميتها وفضلها، وكذا بالإعداد والتأهيل للقائمين على شؤونه وأنشطته ليقوم برسالته السامية، ويؤدي دوره في المجتمع كموطن إعداد وإصلاح.

*** هل هناك نية لتعديل فئات المساجد بحيث يكون المعيار عائداً للشخص وتأهيله وليس للمسجد؟**

هناك دراسة لمناقشة مثل هذا الأمر وخلافه وستظهر نتائج ذلك في الفترة القادمة بإذن الله.

*** وزارة الشؤون الإسلامية هي المسؤولة عن تعيين الخطباء فكيف يتم تقييمهم؟**

كما هو معلوم فإن للخطيب الناجح مواصفات معينة وكذا الخطبة الناجحة لها مواصفات معينة وكذا الخطبة الناجحة لها مواصفات محددة يمكن ذكرها كالتالي:

١ ـ فمن مواصفات الخطيب الناجح:

أ ـ العلم وسعة الإطلاع.

ب ـ القدوة الحسنة.

ج ـ الإخلاص في القول والعمل.

د ـ القناعة بصدق ما يدعو إليه.

هـ ـ أن يراعي هدي رسول الله ﷺ في خطبه.

و ـ معالجة واقع الناس.

ز ـ مراعاة المناسبات.

٢ ـ ومن مواصفات الخطبة الناجحة:

أ ـ قصر الخطبة وقصر جملها.

ب ـ وحدة الموضوع.

ج ـ الارتباط بحياة الناس.

د ـ الحث على فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات.

هـ ـ اشتمالها على الترغيب والترهيب.

و ـ البعد عن إثارة الخلافات.

وتقييم الخطباء يتم وفق توفر تلك المواصفات.

تطوير وتجديد:

*** ماذا عن الإدارات الفرعية للمساجد؟ وهل ستخضع للتجديد والتطوير في أدائها وخدماتها؟**

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بفضل الله تعالى ثم بفضل توجيهات معالي الوزير الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي تسعى على إعداد وتأهيل العاملين في الإدارات العامة للأوقاف والمساجد، وكذا فروع الأوقاف والمساجد المنتشرة بفضل الله في أنحاء المملكة بما يمكنها من القيام بواجباتها بالمستوى المؤمل منها بإذن الله.

الشباب المؤهل:

*** استثمار الشباب المؤهل وخريجي الكليات الشرعية كيف يتم؟**

لا شك أن الفرصة متاحة لأولئك الشباب للالتحاق بوظائف المساجد وخاصة وظائف الإمامة والخطابة، وكذا التحاقهم بمجال الدعوة والإرشاد، حيث أن الناس ينظرون لأولئك الشباب على أنهم القدوة الحسنة، ولذلك فإن واجبهم عظيم تجاه دينهم الإسلامي الحنيف، والدعوة إليه وبيان سماحته، وكذا تثقيف الناس وتبصيرهم وإرشادهم بما هو مطلوب منهم.

الجامعات والمساجد:

*** ماذا عن التنسيق بينكم وبين الجامعات الإسلامية وبينكم وبين الدوائر الأخرى؟**

لا شك أن التعاون بين الوزارة والجامعات على قدم وساق، فجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية لا تألوا جهداً في سبيل التعاون مع الوزارة لأداء رسالتها المنوطة بها من خلال توفر الخبرات والكفاءات المؤهلة تأهيلاً علمياً في تلك الجامعات، فالتعاون قائم حالياً مع تلك الجامعات لإقامة دورات تدريبية للأئمة والخطباء في عدد من مناطق المملكة.

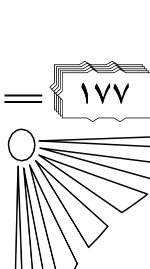
كما أن هناك دورات خاصة بالدعاة تقام حالياً في مدينة الرياض بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبهذه المناسبة يسرني أن أتقدم للمسؤولين في تلك الجامعات بالشكر والتقدير على تعاونهم المستمر.

الدورات التدريبية:

*** هل هناك نية بأن تنظم الوزارة دورات تدريبية لإعداد أئمة المساجد وتأهيلهم وتوعيتهم بقضايا الأمة المعاصرة؟**

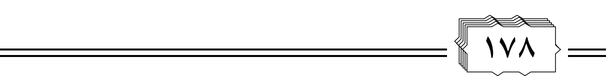
من أولى الخطوات التي سعت الوزارة إليها العمل على تدعيم القدرات العلمية والفكرية والثقافية للأئمة والخطباء، وقد تم إقرار برنامج لالتحاقهم بدورات تدريبية في عدد من الجامعات التي تفضلت مشكورة بالتعاون مع الوزارة في ذلك، حيث ستكون هناك دورات تدريبية للأئمة والخطباء الجامعيين خلال الفصل الدراسي الثاني تستغرق كل منها شهراً واحداً في فروع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كل من الرياض، أبها، القصيم، الأحساء، وفي جامعتي أم القرى بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حيث تم إقرار خطة مناسبة شاملة لتلك الدورات تتضمن وضع عدد من الشروط لاجتياز تلك الدورات، ووضع عدد من الحوافز التشجيعية لمن يجتاز تلك الدورات، وكذا تم ترتيب برنامج معين خلال إقامة تلك الدورات يشمل دعوة أعضاء هيئة كبار العلماء للمشاركة في إحياء عدد من المحاضرات واللقاءات العلمية والذي نرجو الله تعالى أن تحقق الهدف المنشود، وأن تؤتي ثمارها في القريب العاجل.





مع كتاب

رحلتي إلى بيت اللّٰه


١٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد كان الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي من العلماء الأجلاء الذين ظهرت أثارهم من خلال حياتهم العلمية في خدمة دين الله تعالى ولا سيما أثناء مدة إقامته بالمملكة العربية السعودية، وخاصة في مدينة رسول الله ﷺ حيث قام بتفسير القرآن الكريم عدة مرات بأسلوب رائع يوضح مدى تمكنه من تحصيل المادة العلمية التي أهلته لذلك.

ولد رحمه الله عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة في قرية (تنبه) من أعمال مديرية (كيفا) من موريتانية التي غلب عليها اسم شنقيط عند نسبة السكان، وهو اسم لقرية معروفة من أعمال مديرية إطار في أقصى الشمال من موريتانية.

وقد حفظ رحمه الله القرآن في سن العاشرة، وجعل يتدرج في مراحل العلم، فتعلم رسم المصحف العثماني، ودرس علم التجويد على قراءة نافع برواية ورش، وقرأ المختصرات من فقه مالك، وأقبل على تعلم الأدب، ومبادىء النحو، وأنساب العرب وأيامهم، والسيرة النبوية وغزوات الرسول ﷺ، وحفظ الكثير من المتون والمنظومات الشعرية، وقد تلقى رحمه الله كل ذلك عن طريق أقاربه وأهالي قريته، ثم انطلق رحمه الله يتعلم من علماء قبيلته فتلقى منهم ما ينقصه أو يزيده قوة من مختلف الفنون كالنحو والصرف والبلاغة والأصول والتفسير وفنون الحديث.

وقد نشأ رحمه الله في جو يغلب عليه طلب العلم وروح الفروسية تأثراً بالوسط القبلي الذي عاش فيه وترعرع، وهو وسط تحتضنه البادية، ويغلب عليه التنقل طلباً للمناخ الأصلح.

وقد اشتهر رَحِمَهُ الله بعلمه وأخلاقه وأدبه وقوة حجته، ومن خلال رحلته الشهيرة إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج استفاد رَحِمَهُ الله الكثير من الفوائد عن طريق المدارسة والمناظرات والمحاضرات والمسائل التي عرضت عليه، واستفاد منه أيضاً الكثير ممن نزل في ضيافتهم أو مرَّ بهم.

وقد أراد رَحِمَهُ الله الكلام عن رحلته وتسجيل ما عرض له خلالها لكي يسجل ما مرَّ به من فوائد وطرائف، وتعرفه على العديد من الشخصيات العلمية، وقد بدأ رَحِمَهُ الله الكلام عن رحلته بقوله: «أما بعد: فليكن في علم ناظره أنَّا أردنا تقييد خبر رحلتنا هذه إلى بيت الله الحرام، ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة والأحكام وأخبار البلاد والرجال، وما تجول فيه الأدباء من المجال، والغرض الأكبر من ذلك تقييد ما أجبنا عليه عن كل سؤال علمي سُئلنا عنه في جميع رحلتنا..».

ولقد أراد الشيخ رَحِمَهُ الله أن تكون رحلته إلى الحج عن طريق البرِّ، ولعل ذلك عائد إلى ألفته ظهور الإبل، ورغبته في لقاء العلماء والتعرف على معالم الديار الإسلامية التي تقتضيها الرحلة الطويلة أن يتخذها ممراً.

إن رحلة الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ الله للحج كانت رحلة علمية بمعنى الكلمة، وكانت زاخرة بجميع أنواع الدعوة من دروس ومحاضرات ومناظرات علمية وأدبية وأسئلة فقهية تنم عن قدرته رَحِمَهُ الله على إيصال العلم الشرعي بدليله الذي وصل إليه من مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ الله، ومن خلال هذه الرحلة يتبين لنا مدى اهتمامه رَحِمَهُ الله بالعلم الشرعي، وحرصه على الاستفادة من أنواع العلوم من خلال مقابلاته لشخصيات متباينة من العلماء والمشايخ والأدباء وغيرهم.

وقد بدأ رَحِمَهُ الله رحلته في اليوم السابع من شهر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وثلاث مائة وألف من الهجرة متوجهاً إلى بيت الله الحرام، وكانت أول وجهته من خلال هذه الرحلة نزوله في قرية (كيفة) وكانت له فيها قرابة من أبناء العمومة، وقد سئل خلال نزوله عن مسألتين وهما الفرق بين علم الجنس واسم الجنس، ومراد المتكلمين بقولهم: الصفة النفسية لا تعقل الذات دونها،

وقد أفاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما تيسر عنده بجواب طيب، فكان مما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ جواباً عن المسألة الأولى: «فتحصل أن الذي يظهر لمقيد هذه الرحلة ـ عفا الله عنه ـ أن الفرق بين علم الجنس واسمه ـ على القول بأن اسم الجنس والنكرة شيءٌ واحدٌ ـ أمرٌ معقولٌ ولا شبهة فيه. وأما على القول بالفرق بين اسم الجنس والنكرة فالفرق بين اسم الجنس وعلمه لا يكاد يظهر عند التأمل الصادق، والعلم عند الله جل وعلا».

وأما جوابه عن المسألة الثانية فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الصفة النفسية لا تعقل الذات دونها» أن معناها عندهم: أن الصفة النفسية التي هي عندهم الجنس أو الفصل لا تعقل الذات دونها، لأنها لا تكون عندهم إلا جزءاً من الذات. والماهية عندهم لا تعقل بدون أجزائها، فالإنسان عندهم لا يمكن تعقله ممن لم يعقله إلا بالنطق؛ لأنه صفته النفسية، والنطق عندهم القوة المفكرة لا نفس الكلام».

ثم مرَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال رحلته بوادي (أم الخز)، وقرية (تامشكط)، وقرية (العيون)، وقرية (تنبدقة)، وقرية (النعمة)، وقرية (النوار)، وقرية (بمكو)، و(مبتي)، و(سيكثو)، و(صن).

ولقد كانت إجاباته رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرتبطة بمنهجه الذي كان عليه وهو مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي كان يدرس ويعمل به في شمال غرب قارة إفريقيا.

ومن ضمن المسائل التي عرضت عليه وأفاض فيها مسألة (سد الذرائع عند الإمام مالك) ومما ذكر في هذه المسألة قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الأصول الدالة على سد الذرائع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقوله ﷺ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**»، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**»[(١)].

(١) أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ.

فتراه صلوات الله عليه وسلامه جعل ذريعة السب سبّاً، وهو دليل على أن وسيلة الحرام حرام؛ لأن الواقع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فهم يسمون فلوس النحاس تحيُّلاً عند العقد ليأخذوا بعد ذلك عند الحلول (فرنكين) عن واحد، والجميع ورق، ومالك لا يجوز عنده سَلَمُ شيءٍ في أكثر منه من جنسه، وإن جاز عند الشافعي وغيره.

ومن المواقف الطريفة التي حصلت للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء إقامته بقرية (النعمة) عندما كان في إحدى جلساته حضر بعض العوام الذين ليس عندهم فهم وعندهم خلط في بعض الأمور، ومن ذلك قول أحدهم: إنه يغبطنا ويغار منا بسبب أننا نمر بأرض السودان التي فيها موضع شريف. قلنا له: وما ذاك الموضع الشريف؟ قال: الخرطوم. قلنا: وأيُّ شرف للخرطوم؟ قال: لأنه مذكور في القرآن العظيم في قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦]، فقلنا له: ذلك خرطوم آخر غير الخرطوم الذي تعني. فضحك من يفهم من الحاضرين.

ومن المواقف التي شدت انتباهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مروره بقرية اسمها (صن) يعيش فيها أناس وثنيون يعبدون الشجر، كلهم عرايا كيوم ولدتهم أمهاتهم إلا موضع العورة فيسترونه إما بقطعة قماش صغيرة أو ورقة شجر، وكان يسمع عنهم أنهم يأكلون البشر ـ والعلم عند الله ـ.

وقد تعرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال رحلته على أناس كثيرين من مختلف الدول التي مرَّ من خلالها، فنال منهم الكرم المزيد، والضيافة الكريمة، والهدايا القيمة.

وعانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الطرق الوعرة التي كان يمر بها خلال رحلته، ونالته مصاعب كثيرة بسبب الأمطار وتقلب الأجواء.

ولقد استعمل الشيخ أثناء سفره البري عدة مواصلات من البعير والسيارات والقطارات وانتهت به الرحلة على سفينة بحرية نقلته إلى جدة.

وعانى الشيخ أثناء سفره من معاملة الفرنسيين الذين كانوا يحتلون غالب البلاد الإفريقية وخاصة عند مروره بحدود الدول بين تشاد والسودان.

وكانت آخر محطة له قبل ركوبه السفينة (أم درمان) وكان نزوله بها فيه خير كثير له ولمن علم بوجوده فيها، فأتى إليه العلماء المدرسون في المعهد الديني في (أم درمان) الذي كان حافلاً بالعلماء والطلبة الأذكياء، وكانت تدرس فيه فنون كثيرة.

وكان اللقاء مشوقاً وحافلاً بالمناقشات والأسئلة التي أسهب فيها الشيخ إسهاباً كبيراً ينم عن سعة اطلاعه وعلمه، ثم ختم رحلته بنزوله في (سواكن) التي يبحر منها الحجاج.

وعند وصوله إلى جده توجه محرماً إلى مكة المكرمة، وكان محرماً هو ومن معه مفردين؛ لأن في مذهب مالك رَحِمَهُ اللَّهُ الإفراد أفضل من التمتع والقران.

ثم دخل رَحِمَهُ اللَّهُ ومن معه مكة محرمين ملبين، فطاف طواف القدوم ثم سعى بين الصفا والمروة، ثم توجهوا إلى منى مهلين بالحج ملبين تلبية النبي ﷺ، ثم سار إلى عرفة ووقف فيها حتى غربت الشمس، ثم دفع إلى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء والفجر، ثم أتى المشعر الحرام ودعا، ثم دفع إلى منى حتى وصل إليها وقت الضحى فرمى جمرة العقبة.

ثم ذهب إلى البيت الحرام فطاف طواف الإفاضة، ثم تحلل التحلل الأكبر بعد التحلل الأصغر برمي جمرة العقبة؛ لأنه قد سعى بعد طواف القدوم، وقد أتم مناسكه رَحِمَهُ اللَّهُ كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ جالساً في عرفة بجوار خيمة الأميرين تركي السديري أمير أبها، والأمير خالد السديري أمير تبوك حينئذٍ، وكان ينتظر رفقته، فأكرماه، وأظهرا له السرور، وقد سأله الأمير خالد عن معنى قول جرير في شعره: «ومسحهم صلبهم رحمن قرباناً» وعن إعراب كلمة «قرباناً» من بيت شعر جرير.

فذكر لهما أن هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبي وقومه، ويعيرهم بدين النصرانية، وأنهم يهاجرون إلى النصارى، ويتمسحون بصلبهم التي يعبدونها، ويدعون أنها ترحمهم وتقربهم إلى الله، ثم ذكر لهما

القصيدة، ومعنى البيت، وإعراب الكلمة، فأثار إعجابهما، وكانت هذه فرصة طيبة للتعرف على الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وحافزاً للتشبث به وخاصة في هذه الديار.

وفي أثناء وجوده بمكة بعد قضاء مناسك الحج دعاه العالم الشهير اللوذعي الكبير أحد أعيان علماء مكة المكرمة، ومدرس حرمها الشريف، فأكرمه وآنسه.

ثم توجه إلى جدة فنزل بها نفس المنزل الذي نزل به عند وصوله أول مرة فبات بها، وفي اليوم التالي توجه إلى المدينة النبوية ووصل إليها بعد صلاة العشاء وقد أوصد المسجد أبوابه، فنزل على الأستاذ الشيخ محمد عبد الله بن آد، وفي اليوم التالي توجه إلى المسجد النبوي فدخل من باب الرحمة، وصلى في الروضة المباركة ركعتين، ثم توجه للسلام على النبي ﷺ وصاحبيه، وكانت هذه نهاية رحلة حجه إلى مكة المكرمة بالديار السعودية، ولكنها كانت البداية له في حياته الجديدة، فقد التقى ببعض المشايخ في الحرمين، ولا سيما في مسجد رسول الله ﷺ حيث طاب له المقام.

وقد كانت للشيخ بعض الشوائب المتعلقة بدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب تلقاها أيام طلبه للعلم، ومن أفواه الرواة غير المحققين، غير أنه ما لبث أن اصطدم بالواقع الذي لا يمت إلى ما في ذهنه بأي صلة، ولا سيما في العقيدة.

فأتيح للشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن يطلع على كتاب (المغني) لابن قدامة، وهو الموسوعة الحنبلية الكبرى، ثم بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، وبعض رسائل الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان هذا كافياً لتحرير عقله من الشوائب الدخيلة، وإذا هو يندفع في الدعوة إلى مذهب السلف.

وقام رَحِمَهُ اللهُ بدراسة باقي المذاهب بجانب مذهب مالك، فتوسع في دراسة الحديث فتفقه فيه.

ولقد جاءته المفاجأة التي كان يتمناها بتوجيه من الملك عبد العزيز آل سعود بإعطائه التابعية السعودية لتقرر إقامته في هذه الديار والتي كانت سبباً

بعد فضل الله في إفادته لكثير من المسلمين وخاصة طلاب العلم.

فبدأت دروس الشيخ في المسجد النبوي حلقة من سلسلة النور التي أرادها الله تعالى ليستفيد منه القاصي والداني، وخاصة أن مدينة رسول الله ﷺ كانت محلاً لالتقاء الكثير من العلماء وطلاب العلم وغيرهم.

وقد تم دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للتدريس في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧١هـ، ثم تلا ذلك تدريسه بكليات الشريعة واللغة، ولبث يدرس فيها مادتي التفسير والأصول حتى عام ١٣٨١هـ، ثم أعيد مرة أخرى إلى المدينة النبوية ليتولى التدريس في الجامعة الإسلامية المحدثة دونما انقطاع إلا لمرض، وكان في بعض الأحيان يستدعى لإلقاء بعض المحاضرات في المعهد العالي للقضاء بالرياض حتى عام ١٣٨٦هـ.

ولقد كان لوجود الشيخ في الجامعة الإسلامية أثره العظيم في إثراءها وتوجيهها التوجه السديد، فكانت دروسه القيمة في فصول الجامعة، ثم دروسه في المسجد النبوي ثم محاضراته التي يدعى لإلقائها في دار الحديث التابعة للجامعة ثمرة يانعة لمن حضرها.

ولقد شارك الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في نشاطات كثيرة وخاصة رابطة العالم الإسلامي في مكة، وهيئة كبار العلماء في الرياض. وعامة مشايخنا الذين تعلمنا على أيديهم والتقينا بهم يجلونه ويصفونه بالعلم، بل إن شيخنا محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لم تر عيني مثله في غزارة علمه، وسرعة استحضاره، وقوة حافظته»، ويقول عنه شيخنا الشيخ صالح اللحيدان حفظه الله: «إنه فريد عصره، وقد استفدت منه كثيراً ورأيت منه عجباً»، ولا أكاد أجلس مع الشيخ صالح مجلساً إلا ويثني عليه ويجعله في علية مشايخه. ولقد نال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ثقة غالية في أوساط أولي الأمر في هذه البلاد بسبب إخلاصه وعلمه وفضله.

نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يحشرنا وإياه في زمرة عباده الأتقياء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



لقاء حول

ثقافة الشاب وتوجهه

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ هل معاملة الناس معاملة حسنة ترقى إلى درجة العبادة؟

٢ ـ مخرج الأمة من التخلف الذي تعانيه حالياً على كل المستويات.

٣ ـ دور المرأة البنائي في المجتمع في الوقت الحالي.

٤ ـ العزلة الحاصلة بين الشباب الملتزم أو المتدين وبين الشباب المسلم العادي في المجتمع الواحد.

٥ ـ منظوركم للتكافل بين المسلمين.

فن التعامل:

يضيّق كثير من المسلمين مفهوم العبادات فيقصرونه على إقامة الشعائر أما (المعاملات) وهي جماع المناشط الحياتية في الدنيا فلا ترقى عندهم إلى منزلة العبادات.

وهذا خطأ وخلط لأن المعاملات في واقع الأمر هي التطبيق العملي للإيمان الواعي الذي وقر في القلب وصدقه العمل لأن الدين المعاملة.

إذن ما هو المفهوم الحق للعبادات؟

العبادات في الإسلام أوسع وأشمل مفهوماً وإطاراً فكل عمل حسن أريد به وجه الله هو نوع من العبادة.

المخرج من التخلف

التخلف المادي الذي يخيم على المجتمعات المسلمة هو نتيجة طبيعية للتخلف الفكري والمخرج منه هو العودة الصادقة لمنبع الإسلام الصافي وهديه الشافي وأصله الكافي فالأمة بحاجة ماسه لإيمان عميق وإخلاص صادق ووعي وبصير وبعد هذه المرحلة يأتي التخطيط الدقيق والعلم النافع والعمل المستمر والتكافل المنشود وعند ذاك نكسر طوق التخلف الذي يحيط بنا وقد أرشدنا خالقنا إلى هذه الحقيقة الناصعة وأبان لنا في محكم التنزيل بأن حالنا لن تتغير ما لم نغير نحن ما بنا وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾.

إذن على القادة والعلماء والدعاة وجميع العاملين لخدمة الإسلام أن يكونوا في مقدمة الركب صدقاً وإخلاصاً وعملاً مستمراً لأنهم قدوة لغيرهم ولئلا يتسلل شياطين الإنس والجن من خلال الثغور الكثيرة في ديار الإسلام، صاحب المال بماله والمفكر بتفكيره والسياسي بتخطيطه والمعلم بتربيته وتوجيهه والاقتصادي بخبرته والكاتب بقلمه والطبيب بمهارته وحذقه وهكذا تتضافر جهود الجميع للنهوض بالأمة من واقعها وتخلفها العام على كل المستويات.

دور المرأة:

لا بد في بداية الأمر من العناية بأمر المرأة أختاً وزوجة وبنتاً عن طريق التربية الواعية والاختيار الإسلامي والتعهد الدائم ولا يعفى من هذه المسؤولية أحد وكلنا مسؤول أمام الله ومطالب بأن يعمل في محيطه لتكون أخته أو زوجته أو بنته امرأة مسلمة بعقيدتها الثابتة تنطلق منها لتؤدي دورها في الحياة.

ولا بد لتحقيق ذلك من أن تفهم إسلامها بشكله الواضح المتكامل وتفهم معنى تمسكها بدينها في هذا الوقت الذي كثرت فيه المغريات والملهيات والصوارف فتحيا واثقة بالله مطمئنة بسلامة عقيدتها وصحة مسارها واستقامة سلوكها.

وتحقيق نوعاً من الدفاع الذاتي ضد هجمات المدنية الحديثة التي ترفع رايات الجنس وتغتال الفضيلة وتنمي الرذيلة وتحارب الأخلاق الفاضلة من أجل القضاء على العقيدة.

وكل هذه الجهود تتحطم على جدار المرأة الصلب إذا كانت متحصنة وقوية.

وهذا يدفعها بطبيعة الحال إلى ممارسة حياة إسلامية طاهرة فتظهر أمام

بنات جنسها قدوة صالحة تظهر بصورة واقعية لا تحارب الفطرة ولا يستعبدها كل طارئ جديد وبالتالي فهذه المرأة الواعية تتفاعل مع مجتمعها بشكل إيجابي فتدعو بسلوكها وتطبيقها وتدعو بأسلوب حسن كل من تلمح على محياض البراءة والاستواء وتوضح لهن سيرة السلف الصالح من بنات جنسهن.

إن هذه الصورة الإسلامية للمرأة المسلمة الواعية التي تتمثل في عقيدتها وسلوكها وتعاملها وثباتها توفر لها سلاحاً مؤثراً تعالج من خلاله أمراض المجتمع بإيجابية وواقعية وبساطة ولذا فمن أولويات دورها تفهم مشكلات العصر والتعامل مع الواقع من منطلق إسلامي واضح ونظيف فهي رد عملي واقعي على دعاوى المدنية المادية ونقص لأسس الجاهلين وبناء راسخ لمجتمع الإسلام.

العزلة بين الشباب الملتزم وغيره:

ينبغي أن يحرص الشباب الملتزم بدينه على هداية الناس وأن يجتهدوا في منع الناس من الوقوع في الفواحش والمعاصي والموبقات التي تؤدي بهم إلى الضياع والهلاك.

وقد كان الحبيب المصطفى ﷺ أحرص الناس على هداية الناس وأكثرهم نفعاً لهم لكن بأسلوب متميز هادئ عبر عنه الباري جل وعلا بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

ما أن توجد العزلة بين الشباب الصالح المتدين والشباب العادي فهذا خطأ كبير بل جناية على المجتمع وعدم فهم للإسلام على حقيقته. الشباب الأخيار يحملون نوراً في قلوبهم فلم لا يوصلونه للآخرين عن طريق مجالستهم ومخالطتهم والحديث معهم.

إن ما يحدث من بعض الشباب المتدين من عدم التأثير على أسرته وزملائه يدل على قصور عنده وإلا فأحق الناس بدعوته هم أقرب الناس إليه.

ويوم أن يفيض الشباب الصالح على إخوانهم من نفحاتهم ويرسمون لهم الطريق يوم أن يسعد الجميع في ظل مجتمع متماسك اللبنات منتظم الصفوف تكون قاعدته صلبة وبنيانه راسخاً.

ويوم أن توجد بينهم الفرقة والعزلة ويبتعد الأخيار عن غيرهم يكثر الهرج والمرج ويقع الخلاف وتدب الفوضى ويعمل كل على شاكلته وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

والإنسان بطبيعته وفطرته ميال إلى مخالطة الآخرين ومجالستهم والاجتماع بهم وهذه المجالسة لها الأثر الواضح في فكر الإنسان ومنهجه وسلوكه وهي سبب فعال في مصير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة فالمرء يتأثر بجليسه ويصطبغ بصبغته فكراً ومعتقداً وسلوكاً وعملاً.

والناس منهم مفاتيح للخير مغاليق للشر والعكس، جعلنا الله من مفاتيح الخير.



منظوركم للتكافل بين المسلمين

التكافل بمفهومه الواسع يشمل تربية عقيدة الفرد وضميره وارتباط الأسرة وتنظيمها وتكافلها وتنظيم العلاقات الاجتماعية كما يشمل تنظيم المعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية، وخلاصة القول أن نظام التكافل في الإسلام يكاد ينتظم التشريع الإسلامي كله لأن غاية التكافل هو إصلاح أحوال الناس وتهيئة الجو لهم ليعيشوا آمنين مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

ولو أن أمة الإسلام طبقت هذا النظام في واقعها لما بقي فقير محتاج ولما احتاجت لغيرها لأنها غنية بالإمكانات المادية والبشرية يكمل بعضها بعض لكن داء الفرقة والخلاف وحب الذات والأنانية تقف دون تحقيق الطموحات الكبيرة في ديار الإسلام.



لقاء مفتوح

لقاء مفتوح

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ ـ لو عدنا بالذاكرة إلى الوراء لنسأل عن بدايتكم في طلب العلم؟

٢ ـ عُرف عن الشيخ د. عبد الله قيامه بجمع وإعداد بعض مؤلفات الشيخ ابن عثيمين رحمه الله كيف البداية وما الأسباب التي دعتكم لذلك؟

٣ ـ لا شك أن الذاكرة تحتفظ بالكثير من المواقف مع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هلا أطلقت العنان لهذه الذاكرة لتعرض لنا شيئاً من ذلك؟

٤ ـ كثر الاهتمام في الآونة الأخيرة بموضوع (الرؤى) ما أسباب ذلك؟

٥ ـ كثر الاهتمام أيضاً بموضوع الرقية فبماذا توجهون حيال ذلك؟

٦ ـ الشباب هم محور الاهتمام هذه الأيام خاصة مع ضلوع الكثيرين منهم في الأحداث الأخيرة، كيف يرى فضيلتكم التعامل المناسب مع هذه الفئة؟

٧ ـ التعجل بدفع الفتى أو الفتاة إلى مجال الإلقاء والخطابة خاصة إذا التمس فيه نوع من الذكاء والألمعية والتوقد في هذا الجانب، هل تعتبرها خطوة إيجابية أم عكس ذلك؟

٨ ـ الفتاوى المباشرة في الإذاعة والتلفاز تعرض أسئلة خاصة في العلاقات الزوجية يعترض البعض على طرحها بهذه الكيفية فما رأيكم؟

٩ ـ كثرة الإصدارات للكتيبات والرسائل والمطويات يراه البعض بعين التفاؤل كظاهرة إيجابية بينما يراها البعض الآخر بعين الضيق كظاهرة سلبية تنتج علماً هزيلاً ودعوة ضعيفة.. ما تعليقكم؟

١٠ ـ التلمذة على يد شيخ فاضل مسلك ورثناه عبر الأجيال في طريق طلب العلم، هلا حدثتنا عن محاسن هذا المسلك؟

جـ١: خلق الله الخلق لعبادته وفي هذا المجال يتنافس المتنافسون، ويتسابق الجادون المشمرون، وكان هدي سلف الأمة السبق في هذا الميدان.

وطلب العلم من أفضل الأعمال التي تقضى فيها الأوقات وتبذل الأموال وتضاعف فيها الجهود.

ولقد يسر الله لي أن التحقت بالمعهد العلمي وفيه وعلى أيدي بعض المشايخ الموثوقين بدأت الرغبة في العلم والاستزادة منه، وهكذا استمر الحال في كلية الشريعة ثم الدراسات العليا.

ولقد استفدت كثيراً من بعض العلماء منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ـ غفر الله لهم جميعاً وجزاهم عني وعن طلاب العلم خير ما يجزي شيخاً عن تلميذه ـ.

جـ٢: كانت البداية حينما كنت أحضر في دروس الشيخ الخاصة، ألح عليّ بعض المحبين أن أُخرج بعض مؤلفات الشيخ فاستأذنته في ذلك فأعطاني إذناً خطياً، وأخرجت مجموعة منها، ثم طلب مني رَحِمَهُ اللَّهُ أن أتوقف لإعادة النظر في مؤلفاته، ثم أذن لي في آخر حياته في إخراج اللقاء الشهري والباب المفتوح، ومعي الشيخ محمد السحيباني.

أما الأسباب فالشيخ له فضل علينا كبير وما نقوم به جزء من رد جميله وفضله علينا جمعنا الله به في دار كرامته.

جـ٣: المواقف كثيرة وقد أشرت إلى طرف منها في محاضرة عن «مواقف من حياة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ»، ولكن أمثل بمثالين:

الأول: أن الشيخ من أحرص الخلق على سلامة الصدر والصفح عن المخالف، ولو أساء الأدب معه، ولقد كتب أحد الصحفيين مقالاً لمز فيه الشيخ في رأيه في إحدى المسائل العلمية الكبيرة، وهذا الصحفي ليس بطالب علم ولكن هذا أحد طرق الشهرة النيل من أحد القمم العالية يلفت الأنظار للشخص لكن حاله وحال الشيخ كقول القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقلت للشيخ: أنا أعتزم الرد على هذا الصحفي، فقال الشيخ: دعه فالرد يشهره وأنا لا أهتم بمثل ذلك، فقلت للشيخ: لكن الناس يهتمون بهذا الأمر ويطلبون منا أن ندافع عن شيخنا، فقال: الأمر أهون وأيسر ولعلنا ننشغل بما هو أنفع وأصلح للمسلمين، ثم ألحيت على الشيخ أن أرد على هذا الصحفي فأذن لي، وقال: لكن هذا الأمر أنت مسؤول عنه، فقلت: نعم أتحمل مسؤوليته كاملة وما يترتب عليه.

الثاني: الموقف الآخر كان بداية العلاقة القوية بالشيخ حينما تعينت عميداً لكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم عام ١٤٠٣هـ قبل عشرين عاماً، ودعاني الشيخ للغداء وحدد لي موعداً بالساعة، وقال لي: لا تتأخر، فتأخرت عشر دقائق لظرف خاص بالشيخ المدعو معي، لكن شيخنا خرج من منزله وركب سيارته وقال بعد أن وقفنا عند بابه: أنتم تأخرتم وأنا عندي موعد وإن رغبتم تغدوا مع الأولاد، فتفاجأت بالأمر وقلت للشيخ: لن أدخل إذا لم تكن معنا، فتبسم ودخل معنا وتغدينا عنده، فقلت للشيخ: أتذهب وتتركنا؟ فضحك وقال: عليكم بالدقة في المواعيد، وقد كان ذلك درس لي في هذا الباب.

جـ٤: الواقع أن الناس بالغوا في هذا الأمر وتصدى له من لا يحسن، وما علم هؤلاء أن التعبير فتوى، وقد أحجم عن ذلك كثير من العلماء، وانبرى هؤلاء الشباب لهذا الأمر، بل أصبح الواحد منهم يعرض بضاعته وفي المجالس يقول عبرت كذا وكذا، ووقع كذا وكذا ولا شك أن هذا نوع من الفتنة، وقد طالبت سابقاً بوقف مثل هذا الأمر وحسمه، وألا يتصدى له إلا العلماء الموثوقون الذين منحهم الله العلم والورع والتقى.

وإني أطلب من كل من ابتلي بهذا الأمر أن يتقي الله في نفسه وفي المسلمين، وألا يقدموا على شيء حتى يتثبتوا، فكم من أسرة تفرقت بسبب تعبير خاطىء، وكم من شخص ظلم بسبب متسرع ممن يعبرون الرؤيا، وسيقف بين يدي الله جل وعلا ويسأله عن ذلك، ولا أنسى ذلك الشخص الذي اتصل بي يشكو أحد المعبرين ويأخذ رأيي في مقاضاته لأنه تسبب في طلاق قريبته

حيث عبَّر لزوجها رؤيا أشعره فيها أن عنده امرأة فاسقة، فاتهم الزوج زوجته وانتهت حياتهما بالفراق.

ولعل أهم أسباب الحرص على تعبير الرؤيا هو الرغبة في الشهرة، حمانا الله وإياكم من ذلك.

جـ٥: وهذه مثل أختها السابقة، فالرقية توسع الناس فيها، ووضعوا حولها قصصاً وحكايات، وانبرى بعض الجهلة للرقية رغبة في المال، أو طمعاً في الشهرة، أو لأن في القلب مرضاً وجد أن طريق تغذيته الرقية وخصوصاً للنساء، وكم حصل من المصائب والبلايا في هذا الباب.

ولقد وقع بعضهم في أمور تخل بالمعتقد وعند بيان الأمر له قال: لم أنتبه لمثل ذلك.

المهم أن الناس توسعوا في هذا الباب، فهذا قارىء يلمس المرأة، يلمس يدها، رجلها، جسدها، كيف يجوز له ذلك.

وآخر يستخدم الجن ويزعم أنه يستخدم جناً صالحين، ومن هذا الرجل الذي دانت له الجن، ومن الذي يقول أن هؤلاء من الجن الصالحين، الأمر جد خطير ويحتاج إلى وقفات، بل يحتاج إلى تدخل عاجل وحاسم من الجهات ذات العلاقة بهذا الأمر، الهيئات، ووزارة الشؤون الإسلامية، والإفتاء، ووزارة التربية والتعليم، وغيرها من الجهات التي لها اهتمام بهذا الأمر.

جـ٦: الشباب هم بحر الأمة الدافق، وقلبها النابض، هم أمل المستقبل وزينة الحاضر.

ولذا كثرت حولهم المصائب، وخطط الأعداء لاصطيادهم بكل وسيلة متاحة، وهؤلاء الشباب مثل العجينة بيد الخباز يقلبها حسب ما يريد، فهم أمانة في أيدي آبائهم وأولياء أمورهم، ومعلموهم عليهم أن يوجهوهم لما فيه خيرهم وخير أمتهم وبلادهم.

والشباب كما قلت: سريعو التأثر والتأثير، ولذا يغرر بهم أحياناً، فيمشون خلف الأعداء في أفكار ساقطة مشينة، وأحياناً يقتنعون بأفكار فيها غلو وتطرف وهذه سمة ظاهرة لشباب هذا الوقت.

ووصيتي للدعاة والمسؤولين عن القطاعات الشبابية أن يعتنوا غاية العناية بهذه المسألة غاية العناية لأن بناء عقول الشباب في هذه الأوقات والأعمار ينبني عليها التخطيط للمستقبل لهم ولأمتهم، وكم من أفكار شائنة فيها شطط وبعد عن الوسطية أردت الشباب وجعلتهم ضحية وألعوبة بيد الأعداء يقلبونهم كيف يريدون، ولو أننا استعنا بالله وحصَّنا شبابنا ووضعنا سياجاً حصيناً يحميهم بإذن الله من تأثير المغرضين والحاقدين على البلاد والعباد لكسبنا مكاسب عظيمة لا تقاس بالذهب والفضة. وانسب الطرق لكسب الشباب وتأليف قلوبهم هو الحوار الهادىء الهادف المتأني المبني على أصول شرعية دقيقة، ووضع الحوافز للعاملين في القطاعات الشبابية ورصد الجوائز لهم وتهيئة الأجواء المناسبة التي ترغبهم في الخير وتدفعهم إليه، وتقوي ولاءهم وانتماءهم لأمتهم ودينهم وبلادهم.

جـ٧: الاستعجال في كل شيء غير محمود وخصوصاً العجلة التي لم تبن على أسس دقيقة، وكم من فتى وفتاة دفعهم الاستعجال للإحباط والقعود والكسل، بل والبعد عن العطاء بسبب موقف لم يخطط للتعامل معه بإتقان.

ولا زلت أذكر ذلك الشاب قبل ثلاثين عاماً حينما كنا طلاباً في الجامعة فاشترك معنا في ركن من أركان النشاط يسمى (ركن طالب يرتجل) كان شيخنا يدربنا فيه على الخطابة فجاء شخص وطلب من الشيخ أن يلقي، فقال له الشيخ: انتظر لك يومين أو ثلاثة حتى ترى كيف يلقي زملاؤك الذين سبقوك وتستعد لهذا الموقف، فقال الشاب: أنا أستطيع أن ألقي الآن، فوقف أمامنا والعرق يتصبب من جبينه ولم يزد على أن قال: الحمد لله رب العالمين، فتلعثم وارتبك وتغير لونه، وظهر الخوف على وجهه ثم أجلسه شيخه وقال له: يا بني قلت لك: انتظر، فخرج زميلنا من القاعة ولم يعد إليها.

فوصيتي لأحبابي الشباب وأخواتي الفتيات ألا يستعجلوا في هذا الشأن، وأن يخططوا لمثل هذه المواقف ويتدربوا عليها لتكون بدايتهم جادة وهادفة وقوية.

جـ٨: هذه مسألة جد خطيرة وقد أشرت إلى طرف من سلبياتها في لقاء

في مجلة الدعوة في آخر شهر ربيع الثاني وقلت: إن هذه الفتاوى لها أبعاد خطيرة على الناس فمن على المنبر الواحد يفتي هذا بأن هذا الأمر حلال، وبعده بدقائق يفتي آخر بأن هذا الشيء نفسه حرام، وأحياناً ينتصر الشخص لرأيه ويسقط الرأي الآخر، وأنا لا أستطيع الحجر على أحد لكن أقول لا بد من تنظيم هذا الأمر والعناية به ولقد كان من سلفنا من يحدد الفتوى ويخص بها رجلاً وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر ألا يفتي إلا فلاناً ويمنع ابن مسعود من الفتوى في بعض المسائل ومن هو ابن مسعود رضي الله عنه.

وأقول لإخواني وزملائي طلاب العلم إن الأمر في غاية الخطورة فليتدارسوا الأمر وليحسبوا النتائج وليصدروا عن أمر فيه مصلحة المسلمين عموماً.

وكم شاهدنا وسمعنا من تكلموا في أهل العلم ووصموهم ببعض الأمور التي هم منها براء لكن بسبب التفاوت في الفتوى، ثم إن الشباب أصبحوا يتكلمون بأهل العلم ويسقطون من لا يريدون فتواه، وهذا متشدد وهذا لا يفهم في كذا، والأمة أحوج ما تلتف على علماؤها وتأخذ برأيهم لا سيما في قضاياها الكلية.

جـ٩: ما قلناه في الاستعجال في الإلقاء والخطابة نقوله هنا، فالتعجل بالتأليف وإشهار الاسم له آثار سلبية على الشخص قد تكون حرمانه من بركة العلم ولذته، ثم إن هذه الإصدارات التي لم يرتب لها ويتم عرضها على أهل العلم والدعوة المختصين في هذا المجال قد تؤدي إلى نتائج عكسية سلبية، ثم إن كثيراً من هذه الكتيبات والمطويات ما فيها مكرر وبعض الشباب يهمه أن يرقم عليها اسمه. والمهم هو الوسط في هذا الأمر فلا نمنع هذه الرسائل التي لها آثار طيبة وثمار عظيمة، ونمنع هذا الكم من الرسائل التي هي تكرار لغيرها وقد تسيء للخير وأهله.

جـ١٠: العلم لا يمكن أن يتمكن فيه طالبه إلا عن طريق شيخ ضابط متقناً وكلما ثنى التلميذ ركبته عند شيخه فإنه يدرك من دقائق العلم وتفصيلاته الشيء الكثير، وقديماً قيل: من كان كتابه أستاذه فخطؤه أكثر من صوابه.

وهل ضل من ضل من بعض الطوائف والأفراد إلا حينما اعتمدوا على القراءة المجردة غير المرشدة والمسددة، فالشيخ يعود تلميذه على الاستنباط والفهم والدقة في ضبط النصوص وفهم مراميها ولعل ساعة عند شيخ متقن خير من أيام يقرأ فيها الشخص قراءة مجردة.

ولعله من النادر أن تجد عالماً متمكناً ليس لديه ثلة من المشايخ الذين تتلمذ عليهم فوصيتي لأحبابي الطلاب أن يحرصوا على هذا المسلك وأن يجتهدوا فيه، وأن يبتعدوا عن الاعتماد على النفس والقراءة المجردة بالكتب دون وعي وضبط وإتقان، فمن لم يستكمل آلة العمل لا يخوض في غماره، وهكذا من لم يستكمل وسائل السلامة والنجاة لا ينبغي أن يعوم في البحر.





رسالة في

بر الوالدين

(تنشر لأول مرة)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه. وتعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

ففي هذا الزمن الذي كثر فيه الشر، وقل فيها الخير، واهتم فيه الناس بالماديات وابتعدوا عن منهج الرب ﷻ بدأنا نسمع ونشاهد عقوق الأبناء والبنات لوالديهم والتمرد عليهما ووصفهما بالرجعية والجمود بل قد وصل الأمر إلى أشد من ذلك، إلى ضرب آبائهم وأمهاتهم بل إلى قتلهم ـ نسأل الله العافية والسلامة.

وفي هذا البحث دعوة إلى القيام بأعظم حق على المسلم بعد طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وهو حق الوالدين، والحث على برهم والنهي عن عقوقهم.

وسيكون الحديث في هذا البحث القصير ـ إن شاء الله ـ حول الحث على بر الوالدين وذلك من خلال الوقفات الآتية:

ـ معنى بر الوالدين.

ـ الآيات والأحاديث الدالة على وجوب بر الوالدين.

ـ الثمرات الناتجة عن بر الوالدين.

ـ صور من بر الوالدين:

١ ـ طاعة الوالدين واستماع إرشاداتهم ونصائحهما.

٢ ـ الإحسان إليهما.

٣ ـ الأضرار الحاصلة بسبب عقوق الوالدين.

أسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يجعلنا من الأتقياء الأبرار، والأصفياء الأخيار، كما أسأله ﷻ أن ينفعنا بما نقول ونسمع، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



الحث على برِّ الوالدين والنهي عن العقوق

معنى بر الوالدين:

البر: الإحسان، ومنه قول الرسول ﷺ: «**البر حسن الخلق**»[(١)] وهو في حق الوالدين والأقربين ضد العقوق.

وقال ابن منظور: البر: الصدق والطاعة. وبرَّ يَبرُّ إذا صلح، وبر في يمينه إذا صدقه ولم يحنث.

وبَرّ رَحِمَهُ يبَرُّ إذا وصله. ويقال فلان يبَرُّ ربه أي: يطيعه، ورجل بَرّ ذي قرابته وبارٌّ من قوم بررة وأبرارٍ والمصدر البرُّ.

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إنما سماهم الله أبراراً لأنهم برّوا الآباء والأبناء».

البر: ضد العقوق وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم[(٢)].

قال الحسن البصري رحمه الله: «البِرُّ أن تطيعهما في كل ما أمراك به ما لم تكن معصية لله، والعقوق هجرانهما وأن تحرمهما خيرك»[(٣)].

وقال القرطبي رحمه الله: «عقوق الوالدين مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن برهما موافقتهما على أغراضهما. وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله، كذلك إذا كان من قبيل المندوب»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٧٩٤) المختصر.
(٢) لسان العرب (٤/ ٥١).
(٣) الدر المنثور (٥/ ١٥٩).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٣٨).

الآيات والأحاديث
الدالة على وجوب بر الوالدين

وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على بر الوالدين، وهذا يدل على أن برهما واجب على الإنسان إلى قيام الساعة، فمن الآيات ما يلي:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

٨ ـ وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وأما الأحاديث النبوية فمنها:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»، قال، ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

٢ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: «**فهل من والديك أحد حي؟**» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «**فتبتغي الأجر من الله؟**» قال: نعم، قال: «**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»(٢).

٣ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني جئت أبايعك على الهجرة ولقد تركت أبوي يبكيان قال: «**فارجع فأضحكهما كما أبكيتهما**»(٣).

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: «**أحي والدك** قال: نعم قال: **ففيهما فجاهد**»(٤).

٥ ـ وعن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة (٥٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان (٨٥) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٤٩).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الجهاد (٢٥٢٨)، والحاكم في كتاب البر والصلة (٧٢٥٠)، والنسائي في البيعة على الهجرة (٧٧٨٦).

(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٤٩).

رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**أمك حية؟**» قلت: نعم، قال النبي ﷺ: «**إلزم رجلها فثم الجنة**»[١].

٦ ـ وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رجلاً هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن، فقال: «**هل لك أحد باليمن** قال: أبواي قال: **أذنا لك** قال: لا قال: **فارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما**»[٢].

٧ ـ وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك منه محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد علي الحوض**»[٣].

٨ ـ وعن أبي الدرداء رحمه الله قال: أوصاني رسول الله ﷺ بتسع: «**لا تشرك بالله شيئاً، وإن قطعت أو حرقت، ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمداً، ومن تركها متعمداً برئت منه الذمة، ولا تشربن الخمر فإنها مفتاح كل شر، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما...**»[٤].



---

(١) رواه الطبراني (٨١٦٢) وحسنه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب).
(٢) رواه الحاكم (٢٥٠١)، وابن حبان (٤٢٢) انظر: صحيح الجامع (٠٩٠٥)، وإرواء العليل(١١٩٩).
(٣) المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٥٤) وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح.
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٣٣٩).

الثمرات الناتجة عن بر الوالدين

بر الوالدين من أفضل الأعمال، وأجل القربات، وأحبها إلى الله، وأزكاها عنده، وهو من أكبر أسباب كسب الثواب، وتحصيل الحسنات، وتكفير السيئات، ومن أقرب الطرق الموصلة إلى الله والفوز بجنته ورضاه.

وهناك ثمرات ناتجة عن بر الوالدين في الدنيا والآخرة، منها:

١ ـ أنه من أسباب رضا الله تعالى: روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد**»[١].

٢ ـ زيادة العمر والرزق: روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن رجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا بالدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر**»[٣].

وعن سلمان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر**»[٤].

٣ ـ أنه من أسباب مغفرة الذنوب؛ قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٥١٦)، ورواه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٥٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (١٣٨٣٨).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٧٢)، والحاكم (١٨١٤) بتقديم وتأخير وقال: صحيح الإسناد.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب القدر (٢١٢٩).

إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الأحقاف: ١٥] إلى أن قال في آخر الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف: ١٦].

وما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ فقال: «**هل لك من أم؟**» قال: لا، قال: «**فهل لك من خالة؟**» قال: نعم، قال: «**فبرها**»(١).

وعن عطاء بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله عز وجل وتقرب إليه ما استطعت. قال: عطاء بن يسار: فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: «إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة»(٢).

وقد ذكر ابن عبد البر رحمه الله أن امرأة ساحرة جاءت إلى ابن عباس لتتوب، فقال لها: «ألك أم؟ قالت: نعم، قال: بري بها»(٣).

٤ ـ من أسباب دخول الجنة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليه محتسباً إلا فتح الله له بابين ـ يعني من الجنة ـ وإن كان واحد فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرضَ الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه، قال: وإن ظلماه»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه**، قيل: من يا رسول الله قال: «**من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»(٥).

---

(١) وراه الترمذي في جامعه وقال الأرناؤوط: ورجاله ثقات. وصححه ابن حبان والحاكم. انظر: جامع الأصول (١/٤٠٦).
(٢) صحيح الأدب المفرد (٤/٤)، سلسلة الصحيحة (٢٧٩٩).
(٣) بهجة المجاس (٢/ ٧٦٠).
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب بر الوالدين وإن ظلما(٧).
(٥) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٥١).

وعن أبي الدرداء ﵁: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**»[(١)].

وعن معاوية بن جاهمة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال: «**هل لك من أم؟** قال: نعم، فقال: **إلزمها فإن الجنة عند رجلها**»[(٢)].

٥ ـ أنه سبب في تفريج الكربات وقبول الدعوات: عن عبد الله بن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فآووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني وإنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت بالحلاب عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء...**»[(٣)].

٦ ـ أنه سبب في بر أبنائك لك: عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم**»[(٤)].

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب (٣٦٦٣) والترمذي في كتاب البر والصلة (١٩٠٠) وقال: صحيح. وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، وفي السلسلة الصحيحة رقم (٩١٠).

(٢) رواه النسائي في سننه، وأحمد في مسنده، انظر: صحيح الجامع رقم (١٢٤٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب (٥٦٢٩)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء التوبة والاستغفار (٢٧٤٣).

(٤) قال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الطبراني بإسناد حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣٨): رجاله رجال الصحيح. وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٣٢٨).

وإذا كانت هذه بعض ثمرات بر الوالدين، فحري بكل عاقل ناصح لنفسه أن يحرص على بر والديه وإكرامهما، والقيام بما يجب عليه نحوهما، وأن يفرح بأن أدركهما ليبرهما ويشكر فضلهما، فيدخل الجنة بسببهما[١].



(١) فقه التعامل مع الناس، د. عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان ص٢٤٥.

صور من بر الوالدين

١ ـ طاعة الوالدين واستماع إرشاداتهما ونصائحهما:

بر الوالدين يقتضي طاعتهما بالمعروف واستماع إرشاداتهما ونصائحهما، فإذا أمر الوالد ولده بأن يقضي له حاجة، أو يحقق له مصلحة، أو أن يفعل شيئاً أو يتركه، وجب عليه المبادرة إلى ذلك من غير تلكؤ وتردد، ولا تبرم ولا تأفف، فإن كان ثمة مانع شرعي أو حسي يمنعه من الاستجابة لأمره اجتهد في الاعتذار إليه، وتلطف في استرضائه وبيان السبب الذي يحول بينه وبين ما أراده منه، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فنهى عن مجرد التأفف معهما، فما بالك بمعاندتهما وعصيان أمرهما؟ قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ وقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وليس من شكرهما والإحسان إليهما: معصيتهما ومخالفة رغبتهما.

وقال ﷻ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥] وقد دلت الآية على وجوب طاعة الوالدين بالمعروف من وجهين:

الأول: أنه نهى عن طاعتهما فيما يأمران به ولدهما من معصية الله تعالى والإشراك به. فدل ذلك على أنهما إذا أمراه بشيء لا معصية فيه من مباح أو مشروع وجب عليه طاعتهما.

الثاني: أنه أمر الولد بمصاحبة والديه بالمعروف ولو كانا يجاهدانه على الشرك، وليس من المصاحبة بالمعروف عصيان أمرهما، والخروج عن طاعتهما.

ويدل على وجوب طاعة الوالدين كذلك: أن الجهاد في سبيل الله ـ إذا لم يكن فرض عين ـ لا يصح إلا بإذن الوالدين المسلمين.

لأن طاعة الوالدين واجبة، والجهاد في هذه الحال مستحب، فلا يترك الواجب لأمر مستحب.

ومن عجائب القصص في هذا الباب: قصة جريج العابد مع أمه، التي أخبر بها النبي ﷺ ناصحاً لأمته، ومحذراً من تجاهل أمر الوالدين والتشاغل عنهما، ومبيناً خطورة دعوة الوالد على ولده:

عن حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «كان جريج يتعبد في صومعة فجاءت أمه قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة لصفة رسول الله ﷺ أمه حين دعته كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت: يا جريج أنا أمك كلمني فصادفته يصلي فقال اللهم أمي وصلاتي فاختار صلاته فرجعت ثم عادت في الثانية فقالت: يا جريج أنا أمك فكلمني قال: اللهم أمي وصلاتي فاختار صلاته فقالت: اللهم إن هذا جريج وهو ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات قال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن قال: وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره قال: فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعي فحملت فولدت غلاماً فقيل لها: ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير قال: فجاؤوا بفؤوسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلي فلم يكلمهم قال: فأخذوا يهدمون ديره فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له: سل هذه قال: فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: أبي راعي الضأن فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال: لا ولكن أعيدوه تراباً كما كان ثم علاه»[(١)]

فتأمل كيف استجاب الله دعوة أمه عليه، مع أن الولد منعه من إجابتها ليس اللهو وللعب، أو النوم والكسل، أو اشتغال بأمور الدنيا، أو قصد

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٨)، ومسلم (٢٥٥٠).

معاندتها وتجاهلها، وإنما الذي منعه: اشتغاله بعبادة عظيمة كره أن يقطعها.

وقد دل الحديث كذلك على أن من شرع في صلاة نافلة ثم دعاه أحد والديه، وهو يعلم أنه يتأذى بانتظاره، أو يغضب عليه لتأخره عن إجابته، فإنه يقطع صلاته ولا حرج عليه لأن إجابة الوالد واجبة، وإتمام النافلة مستحب.

٢ ـ الإحسان إلى الوالدين:

لقد أمر الله تعالى في آيات كثيرة ببر الوالدين والإحسان إليهما، وشكرهما بالقول والفعل، وبيَّن كيفية ذلك في آيتين جامعتين بالغتين، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

فأمر بالإحسان إلى الوالدين، وحذف المعمول، ليعم جميع أنواع الإحسان إليهما وشكرهما بالأقوال ولأفعال، والبدن والمال.

ثم أكد على أهمية ذلك في حال كبرهما؛ لأنهما حينذاك أحوج إلى البر والإحسان واللطف والرفق، والاحترام والتوقير.

ثم نهى عن إساءة الأدب معهما، وإظهار التبرم والتأفف لهما، فضلاً عن رفع الصوت عليهما، أو سبهما أو شتمهما، أو احتقارهما والتعالي عليهما، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تؤذهما أدنى أذية، ولا يصدر منك أدنى شيء يدل على التضجر منهما أو الاستثقال لهما، ووطن نفسك على احتمال ما قد يصدر عنهما من جهل أو خطأ. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا ترفع صوتك عليهما، ولا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجهيهما، ولا تنظر إليهما شزراً وتُحدّ الطرف إليهما، ولا تنفض يدك عليهما زاجراً لهما ومعترضاً عليهما.

ولما نهي عن القول القبيح والفعل القبيح أمر بمعاملتهما بالحسنى قولاً وفعلاً، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليناً طيباً لطيفاً، بتأدب واحترام وإكرام، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان.

ثم قال: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما بفعلك، رحمة بهما، وتذللاً لهما، وعرفاً بفضلهما، وعاملهما معاملة الخادم الذي ذل أمام سيده، فتطيعهما في المعروف، وتجيب دعوتهما، وتخدمهما وتقضي حاجتهما، وتغض الطرف عن أخطائهما، وتحرص على كل ما يسعدهما ويريحهما، وتبتعد عن كل ما يؤذيهما ويسخطهما[1].

رأى أبو هريرة رضي الله عنه رجلاً يمشي خلف رجل، فقال: «من هذا؟ قال: أبي، قال: لا تدعه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمشي أمامه»[2].

فيجب عليك التلطف معهما، والتودد إليهما بالقول والفعل، وأن تبدأهما بالسلام وتدعوهما بأحب الأسماء إليهما، وتتأدب معهما في كلامك وجلستك وطعامك وجميع أحوالك.

٣ ـ الدعاء للوالدين:

إن حق الوالدين عظيم، ومهما اجتهد الولد في برهما والإحسان إليهما، فلن يوفهما حقهما، ويشكر فضلهما، وإن من شكرهما أن يكثر من الدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

فهكذا علَّم الله عباده، وبهذا أمرهم أن يدعوا لوالديهم بالرحمة أحياء وأمواتاً، جزاء رعايتهم لهم بإحسانهم إليهم.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «ادع لوالديك بالرحمة، وقل رب ارحمهما وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك كما تعطفا عليّ في صغري، فرحماني وربياني صغيراً، حتى استقللت بنفسي واستغنيت عنهما»[3].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٣٤)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٥)، وتفسير الشوكاني (٣/ ٣٠٣)، وتفسير السعدي ص٤٠٧.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد»: ٤٤، وذكره ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٢/ ٧٦٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٦٣).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٥٠).

وكما دعا نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ لوالديه فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

فدعا لوالديه بعد دعائه لنفسه، ولم يقدم عليهما أحداً، لا زوجاً، ولا قريباً، ولا صديقاً.

وحكى الله عن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

فدعا لوالديه بالمغفرة بعد دعائه لنفسه مباشرة، وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه، لما تبين له أنه عدو الله ﷻ[١].

ويقول النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].

فجعل من علامات صلاح الولد دعاءه لوالديه بعد موتهما، حيث تكون حاجتهما إلى الدعاء حينذاك أشد من حاجتهما إليه في حال الحياة.

واقتصاره ﷺ على ذكر الدعاء دون سائر العبادات، حيث قال: «**يدعو له**»، ولم يقل: يعمل له أو يصلي له، أو يحج عنه، دليل على أن الدعاء هو أفضل ما يهدى للوالد بعد موته[٣].



(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٢).

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) فقه التعامل مع الناس ص٢٤٩، ٢٥٤.

الأضرار الحاصلة بسبب عقوق الوالدين

إن من خسة النفس، ودناءة الطبع، أن يتنكر الولد لوالديه، ينسى فضلهما عليه، فيقابل إحسانهما بالنكران، وجميلهما بالنسيان، وصلتهما بالقطيعة والهجران، وبذلهما ونصحهما بالجحود والعقوق، والإعراض والصدود، لقد كانا يتطلعان إلى رد الجميل، ويؤملان الصلة بالمعروف، وإذا بهذا المخذول قد تناسى ضعفه وطفولته، وأُعجب بشبابه وقوته، وغُر بتعليمه وثقافته، وترفع عليهما بجاهه ومرتبته، يقهرهما وينهرهما، ويعصيهما ويتمرد عليهما، ويؤذيهما بالتأفف والتبرم، بل لربما تعدى عليهما، فلطم وضرب، وشتم وسب، والعياذ بالله.

يا أيها المخذول العاق لوالديه، هل حينما كبرا واحتاجا إليك جعلتهما من أهون الأشياء عليك؟ وقدَّمت غيرهما بالإحسان، وقابلت جميلهما بالإساءة والعدوان، أما علمت أن برهما من أفضل الأعمال، وأن عقوقهما من أعظم أسباب الهلاك والخسران[١].

ومن الأضرار الحاصلة بسبب عقوق الوالدين ما يلي:

١ ـ أنه من أكبر الكبائر يقول النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً**»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئاً فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٢] فجعل العقوق من أكبر الكبائر وقرنه بالشرك الذي هو أعظم الذنوب.

(١) فقه التعامل مع الناس ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥١١)، ومسلم (٨٧).

٢ ـ ولشناعة العقوق كانت عقوبته معجلة في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من العذاب والنكال الشديد، يقول النبي ﷺ: «**كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه قبل الممات**»[(١)].

وقال ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[(٢)] وعقوق الوالدين قد اجتمع فيه الذنبان، فهو بغي وقطيعة الرحم، فما أحرى العاق لوالديه بالعقوبة العاجلة، والنكال الشديد في الدنيا والآخرة.

٣ ـ أنه سبب لدخول النار والحرمان من الجنة، يقول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن الخمر**»[(٣)].

٤ ـ أنه مجلبة لسخط الله تعالى ومقته، فإن رضاه في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما كما في قوله ﷺ السابق: «**وسخط الله في سخطيهما**»[(٤)].

٥ ـ ومن آثاره الخطيرة أن الوالدين مع شدة إخلاصهما لولدهما، ومحبتهما له قد تحملهما مرارة العقوق والضيم على الدعاء عليه، واللجوء إلى الله تعالى بأن يعاقبه وينتقم منه. وتلك والله قاصمة الظهر، وجالبة العذاب والضر، وماحقة النعم والخير؛ لأن دعوة الوالد لا ترد، وليس بينها وبين الله سدود ولا حُجب: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**»[(٥)] وما قصة جريج العابد ببعيد، ففيها عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

(١) رواه الحاكم (٧٢٦٣) صحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٣٩)

(٣) رواه النسائي (٥٦٧٢)، وأحمد (٦٨٨٢)، والدارمي (٢٠٩٣)، وابن حبان (٣٣٨٣)، (٣٣٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٥٥٣).

(٤) سبق تخريجه ص٢١٣.

(٥) رواه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وأحمد (٧٥٠١)، وصححه ابن حبان (٢٦٩٩)، وحسنه الترمذي، والألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٥٩٦).

الخاتمة

أخيراً في هذه الخاتمة، أود أن ألخص ما سبق وهو كالآتي:

١ ـ أن بر الوالدين واجب على الولد حيث إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية متوافرة تحث على برهما.

٢ ـ أن بر الوالدين قد ارتبط بعبادة الله مباشرة، وهذا يدل على عظيم منزلة الأبوين عند الله تعالى.

٣ ـ أن هناك ثمرات ناتجة من بر الوالدين، منها أنه سبب في دخول الجنة، وزيادة العمر وبركة الرزق وسبب في تفريج الكربات وقبول الدعوات، وأيضاً سبب في بر الأبناء.

٤ ـ أن بر الوالدين له صور متعددة، منها: طاعتهما، واستماع إرشاداتهما، والإحسان إليهما، والدعاء لهما.

٥ ـ أن عقوق الوالدين حرام لما يترتب عليه من وعيد شديد وعذاب في الدنيا والآخرة.

٦ ـ وأيضاً هناك أضرار حاصلة بسبب عقوق الوالدين، منها: أنه يعتبر من أكبر الكبائر التي حذرنا رسول الله ﷺ منها، وكانت عقوبة العقوق معجلة في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من العذاب والنكال الشديد، وأنه سبب لدخول الولد النار وحرمانه من الجنة، وأنه مجلبة لسخط الله على العاق، وأنه يؤدي إلى دعاء الوالدين على الأبناء.

٧ ـ فعلينا أن نحرص على بر والدينا وأن نكون كما أمر الله ورسوله ﷺ مراعين ما علينا من حقوق والدينا لنيل الراحة والسعادة في الدنيا والآخرة وحسن الثواب في الآخرة.

نسأل الله أن يتقبل أعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يرزقنا السداد إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبياً محمد.





وصايا للمرأة المسلمة

(تنشر لأول مرة)

الحلقة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهنيئاً لمن كان منتظماً في سلك الأخيار يعين الناس ويقضي حاجاتهم ويؤدي ما افترض الله عليه يحب الناس ويحبونه أولئك الذين لهم القبول في الأرض من رجال ونساء قدوتهم خير الأنام ﷺ وهدفهم طاعة الرحمن ينظرون إلى الدنيا على أنها دار ممر يتزودون منها بما ينفع فقط، وفي هذا الصدد تتساءل كثير من الأخوات قائلة إني أريد طريق الخير وأحرص عليه فكيف أبني نفسي وأوطنها في هذا الجو الصاخب. وأقول لهؤلاء إليكن هذه الوصايا لعل الله أن ينفع بها:

١ ـ الصلاة كثير من النساء تتهاون في موضوع الصلاة فتؤخرها عن وقتها لانشغالها بأعمال البيت...

٢ ـ إقرئي القرآن واحرصي أن يكون لك ورد يومي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**».

٣ ـ أكثري من ذكر الله في كل حين وعلى كل حال، لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله.

٤ ـ احرصي على طول الصمت وقلة الكلام إلا فيما ينفع.

٥ ـ احذري من الغيبة.

٦ ـ احذري من النميمة.

٧ ـ احذري من السخرية والاستهزاء بالغير من رجال ونساء.

٨ ـ تعلمي ما ينفع واحرصي على قراءة ما يفيد واحذري من عدم الإخلاص في النية لطلب العلم فكل عمل لا يقبل إلا بشرطين: الإخلاص وأن يكون صواباً أما أن يكون الهدف والمطمع نيل الشهادة فقط فبئس ذلك هدفاً.

٩ ـ احذري من سماع المحرم كآلات اللهو والكلام البذيء.

١٠ ـ الله الله في الحشمة واللباس الساتر فذئاب البشر حريصون على تفسخك وعرِّيك من أجل أن ينالوا مقصودهم ثم ليلفظونك كما لفظوا غيرك.

١١ ـ اعرفي من تجالسين فالمرأة الصالحة تحرص على مجالسة أهل الخير من بنات جنسها «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء**».

١٢ ـ احرصي على التوجيه لبنات جنسك في أي مجلس تجلسينه في الفصل والمدرسة والبيت والمناسبات لتكوني شمعة تضيء للآخرين ولتتحقق فيك الخيرية الموعودة لهذه الأمة.

١٣ ـ احرصي على اختيار ما تقرأين واحذري من المجلات الهابطة والصحف الماجنة لئلا تكوني ضحية من ضحايا دعاة السوء ومروجي الرذيلة وعليك بقراءة ما ينفع لأنه من الزاد الذي تتزودين وتستعدين به للموت وما بعده.

١٤ ـ احذري من الخروج للأسواق ومزاحمة الرجال وكثرة الحديث معهم فكثرة الإمساس تقلل الإحساس وإذا كانت هناك ضرورة فعليك بالستر والعفاف وأن يكون ذلك مع محرم لئلا تعرضين نفسك للأذى.

١٥ ـ أتدرين من يرغب الشباب بهم من النساء إنهم يرغبون في العفيفات اللواتي اكتملت شخصيتهن واتخذن من البيت مكاناً للتعليم والفائدة لا يعرفن في الغالب إلا المدرسة والبيت ستر وعفاف صيانة وحفظ أمانة وتقى وعي ثقافة.

١٦ ـ عليك باستغلال الوقت والاستفادة من كل دقيقة من عمرك...

١٧ ـ تقربي إلى الله بالنوافل والطاعات...

١٨ ـ دعاة السوء حريصون على هدم أخلاقك. . .

١٩ ـ البر بالوالدين نعمة عظيمة تجد المرأة حلاوتها وهو دين تفرضه لأبنائها. . .

٢٠ ـ القيام بشئون البيت. . .

٢١ ـ علامات الخير واضحة وأمارات السوء بيِّنة فاحرصي على ألا تظهر عليك شيء منها واعلمي أن الناس يتحدثون عن أمثالك فإما أن تذكر البنت ويثني عليها خيراً أو العكس ولذا يتسابق الشباب إلى بعض البنات العفيفات المستقيمات ويحجمون عن البعض الأخر اللواتي يدور حولهن بعض الكلام.

٢٢ ـ الحجاب الشرعي المطلوب: ينبغي أن تتوفر فيه الضوابط التالية:

أ ـ استيعاب جميع البدن.

ب ـ ألا يكون زينة في نفسه.

جـ ـ أن يكون سميكاً لا يشف ما تحته من الجسم.

د ـ أن يكون فضفاضاً واسعاً غير محدد للأعضاء.

هـ ـ ألا تصدر منه رائحة الطيب وما يلحق به.

و ـ ألا يكون على هيئة تشبه لباس الرجال.

ز ـ ألا يكون على هيئة تشبه لباس الكافرات.

ح ـ ألا يكون لباس شهره تتميز به.

٢٣ ـ البيت المثالي:

ما أروع أن يعيش الإنسان سعيداً هنيئاً في بيته ليس هناك ما يكدر عليه يعيش في بيت مثالي، أُسس بنيانه على التقوى، بيت بسيط في كل جوانبه المادية والمعنوية، بيت طاهر نظيف، يقوم بناؤه على السكينة والمودة والرحمة تعلو فيه الابتسامة الصافية الرقيقة التي لها أثر في نفس المبتسم له، هذا البيت يتساعد جميع أفراده ويتوازعون العمل فيما بينهم كل حسب طاقته وإمكاناته ورغباته ويتربى فيه الأطفال تربية جسدية وعقلية ونفسية.

٢٤ ـ المرأة والعاطفة:

كثيراً ما تدفع العواطف المرأة للإعجاب بأشخاص ونساء ليسوا أهلاً للإعجاب وسريعاً ما يسقطون لأنهم لم يبنوا حياتهم على أساس مكين ولذا على المرأة أن تحكم عقلها وتنظر للنصوص الشرعية في هذا الباب وتجعل قدوتها أمهات المؤمنين والصالحات من سلف المؤمنات.

٢٥ ـ أم سلمة أم المؤمنين:

المرأة المسلمة العالمة التي نقلت لنا شيئاً من سنة رسول الله وهي المسلمة الداعية حيث نقلت لنا شيئاً من المعاناة نقلاً واقعياً تطبيقاً.

المسلمة المهاجرة، الصابرة، اللبيبة الذكية، الرائدة حينما عوضها الرسول ﷺ ورغب في زواجها وخافت من غيرتها قالت إنها مسنة ولكن رسول الله يعتذر لها ويدعو لها أن تذهب غيرتها ويدعو لابنتها أن تكون في رعاية الله ورسوله وهكذا نتعلم درساً بليغاً من أم سلمة في رجاحة عقلها وسمو أخلاقها وصبرها وجهادها وأخيراً ما عوضها الله به من جوار خير البرية ﷺ.

٢٦ ـ ميزان التفاضل بين النساء:

ليس التفاضل بين النساء في الأكثر جمالاً أو الأكرم نسباً أو الأحسن طهياً أو الأفضل علاقات وتجارة وغير ذلك.

بل التفاضل بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقوله عن المؤمنات: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾.

فالمرأة ليست أجمل متزينة أو أنجح طاهية أو أكثر مقتنية للجواهر والزينة أو أجمل أثاثاً في بيتها الجميل الذي تظهر عليه علامات الثراء ليست هذه هي الخيرية إنما الخيرية في المسلمة المؤمنة القانتة التائبة العابدة السائحة.

٢٧ ـ المرأة وملكات الجمال:

لقد كثرت ملكات الجمال في هذا الزمان حتى أصبحن أكثر من الهم

على القلب وأكثرهن يشبه دود القطن نعومة والتواء وقلة كساء وعدم حياء ولذا فإن جاز التعبير فإن هذا مرض من أمراض العصر الخطيرة وهو حمى ملكات الجمال وهو مرض معد ومن الأمراض الوبائية الفتاكة وهو مرض يعيب النساء دون الرجال.

٢٨ ـ المرأة والحب:

الحب شيء جميل وصفة طيبة يحرص عليها العقلاء من البشر لأن الطبيعة البشرية تحب الجميل من الأشياء وتميل إليه النفس والحب هو الميل بشغف مع شيء من التفكير والإعجاب وهو من صفات المؤمنين مع خالقهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

فالحب في أصله محمود لأنه دليل على صفاء الفطرة ونقائها وطهرها ولكن لا بد أن يكون حب صادقاً مجرداً عن الهوى والأطماع.

ولا بد أن يكون نابعاً من القلب لخلق أو لدين أو لذاتٍ كريمةٍ طيبةٍ.

فالمحب لله محبوب في نفسه محبوب عند الآخرين لأن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه. وكلمة الحب تعني الإعزاز والتقدير والاحترام وهكذا إذا أحب الرجل المرأة تقدم لخطبتها وليس هناك طريق آخر غير الزواج الشرعي لكن الناس ارتكبوا باسم الحب أغلاطاً وأخطاء جسيمة فحولوه من الطهر والعفاف إلى حمأة الرذيلة ومستنقع الفساد خربت البيوت باسم الحب وضاعت الأمانات وسلك الناس مسالك الشيطان لقد جاوز الكثيرون والكثيرات الحدود فأجرموا باسم الحب وارتكبوا الخيانة باسم الحب وكسروا حواجز الفضيلة باسم الحب. لقد بالغوا في ظلم هذا الخلق الطاهر فأين العقول المفكرة وأين القلوب الصافية وأين التفكير السليم فاحرصي يا أختاه على سد أبواب الفساد والبعد عن مواقع الزلل لئلا تندمي ولات ساعة مندم.

٢٩ ـ أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها الزوجة الوفية:

لله در خديجة تلك الزوجة الكريمة أم المؤمنين رضوان الله عليها لقد

كانت نعم الرفيق المخلص في دروب المحنة إلتقى إخلاصها ووفاؤها بوفاء وأمانة النبي المعصوم منذ الساعة الأولى من فجر النبوة فأثمر حميّةً وإقدامًا وتضحية وجهاداً فلا غرو أن رفع الإسلام مكانتها وأعلى شأنها كيف لا وهي من أول من أسلم جاهدت بمالها ووقتها وفكرها في سبيل الله.

لقد كانت العضد الأقوى والساعد الأشد لزوجها العظيم في ساعة العسرة ولذا كان جوابها له بعد أن جاءها خائفاً وجلاً «والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتُعين على نوائب الحق فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة». وقد أقرأها ربها السلام وكافأها بقصر في الجنة.

٣٠ ـ هذه صفات امرأة ليست من أهل الدنيا:

نظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها: أبغني امرأة قالت صفها لي قال: أريدها بكراً كثيِّب أو ثيباً كَبكر حلوة من قريب فخمة من بعيد كانت في نعمة فأصابتها فاقه فمعها أدب النعمة وذل الحاجة فإذا اجتمعنا كنَّا أهل دنيا وإذا افترقنا كنَّا أهل آخره قالت: قد أصبتها لك قال: وأين هي قالت: في الرفيق الأعلى من الجنة فأعمل لها.

٣١ ـ امرأة واحدةٌ ولكن لكل الرجال:

خرجت المرأة من بيتها إلى الأسواق وقد لبست أحسن الثياب وتطيبت بأنفذ الأطياب وصبغت وجهها بأغلى الأصباغ ولبست ما عندها من حلي وأرسلت شعرها ولبست أغلى ما عندها من الأحذية وأخذت تمشي هنا وهناك متمايلة حريصة على الإغراء والإغواء وإظهار المفاتن. خرجت ولسان حالها يقول ألا تنظروا لهذا الجمال إنها كمن يعرض نفسه ويعترض بها لقد تلاقت عليه الأنظار وتهافتت نحوها قلوب ملئها الشهوة الجامحة غير مبالية بالعواقب وكأنها ملك للجميع ولذا صح أن يقال لها: (امرأة ولكن لكل الرجال).

إن التقية الصادقة ينبغي أن يدل مظهرها على مخبرها وأن يسطع الإيمان

الراسخ في كل تصرفاتها وأحوالها وتُعرف بأنَّها من أهل القرآن فيحترمها المؤمنون الكرام ويبتعد عنها الفاسقون اللئام.

٣٢ ـ المرأة والأزياء:

المرأة المسلمة يجب عليها أن تلتزم بالسلوك الإسلامي الراشد الذي يعبر عن عقيدتها وإسلامها ولذا لا تكترث بالبون الشاسع بين مظهرها الإسلامي الملتزم والأخريات من المتبرجات الكاشفات العاريات ومما يؤثر في السلوك هذه الموضات الحديثة والأزياء المتعاقبة المتلاحقة في كل فصل ومن كل لون مناسبة والتي يمتلىء بها الشارع محاطة بالأضواء والدعايات والمغريات وكل يوم تدفع بيوت الأزياء جديداً تهدف من ورائه الاستحواذ على اهتمام الرجال والنساء معاً علاوة على إثارة الجنس وإبراز المفاتن. إن الأزياء وغيرها لا تصنع لهدف صالح بل الهدف من ورائها إفساد المرأة.

٣٣ ـ المرأة والبحث عن طريق الجنة:

روي أن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله بعثك للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجالا وحاملات أولادهم وإن الرجال فُضِّلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه وقال: «**هل سمعتم امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه فقال: انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء إن حُسن تبعُّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**» فانصرفت وهي تهلل وتكبر.

يا لها من رسالة خالدة ومسئولية عظيمة فتنال أجر الجهاد وهي في بيتها وتنال ثواب الجماعة وهي تصلي في غرفتها وتنال شرف الجهاد وتكسب ثوابه وهي لم تغادر بيتها.

الرسول ﷺ يربط مصيرها بمصير زوجها ورضاها برضاه يدخل البيت فيجد البلسم الشافي يأتي البيت مثقل القلب بهموم الحياة فتلقاه بصدر حانٍ

تمسح ألمه وتزيل همه وتواسي جرحه. تترك همومها لهمومه وأهواءها لأهوائه تقدمه على نفسها لتوفر له الجو والسكينة والطمأنينة وهنا تحصل على هذا الأجر العظيم.

إن هذا الموقف العظيم حينما تقفه المراة من زوجها يعدل التضحية بالدم والمال في سبيل الله وإنه لسهل على النساء ولكن يحتاج إلى صبر وتفكر في العواقب.

٣٤ ـ شهادة حق واعتراف:

هذه شهادة واعتراف من صاحبة خبرة طويلة في عالم الشهرة سئلت عن الشهرة في نظرها فقالت: لا تساوي لحظة حب ودفء وحنان.

وسئلت عن الكلمة الحلوة فقالت: يفتقدها الزوج من زوجته وتفتقدها الزوجة من زوجها.

وسئلت عن ربة البيت فقالت: هي من أسعد مخلوقات الله. وسئلت عن الطموح فقالت: أن ينجح الرجل في بيته وأن تنجح المرأة في بيتها.

وسئلت عن التعاسة فقالت: أن تنجح المرأة في عملها وتفشل في بيتها.

وأخيراً سئلت عن أمنيتها فقالت: أن تعود المرأة إلى البيت تربي أولادها وترعاهم وتترك ميادين العمل للرجال.



الحلقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

لقد تكفل الإسلام ببيان أحكام الأسرة مع الإشارة إلى أسرار التشريع مفصلة تارة ومجملة أخرى بآيات وسور متعددة وأحاديث كثيرة من إرث ووصية ونكاح وطلاق وبين أسباب الألفة ووسائل حسن العشرة وشيد صرح المحبة بين أفرادها على تأسيس حقوق معلومة في دائرة محدودة فمتى روعيت تلك الحدود ونفذت تلك الآداب عاشت الأسرة في أرغد عيش وأهنأ حياة.

وحذر الإسلام من هدم الأسرة وحث على تماسكها واتحادها ونفَّر من كل ما يدعو إلى تفكك عراها.

١ ـ ومن ذلك الطلاق وهو أشد الأضرار في المجتمع فكم جر من مصائب وفرَّق أسراً وفصل بين زوجين وذهب بأطفالهما في أودية الحيرة والضياع إذ فقدوا عطف الأبوة وحنان الأمومة وأصبحوا كاللعبة بين أسرتي الأبوين يتقاذفونهم يوماً هنا ويوماً هناك.

٢ ـ ومن ذلك عقوق الوالدين فقد حذر الشارع الحكيم من عقوقهما واعتبره من أعظم المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الأخرة ورغب في برهما والإحسان إليهما وملاطفتهما وتقديم حقوقهما على حقوق كل أحد بل لقد ربط الله حقهما بحقه سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقال ﷺ: «**ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان وثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث والرجلة ـ وهي المرأة المتشبهة بالرجال ـ**».

قال ﷺ: «**كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات**».

وقد جاءت أحكام الأسرة مجملة في أصول عامة وقواعد كلية لتؤخذ منها أحكامها بحسب تجدد الوقائع ولذا وردت تفصيلات أحكامها وآدابها في كتب السنة وكلام أهل العلم.

ومن أهم الآداب التي ينبغي مراعاتها ما يأتي:

آداب العشرة بين الزوجين:

أمر الله جل وعلا بمعاشرة النساء بالمعروف على حسب ما جبلت عليه قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»، وقال علي رضي الله عنه عقل المرأة جمالها وجمال الرجل عقله».

وحسن الخلق ذهب بخيري الدنيا والأخرة والرجل يبلغ بحسن خلقه منازل في الجنة لا يبلغها بعمله ومن حسن العشرة مع الأهل أن يتحمل كل منهما أذى الآخر ويتغاضى عن الهفوات مقابل ما يلقاه من صفات الخير الأخرى.

ومن حسن العشرة الممازحة والملاطفة والمداعبة ففي ذلك تطييب للقلب وجبر للخاطر.

ومن حسن العشرة ألا يحمل كل واحد منهما صاحبه فوق طاقته فالقناعة تعمر البيوت وتوقع الألفة والجشع والطمع يضعفان المحبة ويجلبان الكراهية والبغضاء.

ومن حسن العشرة أن تكون المرأة بادرة بزوجها تقدم حقه على حقها

ومن أكمل أنواع البر تقديم حق والدته والاعتراف بفضلها لأن ذلك يريح الزوج ويجعله يعيش عيشة مستقرة وعلى العكس إذا نشب الخلاف بين الزوجة والأم انقلبت الحياة إلى جحيم لأن الزوج يعيش في صراع مرير بين رغبات والدته ورغبات زوجته.

ومن حسن العشرة عدم الشكوى من الزوجين لأحد فتبقى الأمور خاصة بينهما ما لم تصل الحال إلى طريق مسدود فهنا يحسن الاستشارة وعرض الأمر لا على أنه شكوى وإنما بحثاً عن الحلول السليمة.

آداب المباشرة بين الزوجين:

من آداب المباشرة ذكر اسم الله يقول نبي الإسلام: «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً**».

ومن الآداب ستر ما يجري بينهما في هذه الحالة وعدم التحدث به لأحد كائناً من كان لأن هذا الأمر خاص بين الزوجين لا يطلع عليه أحد غيرهما.

الآداب التي تخص علاقات الآباء بالأبناء:

من ذلك:

١ ـ حسن اختيار اسم الولد بتسميته باسم حسن وتلقيبه بلقب جميل فشرف الاسم لصاحبه وحسن اللقب رفعة للمقلب به وكان رسول الله ﷺ يحب الأسماء الحسنة ويغير الأسماء القبيحة.

وإني لأعجب من فئات يحرصون على الأسماء الغريبة الناشزة وأحياناً المتشبهة بالكفرة والعابثين واللاهين ويتركون أسماء الأنبياء والصحابة والصالحين ممن سلف ولكنها الانهزامية أمام كل جديد وعدم الارتباط بماضي الأمة التليد.

٢ ـ ومن ذلك أن يعق عنه فكل غلام مرهون بعقيقة للغلام شاتان وللبنت شاة أو ما في حكمها مما يقوم مقامه.

٣ ـ ومن ذلك أن يعين الأب ابنه على بره بحسن المعاملة ورشيد التربية والأمر بما يستطاع ورحم الله والداً أعان ولده على بره.

٤ ـ ومن ذلك منح الأب ولده العطف والرحمة والعناية والرعاية ليحس الولد بطعم الحياة وسعتها وصدق حبيبنا محمد ﷺ: «**إن من لا يرحم لا يُرحم**». «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا قدره**».

٥ ـ ومن ذلك أمر الأب لولده بالصلاة إذا بلغ سبع سنين لينشأ على حبها والتعلق بها وإن لزم الأمر فيضربه عند تركها إذا بلغ الولد عشر سنين.

٦ ـ ومن ذلك اهتمام الأب بأولاده بتأديبهم وتعليمهم وتهذيب سلوكهم طاعة لله جل وعلا حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾. وقد ورد (ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن).

وليحسن الأب اختيار شريك الحياة لابنته من أهل الدين والتقى لأن ذلك من مقتضى الأمانة المنوطة به.

٧ ـ استئذان الأبناء عند الدخول على الأبوين في الأوقات الخاصة وقد تساهل الكثيرون بهذا الأدب الرائع فنشأ عن ذلك الإطلاع على ما لا يحمد وقد أدبنا الله بهذا الأدب في آية الأستئذان قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ الآية.

٨ ـ ومن ذلك إشاعة المحبة والألفة بين الأولاد في المنزل والعدل بينهم في العطف والتسوية في كل شيء حتى لا يقع في قلب واحد منهم بغض لأخيه أو غيرة منه ولعل في قصة يوسف شاهد واقعي لما نقول وصح عنه ﷺ قولهُ: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**».

٩ ـ ومن ذلك عدم الدعاء على الأولاد وهذا مما يؤسف له كثير في مجتمعنا وهو عادة قبيحة وأكثر ما يكون ذلك من الأمهات مع أولادهن ولو أنها بدل الدعاء عليه دعت له بالهداية والصلاح لكان ذلك أفضل وأحسن وقد

حذر من ذلك رسولنا ﷺ فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم..**».

الآداب التي تخص علاقة الأسرة بغيرها:

١ ـ من ذلك علاقة الأسرة بالقرابة وذوي الأرحام ويكون ذلك بالصلة والمودة والإحسان إليهم والزيارة لهم والتفقد لأحوالهم والسؤال عنهم.

٢ ـ ومن ذلك علاقة الأسرة بالخدم وذلك بالإحسان والرفق وترك التكبر عليهم أو أذيتهم والحرص على راحتهم وعدم تحميلهم ما لا يطيقون من الأعمال واعطائهم مستحقاتهم في وقتها فالله جل وعلا سائلنا عن ذلك وقد صح عنه ﷺ قوله: «**هم إخوانكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون**».

٣ ـ ومن ذلك علاقة الأسرة بالجار وذلك بإكرامه والإحسان إليه وترك أذيته وسبابه وإطعامه من فضول الطعام وحفظه في حضوره وغيبته صح عنه ﷺ قوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم جاره**».

٤ ـ ومن ذلك أدب الدخول على بيوت الآخرين فيبدأ المسلم بالاستئذان ثلاث مرات لأنهم في المرة الأولى ينصتون وفي الثانية يستصلحون وفي الثالثة يأذنون أو يردون ويكون ذلك بالتسليم قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾.

وإذا لم يؤذن له بعد الثالثة ينصرف وقلبه طيب ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾. ولا يقف مستقبلاً الباب بل يقف حال استئذانه عن يمين الباب أو شماله.

٥ ـ ومن ذلك أدب خروج المرأة حيث أوصاها الإسلام بالحجاب حرصاً عليها وحفاظاً لها من العابثين أصحاب السهام القاتلة ولما في الحجاب من الستر والعفاف والصون وصدق الله العظيم: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

وقد شدد الشرع في نهيه عن السفور والتبرج لما في ذلك من الأخطار

الظاهرة على الأخلاق والآداب والأعراض ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وبهذه الآداب بعث الإسلام في الأسرة الحب والتعاون والمودة والإخلاص لتنظيم المجتمع والسمو به إلى الخير والعدالة والطهر والشرف والإخاء وصانها عن مزالق الرذيلة ومواطن الفرقة والبغضاء فأصبحت أسرة قوية سليمة البنيان وهي النواة للمجتمع المسلم الكبير.

ولعلي أركز في حديثي على أدب من الآداب الواجبة التي فرط فيها الكثيرون وهو أدب علاقة الأبناء بآبائهم فأقول:

يكون الطفل في رحم أمه تكابد مشاق الحمل والوضع ثم إذا وضعته ترضعه وتطهره من الأخبثين وتتحمل أذاه وتفديه بنفسها وما تملك وتتكرب بأدنى ما يصيبه حتى يشب عن الطوق، وكذلك والده يحبه ويعطف عليه ويجتهد في تحصيل مطاعمه ومشاربه وملابسه ويكفي جميع مونته. وهنا لا بد من برهما وخفض الجناح لهما طاعة لله وشكراً لهما وعقوق الوالدين هو الخسران المبين في الدنيا والآخره.

الولد غراس الوالدين ونتاجهما وهما سبب وجوده وسعادته فإذا أثمر هذا الغراس طاب لهما أن يقطفا من ثمره وأطيب ما يأكل الإنسان من كسب يده.

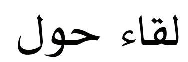
وشروط البر ثلاثة:

١ ـ أن يؤثر الولد رضا والديه عليه.

٢ ـ طاعتهما في كل شيء سواء وافق رغباته أولا ما لم يكن معصيةٌ.

٣ ـ تقديم كل ما يرغبانه بكل سرور ومودة مع الشعور بالنقص والتقصير ولو بذل لهما دمه وماله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



لقاء حول

الوطن والمواطنة

(ينشر لأول مرة)

الوطن والمواطنة

س١: فضيلة الشيخ ما هي قيمة الإنسان في المجتمع المسلم؟ وما هي أبرز المميزات التي ينعم بها؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن الله تعالى قد أكرم الإنسانية جمعاء بهذا الدين القويم وهو دين الإسلام الذي جعل للإنسان في هذه الحياة قيمة عظيمة ومكانة عالية، وهذا من فضل الله تعالى على خلقه.

ولذلك فإن الإنسان له مكانة ممتازة، فلقد خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه، ورفعه فوق الملائكة، فعلمه ما لا يعلمون، ثم أمرهم بالسجود له، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾، واصطفى منه رسلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، واتخذ منه أخلاء ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وأنزل إليه كتبه ليهديه إلى الصراط المستقيم وإلى الحق المبين.

وإن الإنسان في الإسلام له حقوق ومميزات لا يحصل عليها أحد من أهل الأديان والملل الأخرى، فهو مكرم تكريماً عالياً، فهذه المكانة العظيمة للإنسان ترجمها الإسلام إلى مبادىء عملية تتمثل فيما قرره له من حقوق تصونه من كل عبث، وتحميه من كل حيف، وتحفظ عليه ما أراده الله له من كرامة.

وقد أشار المولى جل وعلا في آيات متعددة عن قيمة الإنسان، وعلو شأنه، ومكانته عند ربه، فهذا التكريم يدل دلالة واضحة على قيمة الإنسان

ومكانته، وأنه في حظيرة الإسلام ينعم بحقوق كثيرة لا تعد ولا تحصى.

ومن أبرز المميزات التي ينعم بها الإنسان في المجتمع المسلم:

أولاً: المساواة بين الناس: فالناس جميعاً من أصل واحد، ومن ثم فهم جميعاً متساوون في القيمة الإنسانية، وإنما يقع التفاضل بينهم لأمور كسبية تتعلق بإيمانهم وتقواهم وعملهم الصالح.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

وقال ﷺ في خطبة الوداع: «**أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**».

ثانياً: العدل: فلا محاباة لأحد، ولا تمييز لفرد على آخر بسبب الجنس أو اللون أو المنصب، أو الغنى أو القرابة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

ثالثاً: الحرية الشخصية: في أداء حياته الخاصة والعامة وعدم مساسها، مثل الزواج والطلاق وتربية الأولاد، وسائر أموره الأخرى.

رابعاً: احتفاظه بحقوقه الخاصة، وعدم الاعتداء عليها.

خامساً: الحقوق الاقتصادية: التي تتعلق بأمور معاشه، والحرص على احتياجاته من طعام وشراب ولباس وسكن وعمل تكفل له الحياة الهنيئة.

سادساً: الأمن والأمان: اللذان ينعم بهما في ظل الإسلام.

سابعاً: التكافل والترابط الاجتماعي: بين أفراد المجتمع المسلم.

ثامناً: جميع ما يتعلق بحياته الدنيوية: من حقوق وواجبات.

* * *

س٢: فضيلة الشيخ هناك من يتنطع ويحاول أن يثير الفتنة داخل المجتمع، ويحاول أن يصنع الفجوات والهفوات بين الناس والعلماء وولاة أمرهم، ما هو حكم الإسلام في ذلك؟ وما هي توجيهاتكم حيال ذلك؟

الجواب: يحاول أعداء الإسلام الإيقاع بين فئة الحكام وفئة العلماء والدعاة في بعض الأحيان، فيؤلبون هؤلاء على أولئك، ويؤلبون أولئك على هؤلاء، فإذا الحرب سجال بينهم، وكل فريق يحمل البغضاء والكراهية على الآخر.

وهذا من مكر أعداء الإسلام وحرصهم على تفريق الكلمة، وبث روح العداوة بين المسلمين وعلمائهم وحكامهم، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾، فهذه من أشد الفتن التي تعصف بجماعة المسلمين ووحدتهم، وإن البعد عن اتباع العلماء السبب الأكيد لإدخال الوهن على أمته ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من فارق السبيل كان كمن يمشي في الصحراء بغير دليل، فهذا هلاكه أقرب إليه من نجاته»[١].

فلا تلتفت يميناً أو شمالاً إلا وترى من الشرور العظيمة، والمفاسد الجسيمة؛ ما لا يحصيه إلا الله ﷻ، وما هذه الفتن التي تنخر في جسد الأمة؛ من اختطاف وتفجير، واغتيال وتكفير؛ إلا من أوضح الأدلة على ما أقول، فإن مشاكل الأمة لا تحل بقول فلان أو فلان؛ من الصالحين أو الوعاظ؛ لمجرد أنه يحمل هم الإسلام!، قال سحنون بن سعيد: «لا أدري ما هذا الرأي؟! سفكت به الدماء، واستحلت به الفروج، واستخفت به الحقوق، غير أنا وجدنا رجلاً صالحاً فقلدناه»[٢].

والحقيقة أن صلاح المجتمع المسلم إنما يكون بصلاح الحكام والعلماء، وفساده بفسادهم، وهذا ما نطق به الرسول ﷺ: «**صنفان من الناس**

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٩.

(٢) «أعلام الموقعين» ١/ ٦١.

إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، العلماء والأمراء»، فلا مناص من اتباع العلماء الشيوخ الأكابر، أهل البصر الحديد، والرأي السديد، فعن أبي أمية اللخمي أن النبي ﷺ قال: «**إن من أشراط الساعة ثلاثةٌ، إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر**»[(١)].

ويحاول هؤلاء الأعداء على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم داخلياً وخارجياً أن يوسعوا الهوة بين العلماء العاملين الصالحين، وبين الولاة والحكام، وربما سعوا إلى تشويه سمعة أولئك العلماء عندهم، ولهذا فإن خير سبيل لإبعاد الفتنة والفوضى في المجتمع المسلم، وحفظه من تيارات الغلو والضلال هو مد الجسور بين هذين الصنفين: الولاة والعلماء؛ لحاجة الحاكم المسلم إلى من ينصحه، فهو كبشر قد ينسى ويغفل، ولحاجة العالم كذلك إلى الوالي الصالح ليأخذ منه السند والعون والمؤازرة في المضي في طريق الدعوة إلى الإسلام، والأصل في ذلك أن العلماء العاملين كانوا يدخلون على خلفاء بني أمية والعباس في مجالسهم، وينصحونهم ويعظونهم، ويرفعون إليهم حاجات الأمة، ويدفعهم إلى ذلك اخلاص لا تشوبه شائبة رياء أو مصلحة أو منفعة، وقول للحق ما دام في مرضاة الله تعالى وصدق في النصيحة لايخفى وراءه غرضاً من أغراض الدنيا، وصفاء نفس لا يحمل غلاً ولا حقداً ولا حسداً، والتزام بآداب النصيحة للولاة والحاكم، ويأتي في مقدمتها الرفق والكلمة الطيبة، مع بيان منهج السلف في التعامل مع الحاكم المسلم وهو الدعوة إلى وجوب المحافظة على البيعة، والتحذير من الخروج وتمزيق وحدة جماعة المسلمين.

* * *

س٣: ما الحكمة من إقرار البيعة في الإسلام؟ وكيف يقوم المسلم بحقها الكامل تجاه الله داخل المجتمع؟ كلمة توجهونها بمناسبة البيعة لولاة الأمر؟

الجواب: كانت الجاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ في فرقة واختلاف

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٣٦١، الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٢٢.

وتناحر، قويها يأكل ضعيفها، كل قبيلة تبحث عن الفرصة السانحة للهجوم على نظيرتها، فبعث الله رسوله ﷺ، فاهتم بالاجتماع، وحرض عليه، وأنذر من الاختلاف، ونبَّه عليه، وتواترت الآيات والأحاديث في هذا الشأن عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الكرام، ومن تبعهم من أئمة السلف رضوان الله عليهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يد الله على الجماعة**»[١]، وعن كعب بن عاصم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة**»[٢]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد**»[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج عن الجماعة ومات؛ فميتته جاهلية**»[٤]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رغب عن سنتي؛ فليس مني**»[٥]، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نزع يده من طاعة؛ لم يكن له يوم القيامة حجة**»[٦]، وعن عرفجة الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتاكم، وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم ويفرق كلمتكم فاقتلوه**»[٧].

والجماعة لا تستقيم إلا بإمام تجتمع عليه الكلمة، والإمام لا يستقيم له

(١) صحيح، رواه أحمد، وابن أبي عاصم، والطبراني، والحاكم.
(٢) صحيح، رواه عاصم، والترمذي بنحوه.
(٣) صحيح، رواه ابن أبي عاصم، أحمد، والترمذي، والحاكم، وابن حبان.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الشيخان.
(٦) صحيح، رواه أحمد، وابن أبي عاصم.
(٧) رواه مسلم.

الأمر إلا بالطاعة، فأمر رسول الله ﷺ بالطاعة، فقال: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأنّ رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره؛ إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

فهذه الأحاديث بيَّن فيها النبي ﷺ أن المسلم عليه السمع والطاعة حتى للأمير الفاجر، وأخبر أن الأمراء تعرف منهم وتنكر، وأنهم لا يهدون بهدي رسول الله ﷺ، ولا يستنون بسنته، وهذا واضح.

وبين الرسول ﷺ أن الخروج على ولاة الأمور لا يجوز إلا في حالتين، وهما: ظهور الكفر البواح، أو المنع من الصلاة:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في السر والعلن، وعلى النفقة في العسر واليسر والأثرة، وأن لا ننازع الأمر أهله؛ إلا أن نرى كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان»(٣).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**سيكون بعدي أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برىء، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**» قالوا: أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»(٤).

وأمر الرسول ﷺ بمناصحتهم عند ظهور معاصيهم وعند حدوث أمر يحتاج المناصحة:

---

(١) رواه الشيخان.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) رواه الشيخان.
(٤) رواه مسلم.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمور، ولزوم جماعتهم؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»(١).

ونهى عن سبهم وشتمهم والتشهير بهم، وأمر بتعزيرهم والدعاء لهم.

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته التي تلقتها الأمة بالقبول: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم؛ فإن طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة؛ ما لم نؤمر بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والعافية».

وأمر النبي ﷺ أن نلتزم بطاعتهم ومبايعتهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون خلفاء وتكثر**» قال: قلنا: فما تأمرنا؟ قال: «**أوفوا بيعة الأول فالأول، وأدوا الذي لهم؛ فإن الله سائلهم عن الذي لكم**»(٢).

* * *

س٤: فضيلة الشيخ ما ميزان الوطن في الإسلام؟ وكيف يوجه الإسلام علاقة المسلم بوطنه؟

الجواب: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ بمكة: «**ما أطيبك وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**»(٣)، وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أطيبك من بلدة وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**»(٤).

فهذان الحديثان يدلان على محبة النبي ﷺ لمكة، وأنها كانت أحب البلاد إليه، وهذا يدل على أن المسلم يحب وطنه الذي تربى فيه، ونشأ في أحضانه، وعاش بين أهله، ولا بد أن يحافظ عليه من شر الأشرار وكيد

---

(١) صحيح، رواه أصحاب السنن.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) الأحاديث المختارة ١٠/٢٠٩.
(٤) صحيح ابن حبان ٩/٢٣.

الفجار، وبالأخص في بلادنا بلاد الحرمين الشريفين حفظها الله وأعزها، التي ترفع راية التوحيد خفاقة عالية، وينتشر فيها العلم والعلماء، بل أنها تنفع بإذن الله كثيراً من المسلمين في بلدان العالم من حيث إمدادهم بالدعاة المتمسكين بمنهج سلف الأمة، وحرصها على تطبيق شرع الله تعالى والتمسك بسنة نبيه ﷺ، فهذه المحبة المرتبطة بالوطن محبة تابعة لدينه القويم، حيث يعمل على حفظ وطنه من أعداءها الذين يريدون نشر العقائد الباطلة، والأفكار الهدامة، وأن يكون عوناً لإخوانه المسلمين على نشر العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة، وأن يكون قدوة صالحة لغيره من المسلمين، وأن يقوم بتعظيم شعائر دين الإسلام في حياته الظاهرة والباطنة، وألا يكون عامل هدم لدينه، وصورة سيئة لأبناء وطنه، وحب الوطن أمر فطري جبلت عليه النفوس، فمتى تغرب عنها حنَّ إليها واشتاق للعودة لها، وقد قال الشاعر:

ولي وطن آليت ألا أبيعه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شي في الشباب منعماً ... بصحبة قوم أصبحوا في ضلالكا

وقال الشاعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

س٥: فضيلة الشيخ: الشريعة الإسلامية سباقة في تطوير جميع نواحي الحياة، فما هي الأسس التي تساعد على تحقيق سلوك المواطنة الصالحة، وتأصيل مفهومها الشرعي في ظل الشعارات البراقة؟

الجواب: إن المواطنة الصالحة مرتبطة ارتباطاً كلياً بديننا الحنيف الذي يأمر بكل خير وينهى عن كل شر، وإن المواطن الصالح الذي يعبد ربه تعالى، ويعمل على مرضاته ويطلب جنته، ويخاف عذابه، هذا هو المسلم الحق، الذي يؤدي حقوق نفسه وغيره، فهو يعلم ما له وما عليه، ويعرف أوامر الشرع الحنيف ويطبقها في حياته كلها، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

فلا يجور ولا يظلم، ولا يعتدي على أحدٍ بسوء، ولا يأكل مال أحدٍ بالباطل، ولا يسب، ولا يغتاب، ولا ينظر لمحارم الله تعالى، ولا يغش، ولا يخدع، ولا يكذب، ولا ينافق، ولا يظهر ما لا يبطن، بل ظاهره مثل باطنه، يحب الخير للمسلمين، ويحرص على نفعهم، والسعي في حوائجهم، ودفع الشرور عنهم، ويحرص على أن يكون قدوة صالحة ينفع بها نفسه، وينفع بها غيره، فهو يقتدي بنبيه ﷺ ويعمل بسنته وأخلاقه، ويستمد ذلك من كتاب ربه، وسنة رسوله ﷺ، فهو يتقلب في الخير، ويعمل به، وينفع به الناس، ويقوم بحقوق إخوانه من المسلمين.

فهو يعرف حق وليِّ أمره، ويطيعه في ما يأمر به من معروف، ويدعو له بالهداية والصلاح، ولا يذكره إلا بخير.

وأيضاً يعرف حقوق علمائه الربانيين المخلصين، ويأخذ من علمهم، ويتعلم منهم الخير ويعمل به، ويتعلم منهم الأخلاق الفاضلة، ويساعدهم على نشر علمهم بين الناس بكل السبل المتاحة عنده، ويذكرهم بالخير، ويدعو لهم بالعون والتوفيق والتسديد.

ويعرف أيضاً حقوق والديه فيطيعهم في طاعة الله، ويحسن إليهم، ويبرهم، ويرحم ضعفهم، ويقوم بخدمتهم، ويكون نعم الابن البارِّ بهما.

وأن يعرف حقوق أقربائه، فيصل رحمه، ويحسن أخلاقه لهم، وأن يقف معهم في أحزانهم وأفراحهم، وأن يبذل الخير والنصح لهم.

ويعرف حق جيرانه فيقوم بالتواضع لهم، وإحسان الجيرة لهم، وأن يبتعد عما يسبب الأذى لهم، وأن يكون عوناً لهم على الخير.

ويعرف حقوق إخوانه المسلمين عامة، فيؤدي حقوقهم التي لهم، فيعود مرضاهم، ويمشي في جنائزهم، وأن يحسن إلى محتاجهم، وأن يسعى في قضاء حوائجهم، وأن يحرص على بذل الخير لهم، وأن يتواضع لأضعفهم، ويحلم على سفيههم ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، وأن يكون أنفع الناس لهم.

قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[(١)]، وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»[(٢)].

وقال ﷺ أيضاً: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»[(٣)].

وهكذا دل الكتاب والسنة على أن يكون المسلم مواطناً صالحاً، وعاملاً بناءاً في مجتمعه.

* * *

س٦: الشباب بحاجة إلى حمايتهم من الأفكار الضالة، ما الوسائل التي تراها مناسبة؟

الجواب: لقد ابتليت هذه الأمة في السنوات الأخيرة، وفي هذه البلاد بالذات حيث التركيز عليها أكثر من غيرها بترويج تلك الأفكار الهدامة والمعتقدات الفاسدة والمناهج الضالة، والنشرات الكيدية المغرضة التي لا تمت إلى الإسلام والإصلاح بصلة، بل هي من نسج الأعداء وإن استعملوا في تنفيذها أبناء الإسلام، لزعزعة هذا الكيان بإفساد دينه وأمته، وسلب أمنه وثروته؛ فانتشرت بين الشباب اليوم فتنة التكفير والحاكمية، ونشر المناهج الضالة والبدعية والتي جنحت بكثير منهم إلى تصرفات مذمومة على غير مجريات العادة لشباب المسلمين الصالحين.

لذلك فإني أنصح شبابنا، وأنا مشفق عليهم من هذه المناهج الدخيلة

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(٣) متفق عليه.

علينا، ومنهج السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ بين أيدينا الذي رسمه لنا نبينا محمد ﷺ وقال: «**تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك**»[(١)].

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنهم حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه فاعرفوا لهم قدرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

أقول لشبابنا: عودوا إلى رشدكم وراقبوا الله في تصرفاتكم، واعرفوا ما يراد بكم، وميزوا بين الصالح والطالح، ولا تغتروا بأهل الأهواء والبدع ببهرجتهم وتحسين باطلهم، ولنحذر مواطن الفتن؛ فإن ضررها كبير وشرها مستطير، ولنأخذ مما يجري من حولنا عبرة ولنقرأ التاريخ الإسلامي لندرك نتائج الخصومات مع الحكومات، والاستخفاف بالعلماء، والتمرد على الولاة، وما يحصل من الحروب والفتن بتدبير الأعداء وتهور بعض الفرق والجماعات.

ماذا يريد شبابنا؟ هذا الأمن الذي ينعمون به ويتمناه كل الناس، وتلك الخيرات التي يرفلون بها ويغبطنا عليها القريب والبعيد، قد يكون هذا أمراً عادياً عند البعض لأنهم لم يتصوروا حالة هذه البلاد قبل تطهيرها وتوحيدها على يد مؤسسها الملك عبد العزيز رحمه الله، ولم يسبروا الأحوال السيئة للكثيرين من حولنا بما يعانونه من الفتن والبؤس والشقاء بسبب التحزب والخلاف، فبلادنا ولله الحمد لا تزال بخير تقيم الحدود وتُحَكِم شرع الله وتعمل به في محاكمها، تشجع العلم وتوليه أهمية كبرى، مراكز لرجال الحسبة، مكاتب للإرشاد والدعوة، إطعام للطعام، مواساة للفقراء والأيتام، مناصرة للحق في كل مكان، مكافحة للمجرمين، دعم للجمعيات الخيرية والمراكز الإسلامية، بناء للمساجد وتشييد للمدارس، وتوزيع للكتب النافعة والمصحف الشريف

(١) رواه أبو عاصم في السنة.

لعموم المسلمين، ولا ندعي الكمال فالخطأ والتقصير من الجميع موجود وهذه حال البشر، أما المعاصي والمنكرات فقد وقعت في أبها العصور وأفضلها في عهد رسول الله ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والقرون المفضلة، والواجب علينا تجاهها حكاماً ومحكومين التعاون على محاربتها وتحذير الناس من خطورتها وعواقبها الوخيمة لأن انتشار الذنوب إيذاناً بزوال النعم وحلول النقم، وما التزم قوم بأمر دينهم وشكروا نعمة ربهم إلا زادهم الله نعمة وفضلا.

إن بلادنا ولله الحمد والمنة بلاد التوحيد وعقيدة دستورها القرآن والسنة، لا مكان للأضرحة والمقامات والمشاهد والمزارات مما أضفى عليها الجلال والعظمة والمكانة العالية في قلوب المسلمين، ووفر بها الأنس والاطمئنان دون غيرها من بلدان العالم.

وإن هذه البلاد ولله الحمد فيها من الأمن والهدوء والخير والاستقرار النفسي والروحانية الإيمانية ما لا يوجد في كثير من بلدان العالم الآن.

فعلى الشباب التثبت في الأمور، والحكم فيها على ضوء الكتاب والسنة وطريق سلف الأمة، والحذر من السبيل الوخيم الذي سلكه الكثير من الناس لإطلاق الأحكام وعدم التفصيل، وأن يتفقهوا في دينهم، وأن يكونوا على علم بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وأن يتمسكوا بعلمائهم الربانيين، وأن يتعلموا منهم أمور دينهم، وأن يلتفوا حولهم، وأن يأخذوا منهم العلم النافع، وأن يطيعوا ولاة أمورهم، وأن يقتدوا بنبيهم ﷺ في أخلاقه ومعاملاته، وأن يبصروا الطريق المستقيم الموصل إلى مرضات ربهم.

نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا وأمننا، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يهدي شبابنا إلى صراطه المستقيم، وأن يحفظ لنا ولاة أمرنا وعلماءنا، وأن يوفقنا وإياهم لما فيه رضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.



لقاء حول
العدوان الأمريكي
على العراق

العدوان الأمريكي على العراق

س١ ـ ما أهم الأصول الشرعية التي ينبغي أن تحكم رؤية المسلم للوضع الخطير في المنطقة:

١ ـ لا شك أن أهم الأصول التي ينبغي أن تحكم رؤية المسلم في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها أمة الإسلام وبخاصة في منطقتنا، أهم هذه الأصول هو تدبر آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ التي تتناول جانب الولاء والبراء الذي هو ركن من أركان الإيمان بل هو في الحقيقة هو ملة إبراهيم وشرعته التي أمرنا بإتباعها قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾... وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾... فهذه هي ملة إبراهيم ولاية للمؤمنين وبراءة من الكافرين. والكافرين بشتى طوائفهم هم الدُّ أعداء المسلمين وقد صرح بذلك القرآن الكريم.

قال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢] وقال أيضاً: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فهؤلاء اليهود والنصارى وغيرهم يريدوننا أن نكون مثلهم في الكفر وكذا في الرذيلة والفحش وغيرها من سائر المنكرات فهم لا يألون جهداً في بذل الغالي والنفيس حتى نكون في الكفر سواء وخير شاهد على ذلك حملات التبشير المنبعثة من هيئة الكنائس العالمية.

إن الوضع خطير جداً فلا بد التسلح بهذا السلاح العظيم أعني سلام تحقيق العبودية لله وذلك بحب من يحب وكراهية من يكره فالله تعالى يكره اليهود والنصارى وسائر الكفرة والملحدين من أجل كفرهم برسالة محمد ﷺ.

فإذا تحقق هذا الركن العظيم يعني ركني الولاء والبراء عند كل مسلم اتضحت له الرؤية في أسباب مجيء أمريكا إلى المنطقة هي وحلفائها.

أيها الأخوة الأحباب إن التاريخ يعيد نفسه وها هي الحملات الصليبية أخذب تعود من جديد تحت شعار محاربة الإرهاب الذي هو في نظر الغرب متمثل في دين الإسلام وشعائره العظام. إن الغرب الكافر يقلقه آداء شعيرة من شعائر الإسلام فيقلقه الأذان والصلاة وغيرها من سائر العبادات يقلقه بعض العبادات الظاهرة المتمثلة في زي الرجل والمرأة فهو لا يريد لحية ولا ثوباً قصيراً ولا حجاب امرأة وبالجملة لا يريد إسلاماً فيجب على المسلم أن يأخذ الحيطة والحذر وليعلم أن العدو قادم لا محالة فأمس أفغانستان وقبله الشيشان واليوم العراق وغداً من سيكون الهدف الله أعلم.

٢ ـ ومن الأصول أيضاً أن يعلم المسلم أن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالباطل المتمثل في الكفر برسالة محمد ﷺ في صراع مع الحق الذي جاءت به هذه الرسالة وما فيها من نور التوحيد والهداية به وإليه وهذا الصراع يخلتف باختلاف الأزمنة فاليوم أخذ جانباً خطيراً وهو جانب احتلال أراضي المسلمين ونهب ثرواتها وخيراتها مع قتل أفرادها سواء كانوا جماعات أو أفراد فكم قتلوا من المسلمين وكم شردوا منهم وكم نهبوا من ثرواتهم وخيراتهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

٣ ـ ومن الأصول أيضاً التي ينبغي أن نعيها أنه مهما بلغ الكفار من قوة وعتاد فإنهم لن يستطيعوا أن يهزموا أمة الإسلام ولا يتم ذلك إلا إذا قامت هذه الأمة بما أوجب الله عليها من عبادته وحرم الإشراك به قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥]، فمتى قامت هذه الأمة بحق الله

فإنها ستنصر بإذنه ﷻ قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

٤ ـ ومن الأصول أيضاً أنه يجب أن يعلم المسلم أن لأهل الأهواء من أصحاب الفرق الضالة الذين انحرفوا عن مذهب أهل السنة والجماعة لهم دور فعال في تدمير بنية الإسلام بل هم الذين لهم اليد الطولى في دعوة هؤلاء الكفرة لمحاربة الإسلام وأهله والتاريخ خير شاهد على ذلك فالحملات الصليبية التي انتهت باحتلال بيت المقدس وكذا هجوم المغول على بغداد واسقاط الخلافة العباسية، ألم يكن ذلك إلا من جراء (ابن العلقمي) الوزير الرافضي لآخر خليفة عباسي فقد كان يراسل المغول ويدلهم على عورات المسلمين ويحرضهم على مهاجمة بغداد. وها هم اليوم كانوا السبب المباشر في قتل العديد من أهل السنة في أفغانستان والعراق وسقوط هذه البلدان في أيدي النصارى نسأل الله تعالى أن يخلصها منهم.

س٢ ـ في الوقت الذي كثرت فيه التحليلات والإشاعات المتبادلة. ما كلمتكم للقارئ بشأن مصادر التلقي وعدم التسرع في إصدار الأحكام؟

أولاً: أحب أن أنبه أن اهتمام كل مسلم بهذه الحرب واستماعه لما يحدث فيها عبر الإذاعات ونحوها هو أمر من الإسلام لأنه من باب الإهتمام بأمر المسلمين وقد قال ﷺ: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»، وقد وصف ﷺ هذه الأمة بالجسد الواحد الذي اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. فهذا أمر محمود شرعاً يعني أن نهتم بهذه القضية وغيرها من أمور المسلمين.

ثانياً: إذا قلنا بذلك فينبغي أن نعلم أنه لا بد ضبط مصادر التلقي التي تؤخذ منها هذه الأخبار والتحليلات فكلنا يعلم أن الكفار عموماً يسيطرون على الإعلام العالمي ويريدون عدم ظهور الحقائق أمام الناس بل ويظهرون أنهم هم المنتصرون دائماً وذلك كله رغبةً منهم في إحباط معنويات ونفوس المسلمين لكن أبي الله إلا أن تظهر الحقائق وعند ظهورها كانت النتيجة قتل المراسلين والصحفيين، فعلى المسلم أن لا يتسرع في إصدار الأحكام وليعلم

أن كل ما يقال أكثره غير صحيح، فهذه الحرب أوضحت للجميع حال الإعلام العالمي والذي أنصح به إخواني بقوله ﷺ: «**كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع**» فلا ينبغي إذا سمعت كل خبر أن تنقله فلربما أن يكون هذا الخبر كذباً وبالتالي تقع في المحظور الذي نهى عنه الشارع.

س٣ ـ هل من كلمة حول أهمية الدعاء كسلاح للمؤمن في مثل هذه الأزمات؟

هذا سؤال مهم جداً ويغفل عنه البعض وهو سلاح الدعاء فهو سهم من أعظم السهام ولذا كان النبي ﷺ يعتني به أشد الاعتناء ففي غزوة بدر مثلاً أخذ يدعو ويدعو حتى قال أبو بكر يا رسول الله ألححت على ربك. وكان من دعائه ﷺ للمستضعفين من المؤمنين: «**اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج سلمة بن هاشم، اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم أشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف**».

فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء ولا يستعجل الإجابة فالإجابة لدعائه ستأتي ولكن متى نقول حينما يأذن الرب جل وعلا بها والمسلم على خير ما دام أنه يدعو ربه لأن الدعاء عبادة ويفطر عليها المسلم.

س٤ ـ ما دور المعلم والأب والخطيب في بث روح الثقة بالله وعدم الهلع أو الاضطراب لدى الناشئة خصوصاً وأفراد المجتمع عموماً؟

جـ ـ لا شك أن الله تعالى وعد هذه الأمة بالنصر والتمكين على سائر الأمم وقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بذلك قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.. .[القصص: ٥، ٦] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ فدين الإسلام هو الدين الخالد الذي سيبقى مهما تكالب عليه الأعداء لأنه سبحانه هو الذي تكفل بحفظه ونصره وتمكينه وها هي نصوص السنة لا تدع مجالاً للشك في أن المستقبل لهذا الدين بإذن الله تعالى فقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله**

زوى (أي ضم وجمع) **لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوى لي منها**».

وعنه ﷺ قال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر**».

ونصوص الكتاب والسنة مليئة بأن المستقبل لهذا الدين فالواجب على الآباء والأمهات وعلى العلماء والمصلحين والخطباء وعلى الكتَّاب في الصحف والمجلات أن يبثوا روح التفاؤل في الأمة وأن يرفعوا معنويات شبابها وأن يبينوا لهم الحقيقة المتمثلة في أن المستقبل لهذا الدين فلا هلع ولا جزع ولا إضطراب بل الواجب أن تكون ثقتنا بالله تعالى قوية في وقت الأزمات فهذه الأحداث التي تمر بها الأمة مهما كانت مؤلمة فهي موئل تفاؤل ورجاء لا مصدر يأس وخوف فالأيام دول والعاقبة للمتقين والله تعالى لا يصلح عمل المفسدين فمهما أعد الكفار من قوة وعتاد فنحن معنا القوة التي لا تقهر وهي قوة الرب العظيم الجبار المنتقم فعلا ما الخوف والضجر إذاً.

س٥ ـ تكاتف المسلمين وتعاضدهم ونبذ أي دعوات للفرقة داخل المجتمع الواحد من أهم الواجبات في هذه المرحلة، هل من تعليق لكم حول ذلك؟

جـ ـ لا شك أن النزاع والفرقة داخل المجتمع الواحد هي من أهم الأسباب التي بها تستباح بيضة المسلمين ولذا حذرنا الله تعالى من التنازع والفرقة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وفي المقابل أمر بوحدة الصف فقال جل ذكره: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالحاصل أن تكاتف المسلمين حكومة وشعباً أفراداً وجماعات هي من أعظم أسباب النصر على العدو، فالعدو ما استطاع أن يدخل بلاد المسلمين

إلا بسبب الفرقة والشقاق بين أفراد المجتمع، فأنا أحذر من التفرق والتحزب في هذه الفترة العصيبة الخطيرة التي تمر بها الأمة نسأل الله تعالى أن يجمع صفوفنا ويوحد كلمتنا إنه سميع مجيب.

س٦ ـ من أهم الأدوار والواجبات المناطة بالمؤسسات الإنشائية والخيرية إزاء الشعب العراقي المنكوب، وهل ترون أن لها دوراً في هذه الأزمة أو مصيرها؟

جـ ـ لا شك أن المؤسسات الخيرية وغيرها لها دور فعال في وقت الأزمات وقد شهد بذلك القاصي والداني ففي كل أزمة مر بها المسلمون كان لهذه المؤسسات دور فعال في تقديم الاحتباجات من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ونحوه فجزى الله العاملين في هذه المؤسسات خير الجزاء، ولا شك أن لهذه المؤسسات دوراً فعالاً في أزمة العراق وأرجو أن أنبه إلى أمر مهم جداً وهو أن، تبادر هذه المؤسسات بسرعة والدخول في مساعدة المنكوبين لأن هناك أيد خفية ستلتقط هؤلاء الناس وتقوم بتقديم يد العون لهم ثم تقوم بالطعن في دين الإسلام وبالتالي تعمل على تنصيرهم فحملات التبشير كما يقول المثل «تصطاد في الماء العكر»، فالناس في العراق في حاجة إلى الماء والطعام والملبس والدواء فأناشد هذه المؤسسات بالمبادرة والسرعة في مساعدة إخواننا في العراق قبل أن يلتقطهم أهل التبشير وأصحاب الأهواء من الفرق الضالة المنحرفة عن مذهب أهل السنة والجماعة

وفق الله الجميع كما يحبه ويرضاه.


رسالة في

قيادة المرأة للسيارة

(تنشر لأول مرة)

قيادة المرأة للسيارة

اعلمي أختي الكريمة أن الإسلام جاء بخيري الدنيا والآخرة، ورب العالمين الذي شرع هذا الدين أعلم بشؤون عباده، لذلك فمن أسمائه الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، وهو سبحانه خلق المرأة ويعلم ما ينفعها وما يضرها، وهو أرحم بها من نفسها التي بين جنبيها، ولقد وضع سبحان التشريعات المناسبة لبني آدم وجعل لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم حقوقاً وواجبات، وخص المرأة بخصائص ليست لغيرها، فهي الأم والزوجة والبنت والأخت والقريبة وغيرهن، ولكل واحدة منهن حقوق تكون على من يقوم على رعايتها.

ولقد أثنى جل وعلا على النساء الصالحات، بل وذكر منهن أمثالاً في كتابه الكريم للدلالة على أن المرأة مكلفة مثل الرجل، فإن أحسنت أجرت وأثيبت، وإن أساءت أثمت وعوقبت، مثل قصة امرأة فرعون، ومريم بنت عمران وبعض أمهات المؤمنين وغيرهن، وأيضاً ذكر المسيئات منهن كامرأة نوح وامرأة لوط فلم ينفعهن النسب لأنبياء الله، بل كل واحدة منهن دخلت في العقاب الذي عمّ قومها في الدنيا قبل الآخرة.

فكيف يليق بالمرأة المسلمة أن تحيد عن طريق الرشاد الذي وضعه الله لها ربها لحفظها وصيانتها ورفع مكانتها.

لقد أدرك أعداء الله تعالى من اليهود والنصارى وأذنابهم من المنافقين مكانة المرأة الحقيقية في المجتمع المسلم ودورها في صنع الرجال، وتربية الأجيال، وبناء المجتمعات، فأيقنوا أنهم متى أفسدوا المرأة ونجحوا في تغريبها ونزع حجابها وتضليلها وإفسادها وإظهار زينتها ومفاتنها وقيادتها إلى التبرج والسفور هان عليهم السيطرة على المسلمين والقضاء عليهم، كما ترين

مما حل بكثير من الدول التي حادت عن طريق الله المستقيم فاحتلها أعداء الله فكرياً وسياسياً واقتصادياً، وهكذا.

وأيضاً هذه الإرهاصات الموجعة التي تتابع على المسلمين منذ سنوات عبر البث المباشر بأنواعه ووسائل التدمير الأخلاقي للمسلمين في جميع شؤون حياتهم ما هي إلا سلسلة من خطط أعداء الله ومؤامراتهم على المرأة المسلمة العفيفة والمجتمعات المسلمة المحافظة.

ولقد نبتت في السنوات الأخيرة في المسلمين نابتة نشأت في حضن الإسلام وتربت في بلاده، وعلى خيراته فلما شبت عن الطوق استساغت علقم العدا، واستحبت العمى على الهدى، وحملت معاول الهدم، ورفعت ألوية الكيد والمكر على دينها وأمتها وأخلاقها، وتنكرت لقيمها ومبادئها وأخلاقها التي أصّلتها وقننتها شريعة الإسلام الخالدة.

فافتعلوا قضية المرأة، وفخموها ونفخوا فيها، حتى جعلوها القضية الأولى للمسلمين، يثيرونها في كل وقت وحين حتى لبّسوا على فئام كثيرة من الناس أن المرأة في مجتمعات المسلمين مظلومة مهضومة الحقوق ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، نعم جاؤوا ليقولوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] فرد الله عليهم مكرهم وخداعهم فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢]، هكذا يبذلون كل غالٍ ورخيص من أجل تحرير المرأة، وأي تحرير هذا الذي يريدونه؟ هل يريدونها مغنية؟ أم يريدونها راقصة؟ أم يريدونها تعمل خارج البيت إلى منتصف الليل؟ أم يريدونها تصاحب من تشاء وتخرج مع من تشاء؟ فهم يريدونها متحررة من القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة حتى سلعة رخيصة تباع وتشترى كما يفعل بالمرأة في الغرب، وعلى ما نسمع ونرى مما يحصل بسبب انحلال المرأة وخروجها من بيتها من المآسي والجرائم التي تقطع القلوب وتدمي العيون.

ولو نظرنا في مجتمعنا الآن وهو يحكم بشريعة الإسلام وما يحدث فيه من المعاصي والمنكرات التي تشيب لها الرؤوس من ظهور جرائم الزنا واللواط، وشرب الخمور والمسكرات، وانتشار أفلام العري والفساد، فما

بالنا إذا غابت شمس شريعة الإسلام عن الناس ووضعت مكانها شريعة الغاب، فسوف يزداد الأمر سوءاً إلى سوء، وينساق المجتمع إلى حافة الهاوية التي ترديه إلى نار جهنم والعياذ بالله.

إن ما يدور حول موضوع قيادة المرأة للسيارة يحتاج منا إلى وقفات مع أنفسنا وقفة جادة، وقفة نتحاكم فيها إلى أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وعليه نقول بعون الله وتوفيقه: إن المرأة على عهد رسول الله ﷺ كانت تقود الحمير والبغال والإبل ولكن لم تكن تحتاج إلى رخصة قيادة، ولا تصوير وجهها، ولا تحتاج إلى مراجعة رجال المرور لوقوعها في المخالفة، ولا تقف أمام محطة وقود لتعبئة حمارها، ولا تحتاج إلى الوقوف أمام نقطة تفتيش للتأكد من صحة حملها لرخصة قيادتها واستمارة سيارتها، وهكذا لم يكن في عهده ﷺ من تركب حمارها لتذهب إلى الميكانيكي لإصلاح عطل فيه، ولا تقف على الطريق لإصلاح عجلة من عجلات حمارها، فهل يستوي ذلك مع ذاك؟ لا والله، ولكنها إرهاصات الذين يفسدون ولا يصلحون، أما الآن فقيادة المرأة ينبني عليها عدة أمور:

الأول: نزع الحجاب؛ لأن قيادة السيارة سيكون بها كشف الوجه الذي هو محل الفتنة ومحط أنظار الرجال، وربما يقول قائل: إنه يمكن أن تقود السيارة بدون نزع الحجاب بأن تتلثم المرأة وتلبس في عينيها نظارتين سوداويين؟ والجواب على ذلك أن يقال: هذا خلاف الواقع من عاشقات قيادة السيارة واسألن من شاهدهن في البلاد الأخرى، وعلى فرض أنه يمكن تطبيقه في ابتداء الأمر فلن يدوم طويلاً بل سيتحول في المدى القريب إلى ما كانت عليه النساء في البلاد الأخرى كما هي سنة التطور المتدهور في أمور بدأت هينة مقبولة بعض الشيء ثم تدهورت منحدرة إلى محاذير مرفوضة.

ثانياً: نزع الحياء منها؛ والحياء من الإيمان كما صح ذلك عن النبي ﷺ، والحياء خلق كريم تقتضيه طبيعة المرأة وتحتمي به من التعرض للفتن، ولهذا كانت مضرب المثل فيه، فيقال: (أحيا من العذراء في خدرها)، وإذا نزع الحياء من المرأة فلا تسأل عنها.

ثالثاً: أنها سبب لكثرة خروج المرأة من البيت، والبيت خير لها كما قال ذلك النبي ﷺ.

رابعاً: أن المرأة تكون طليقة تذهب إلى ما شاءت، ومتى شاءت، وحيث شاءت لأن معها مفتاح سيارتها فتركبها في أي وقت بليل أو نهار، وربما تبقى خارج البيت إلى ساعات متأخرة من الليل ولا يعلم بها أحد من أهلها، وإذا كان الناس يعانون من هذا في بعض الشباب فما بالك بالشابات.

خامساً: أنها سبب لتمرد المرأة على أهلها وزوجها، فلأدنى سبب يثيرها تخرج من البيت وتذهب في سيارتها إلى حيث ترى أنها تروح عن نفسها.

سادساً: أنها سبب للفتنة في مواقف عديدة منها: عند استخراج رخصة قيادة لها فيتم تصويرها، ثم وضع صورتها على الرخصة أو في ملفها الخاص بها، ويطلع على ذلك العاملون في المرور، وأيضاً عند الوقوف في إشارات المرور، وعند محطات البنزين لتعبئة سيارتها، وعند نقاط التفتيش، وعند رجال المرور عند التحقيق في مخالفة أو حادث، أو الوقوف لإصلاح عطل بالسيارة، أو تعبئة إطار السيارة بالهواء، وهكذا.. فكل هذه المواقف وغيرها سوف تكون فتنة لها ولغيرها.

ولقد وضع العلماء رحمهم الله تعالى قواعد مبنية على نصوص الشريعة، ومنها في مسألة قيادة المرأة للسيارة:

القاعدة الأولى: أن ما أفضى إلى محرم فهو محرم.

القاعدة الثانية: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

أما موضوع المطلقة والأرملة أنهما لا تجدان من يقضي حوائجهما فهذا مناقض لما نعيشه في مجتمعنا ولله الحمد والمنة، فالجميع يقوم بخدمتهن والقيام بشؤونهن، وإن حصل تقصير في بعض الأحيان فهذا لا يبرر أن جميع النساء الأرامل والمطلقات لا يجدن من يقوم عليهن.

وأما استجداء الرجل في الذهاب إلى أي مكان تريده المرأة، فهذا مخالف لقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾

[الأحزاب: ٣٣]، وقوله ﷺ: «**وبيوتهن خير لهن**»[(١)]، والمرأة بنفسها عاطفية تريد تلبية طلباتها مباشرة ولا تصبر على رفض وليها وهذا راجع للمصلحة التي يراها وليها فهو أدرى بشؤونها، وربما يقسو بعض الأزواج أو بعض الآباء في هذا الأمر ولكن الغالب بفضل الله أن جميع النساء يخرجن إلى المتنزهات، أو البر، أو إلى زيارة الأهل والأقارب، أو زيارة الجيران، أو الخروج لشراء الأغراض التي يحتجنها، والرجل لا يتأخر عن أهل بيته في ذلك إلا إذا اعترته ظروف عمله، أو ظروفه الصحية، أو غير ذلك مما هو معروف.

وأقف هنا وقفة: إذا أبيح للمرأة قيادة سيارتها وأرادت الخروج في أي وقت خرجت لأنها تريد الخروج لضرورة أو لغير ضرورة، وهذا ينبني عليه مفاسد كثيرة والعياذ بالله.

وفي آخر كلماتي هذه أوجه نصيحتي لفتياتنا الكريمات الطاهرات العفيفات اللاتي تربين في أحضان شريعة رب العباد أن يتمسكن بدينهن، وألا ينسقن وراء الناعقين والناعقات ممن يريدون دمار هذه البلاد، وليحذرن من أقلام وكلمات المنافقين والمنافقات الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال عنهم: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٧، ٦٨].

فهل تريد نساؤنا يردن أن يلحقن بركب هؤلاء ويكن معهم في العذاب الأليم؟ واسمعوا لقول النبي ﷺ في الحديث: «**وأريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء**»[(٢)] فهل ترضى فتياتنا أن يكن من أهل النار؟ من أجل ماذا؟ من أجل لحظات قصيرة تقضيها في الدنيا تعصي فيها ربها وتكون في الآخرة من الخاسرين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ

(١) رواه أبو داود.
(٢) متفق عليه.

ﭐلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، فنظرة ثاقبة من فتياتنا هل يرضين بالباقية أم بالفانية؟ وليسألوا أنفسهن أين ذهب الأجداد والجدات، والآباء والأمهات؟ إنهم متوسدون التراب مرتهنون بأعمالهم في الدنيا فمن أحسن منهم فله الثواب والمآل إلى الجنات ـ نسأل الله من فضله ـ ومن أساء منهم فله العقاب والمآل إلى النار يوم الحساب والعياذ بالله، وأذكركن بقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١] ونصيحتي لهن أن يحرصن على ما ينفعهن في العاجل والآجل فإنما هي أعمار تمضي، والمرأة الحصيفة العاقلة هي التي تحرص على ما يرضي ربها حتى تلقى ربها فيدخلها الجنة برحمته وفضله.

اللهم اهدي نسائنا واحفظهن من كل شر ومكروه وسوء، واجعلهن صالحات قانتات تائبات عابدات، وانفع بهن دينهن وأمتهن، وارفع درجاتهن في الجنان في صحبة خير الأنام صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله ومن تبعهم بإحسان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



ظاهرة السهر

السلبيات والعلاج

(تنشر لأول مرة)

ظاهرة السهر والسلبيات والعلاج

من المعلوم بداهة أن المجتمعات الإنسانية والأمم البشرية بشيبها وشبابها ورجالها ونسائها حكمها ومحكوميها حينما تأخذ بالمبادئ الخالدة وتسير على هذه المفاهيم القيمة وتبتعد عن كل ما يؤذي الفضيلة والأخلاق من سهر وارتكاب للمحرمات فلا شك أن هذه المجتمعات والأمم سترتع في ظلال الأمن والاستقرار وتصل إلى ذروة المجد والسعادة لأنها سارت في الطريق الذي خطه الله تعالى لها وطبقت المنهج الذي فرضه الإسلام عليها ومما لا شك فيه أن الموضوع الذي أشرتم إليه أعني موضوع (ظاهرة السهر) وما ينتج عنها من مفاسد وسلبيات حقيق بأن يُعتنى به نظراً لخطورته ولما ينتج عنه من إنحرافات وسلوكيات الفرد والمجتمع بل الأمة الأسلامية في غنى عنها ونظراً لرغبتكم في المساهمة مني في هذا الموضوع سأذكر لكم على عجالة بعض السلبيات مع ذكر بعض الجوانب في معالجة هذه الظاهرة. فأقول وبالله التوفيق:

إن ظاهرة السهر لها سلبياتها المعروفة لدى العالم والعامي ممن لم تنطمس عندهم رؤية الحقائق على ما هي عليه.

وتتركز هذه السلبيات على الفرد والمجتمع مما ينذر بحصول خلل في المجتمعات الإسلامية بسبب هذه الظاهرة التي لم تكن مألوفة من قبل في مجتمعاتنا.



من سلبيات ظاهرة السهر على الفرد

ـ أنها مضيعة لوقته فيما لا فائدة فيه.

ـ أنها تؤدي إلى تخلفه عن الصلوات المكتوبة وتركها في الجماعة وأخص بالذكر هنا صلاة الفجر والتي من أعظم أسباب تخلف الكثير عنها هو السهر.

ـ أنه قد يكون السهر مشتملاً على أشياء محرمة كاشتماله على الغناء والدخان والغيبة والنميمة وغير ذلك مما هو مفسد للإنسان في دينه ويعرضه لسخط الله وعقابه.

ـ أن السهر سبب لقيام الإنسان من نومه وهو كسلان لأنه لم يأخذ القسط الكافي من الراحة وبالتالي يترتب عليه كسله في جانب العبادات فلا يؤديها على الوجه المطلوب شرعاً وكذا كسله في العمل فلا يؤديه على الوجه المطلوب المكلف به من قبل الحكومة أو الدولة أو من قبل صاحب المؤسسة التي يعمل فيها.

ـ أن السهر سبب أساسي في انحراف الكثير من الشباب وذلك حينما يتم تعرفه على أصحاب الجرائم من أهل السرقات وقطاع الطرق وأصحاب المخدرات وغيرهم من أهل الإفساد الذين لا يتم لهم عملٌ إلا ليلاً.

ـ أن السهر يسبب بعض الأمراض الصحية البدنية كشرود العقل أو الفكر وعدم القدرة على التفكير بل له أسباب أخرى أشد من ذلك كالإصابة بالأمراض النفسية والعصبية مما ذكره أهل الطب والمعرفة في ذلك.

فهذه بعض السلبيات التي يسببها السهر على الفرد.

أما المجتمع فلا شك أن الفرد لبنة من المجتمع بل قوام المجتمعات

على أفرادها فإذا كان أفراد المجتمع أصحاب سهر وضياع للوقت والعمر وصحة البدن وغير ذلك مما ذكرناه آنفاً فإنه لا شك سيتأثر تأثراً بالغاً سواء من الناحية الدينية أو الخلقية أو المادية وبالتالي يصبح مجتمعاً استبدل أمنه خوفاً واستقراره فوضى ونتج فيه ما لا يحمد عقباه من ضياع الأسر وإنحلال في الأخلاق ووقوع في الرذيلة والفحش وكثرة للبطالة وبالجملة ضياع للدين والخلق والمال فيكون مجتمعاً هشاً آل للسقوط كل ذلك بسبب هذه الظاهرة أعنى ظاهرة السهر.

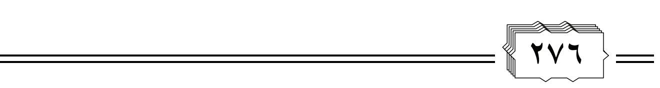
أما عن طرق العلاج لهذه الظاهرة فتكون بكل ما يملكه المجتمع من طاقات على سبيل الفرد وعلى سبيل الجماعات.

فعلى سبيل العمل الفردي يتناول هذه الظاهرة الخطباء والمدرسون وأئمة المساجد والدعاة والمصلحون في ندواتهم وخطبهم وغير ذلك مما يجمعهم به مع الشباب في كل المناسبات واللقاءات الرسمية وغيرها.

مع استخدام أحدث الطرق والوسائل في بيان خطورة هذه الظاهرة وذلك من خلال الشريط الإسلامية الذي يتحدث عن السهر وخطورته وكذا استخدام الوسائل الأخرى كالإذاعة مثلاً والإنترنت وغير ذلك.

أما على سبيل الجماعة:

فيتم ذلك عن طريق الذهاب إلى هذه الأماكن التي يتم بها السهر مع النصح لهم والتحدث معهم بالتي هي أحسن وكذا الفرق الدعوية كأن يكون هناك ندوة مشتركة يشارك فيها مجموعة من الدعاة تتحدث عن هذا الموضوع ولو تضافرت جهود أولياء أمور الشباب ومعلميهم ورجال الحسبة والعاملين في حقل الدعوة وأهل الخير عموماً لاختفت هذه الظاهرة لكن كل فريق يرمي المسؤلية على غيره ويتنصل من التبعة والنار تسري في الهشيم والنتيجة خطيرة نسأل الله أن يلطف بالمسلمين. وصلى الله وسلم على محمد.





تربية الأولاد

(تنشر لأول مرة)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

حول الرعيل الأول: إذا أردنا بأولادنا خيراً وأن نعبر بهم إلى بر الأمان فعلينا أن نربط حياتهم بحياة السلف وهنا علينا أن نستقرأ التاريخ لذي حياة الجيل الأول الذين لم تعرف الدنيا أنبل منهم ولا أكرم وأرحم ولا أصدق وأعلم ولا أجل وأعظم زكاهم الله في محكم كتابه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال ابن مسعود ﷺ: «من كان متأسياً فليتأسى بأصحاب رسول الله فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً إختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

وظلت الأجيال عبر القرون تستضيء بنورهم وتستقي من معين فضائلهم وتتبع آثارهم..

الأولاد في نظر الإسلام: الأولاد جوهرة ثمينة نفيسة بمعدنها غالية بثمنها وذلك لمكانتهم الكبيرة في القلوب ولما يؤمل منهم في المستقبل إن شاء الله.

قال بعض الحكماء: «إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصوره وهو قابل لكل ما ينقش فيه ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عوِّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكلُّ معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة مربيه والقيِّم عليه.

أيها الأحباء: كثيراً من أولياء الأمور يشكون من وضع أولادهم علماً

وخلقاً وسلوكاً وطاعةً وبراً وهؤلاء الشاكون لا يتورعون عن إلقاء التهم جزافاً والتبرير لتقصيرهم هم أنفسهم ولذلك فهم يكررون التهمة للمدرسة ونظام التعليم بالتقصير أو يتهمون المعلمين والأساتذة بعدم الدقة وإتقان المهنة وأداء الواجب أو يتهمون المجتمع بتفلته وعدم جديته أو يتهمون قرناء السوء بالإفساد والإغواء وهكذا يكيل هؤلاء التهم لهذه الأطراف وينسون العنصر الأهم والطرف الأساسي في قضية التربية ألا وهو البيت المحضن الأول للطفل والملاذ الأخير بعد الله للناشئة مهما تعددت العوامل الخارجية والمؤثرة فيهم.

كيف لا والطفل يتلقى في هذا المحضن دروسه الأولى في الحياة وتنطبع هذه الدروس في نفسه وتبقى مهما حصلت له من تغيرات في حياته ومن هنا كان لا بد من التركيز على الطفولة وحسن إعدادها ورعايتها والاهتمام بها. وديننا الحنيف حرص على هذه المرحلة فأكد على العناية بها وتهيئة الجو المناسب لها حتى تنشأ على الخير وتتربى على الفضيلة وتبتعد عن وسائل الإفساد والغواية والطفل في نظر الإسلام يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء.

لا بد من رسم مستقبل لأبنائنا وبناتنا ومن ذلك:

١ ـ غرس الإيمان بالله في نفوسهم بكل طريق يناسبهم بالأقصوصة والكلمة واللفتة إلى آثار صنع الله وحفزهم وتشجيعهم على الخير ومنحهم الجوائز والهدايا والمكافآت وتعليمهم المغازي والسير بعد حفظ شيء من سور القرآن.

٢ ـ التمييز بين الذكر والأنثى في هدف التربية لا من حيث المعلومات ولكن من حيث إعداد كل واحد منهما لما يحسنه فينبغي تعويد البنت على أخلاق الإحتشام والحياء وإشراكها في عمل البيت.

٣ ـ تدريب ملكاتهم الحسية والفكرية بشغل أوقاتهم باللعب المفيد وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أنفسهم وإبداء آرائهم وشكاواهم.

وقد كان ﷺ يلاعب الحسن والحسين وثبت أن الحسن أتى إلى المسجد فالتزم ظهر رسول الله ﷺ فأطال النبي السجود ولما فرغ من الصلاة قال: «**إن إبني إرتحلني وإني كرهت أن أعجله**».

٤ ـ تعويدهم آداب الإسلام وأخلاقه في الإستئذان واختيار الصديق وتوقير الكبير والرحمة للأصغر والضعيف والإحسان إلى الجار والتصدق على المساكين.

٥ ـ العدل بينهم . . .

٦ ـ مراعاة أحوال الأولاد فيما يطرأ بين الزوجين من مشكلات.

٧ ـ الحرص ألا يتناقض الأبوان في التربية كل منهما يوجه الولد أو البنت بتوجيه.

٨ ـ الحرص على الإستفادة من معطيات الحياة ووسائل الثقافة المتاحة ومراعاة المتغيرات الاجتماعية وأخذ النافع منها ونبذ الضار.

٩ ـ إجابة أسئلة الأولاد مهما كانت دون تبرم والحرص على عدم المغالطة.

١٠ ـ بعض الناس يظن أن ملئ جيب الأولاد بالفلوس وتوفير الأمور المادية لهم كافٍ في تربيتهم وتوجيههم من المركب المريح والمسكن المريح . . .

لكن الصحيح أنه لا بد من التوجيه ولا سيما في الصغر.

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ... ولا تلين إذا كانت من الخشب

هناك أسس لا بد منها لتربية الأبناء والبنات:

١ ـ القدوة الحسنة.

٢ ـ تحين الوقت المناسب للتوجيه.

٣ ـ الدعاء.

٤ ـ البعد عن كثرة اللوم والعتاب.

جاء عنه ﷺ: «**علموا ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وإذا غضب أحدكم فليسكت**».

٥ ـ صحبة الطفل ورد عن عليّ رضي الله عنه: «لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً».

٦ ـ إدخال السرور والفرح عليهم.

٧ ـ مبدأ الترغيب والترهيب.

٨ ـ التدرج في التأديب.

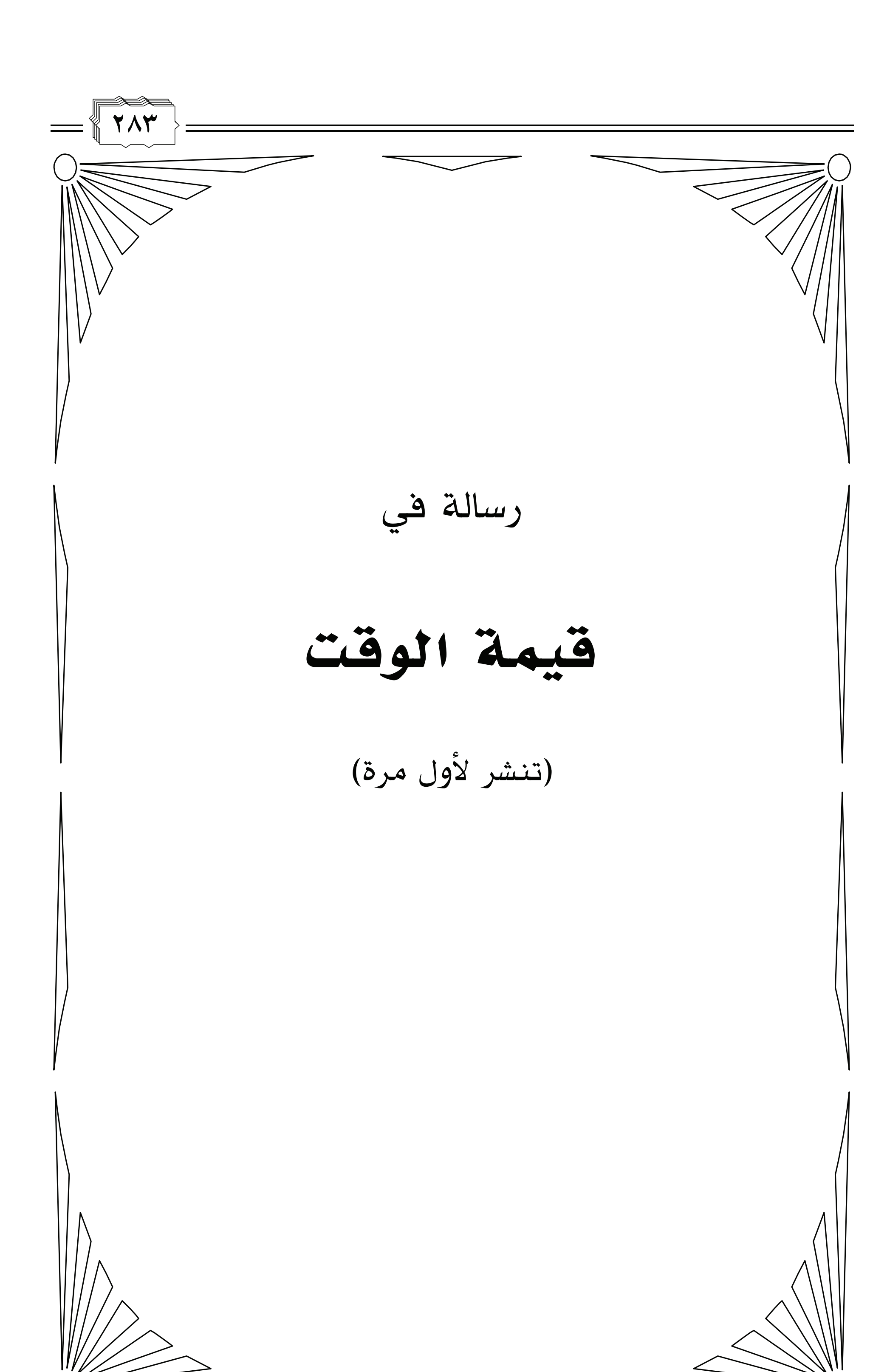
٩ ـ البناء العقدي للطفل بغرس حب الله والاستعانه به ومراقبته والإيمان بالقضاء والقدر وترسيخ حب الرسول وصحبه الكرام.

١٠ ـ البناء العلمي للطفل.

١١ ـ البناء العبادي للطفل (مروهم بالصلاة).

١٢ ـ البناء الاجتماعي السلام، زيارة المريض، البر والصلة.





رسالة في

قيمة الوقت

(تنشر لأول مرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

الحمد لله القائل في كتابه العزيز:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.

هذه السورة جاءت في معرض بيان قيمة الوقت الذي هو أعز ما يملكه المرءُ في دنياه ويخطئ البعض في قولهم حينما يقول: الوقت من ذهب، والصحيح أن يقال: الوقت أغلى من الذهب بل إن شئت قلت: إن الوقت من جنة أو نار.

وإني لأعجب أشد العجب من فتيات أصبن بضياع عمرهن في أمور لا فائدة فيها، بل إني لأعجب أشد من ذلك حينما أسمع أن هناك أُناس يقولون بأن عندهم فراغ ويطلقون عليه بأسماء ما سمعنا عنها من قبل فهذا «فراغ قاتل»، وهذا «فراغ روحي»، وغير ذلك من المسميات فهل يا ترى في حياة فتياننا وفتياتنا فراغ إذا نظرنا إلى القرآن الذي هو دستور حياتنا وجدنا الإجابة شافية كافية في الرد على أصحاب الفراغ القاتل والفراغ الروحي.

ففي سورة العصر أقسم الله تعالى بالعصر الذي هو الوقت أي العمر وقسم الرب به دليل على شرفه وقيمته بل أقسم الله تعالى في قرآنه به في مرات عديدة فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ وقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ وقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾، فالليل زمن والضحى زمن وهكذا كل ذلك دليل شرفه وعظمته.

وإذا أردت أن تعرف الوقت وقيمته فانظر إلى الآيات التي تتحدث عن ثقل ميزان العبد اليوم القيامة حينما تحتاج الإنسان إلى حسنة واحدة ينجوا بها

من عذاب الله وسخطه قال تعالى: ﴿... فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ وغير ذلك من الآيات.

وانظر إلى سورة الأعراف وهي تتحدث عن قوم تساوت حسناتهم مع سيآتهم فلو أن لهم حسنة واحدة ما كان هذا موقفهم قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]. فتصوري أختي المسلمة أن هذا حالك تساوت حسناتك بسيئاتك وأصبحت من أصحاب الأعراف ماذا يكون حالك عندئذ فلا شك أنه الندم على لحظ واحدة فرطي فيها في جنب الله تبارك وتعالى، فتسبيحة أو تكبيرة أو تهليلة أو تحميدة واحدة كانت بوسعها أن تنقذك من هذا الموقف الرهيب. ولذا نجد الرب ﷻ بيَّن عظم قدر الحسنة وقدر السيئة ففي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبه الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة».

فانظري بارك الله فيك إلى عظيم لطف الله بنا حسنات تضاعف وسيئات تقدر بقدرها أليس من حق هذا الإلٰه أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر، أليس من حقه أن تصرف الأوقات والأنفس في مرضاته فهل يسوغ لمسلمة أن تقول أنها عندها فراغ قاتل أو فراغ روحي إن تسبيحة واحدة أو تهليلة واحدة يمكنك أن تنجين من عذاب الله وسخطه. وهذه التسبيحة أو التهليلة ليس فيها مشقة ولا كلفة ولا تستغرق وقت بل من الممكن أن تحصل الواحدة منا على أكثر من مائة تسبيحة في الدقيقة الواحدة فالله المستعان.

ولكن قد يسأل سائل فيقول ما هي الأسباب التي تؤدي إلى حصول هذا الفراغ عند الكثير من فتياتنا؟ نقول وبالله التوفيق:

إن الأسباب عديدة ولكن سنذكر ما تيسر منها.

من هذه الأسباب:

١ ـ عدم الإحساس بقيمة الوقت.

فالوقت كما ذكرنا آنفاً عظيم الشأن وهو يمثل عمر الإنسان الذي من خلاله سيحاسب عليه قال ﷺ: «**لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع وذكر منهم ﷺ العمر فقال: وعن عمره فيما أفناه**» فكل لحظة من لحظات حياتنا سنسأل عنها فهل أعددنا لسؤال إجابة.

٢ ـ ومن الأسباب أيضاً الغفلة عن الآخرة.

فإن الغفلة عن الآخرة وما يحصل فيها من نكبات من شمس تدنوا من الرؤوس وعرق يلجم المرء إلجاماً وميزان وصراط منصوب على متن جهنم وكل الناس لا بد من المرور عليه فناج ومخدوش ومكردس في النار نعوذ بالله منها. بل الغفلة عن تطاير الصحف وأحوال الناس فيها من أخذ كتابه بيمينه وآخر بشماله وآخر من وراء ظهره فهل في هذه النكبات وما يحصل فيها نقول بأن هناك فراغ قاتل وفراغ روحي فلماذا لا يصرف هذا في الأخذ بأسباب النجاة من عذاب الآخرة.

٣ ـ من الأسباب أيضاً: ضعف محبة الخالق ﷻ في نفوس فتياتنا.

قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣] يعني محبةً وتعظيماً فلو أحبت الفتاة خالقها فلا بد لها من أن تبحث عن كل ما يرضيه فلا تتصرف إلا في مرضاته ومن اعظم ما يرضاه سبحانه بذل الأوقات والأنفس في طاعته التي من أجلها خلقنا.

٤ ـ ومن الأسباب أيضاً: سلوك طريق المنحرفين عن الجادة.

إذا نظرت إلى مجتمعاتنا وجدت أن أكثر من يحصل له فراغ في دينه ودنياه هو الإختلاط بالعناصر الشريرة فلا يخلوا أي مجتمع من هذا العنصر المنحرف قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] فهو موجود من عصر النبوة والرسالة فما بالك بهذا الزمان الذي كثر فيه الشر وأهله. إن صحبة الأشرار والمنحرفين من أعظم الأسباب التي

تحيل بين الفتاة المسلمة وبين استثمار وقتها أو تعظم المصيبة حينما يكون المنحرفون من غير المسلمين أو من المسلمين الذين تأثروا بأفكار أهل الكفر والزندقة من علمانيين ونحوهم، وخير شاهد على ذلك ما يعرض في الشاشات الفضائية ونحوها.

٥ ـ ومن الأسباب أيضاً: قلة الوازع الديني عند الكثير من الفتيات.

إن قلة الوازع الديني أوصلهم إلى ما هم فيه من فراغ قاتل أو فراغ روحي على زعمهم فإني لأعجب حينما تسألني فتاة عن حكم ما هذا الحكم يعتبر من البدائيات التي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها وهذا ناتج عن الفهم الصحيح لديننا الحنيف.

إن الدين الإسلامي دين كامل ليس مقصوراً على شعيرة من شعائره بل هو دين متكامل مترابط لكن نظرة العديد من الفتيات تنظر إليه أنه صلاة فقط وتهمل جميع العبادات الأخرى والحقيقة أنها لو أخذت جميع محتويات الدين ما أصبح عندها وقت تضيعه فيما لا يعود عليها بالنفع بل علمت هذا الدين حقيقة لبحثت عن وقت تؤدي فيه طاعة من طاعاته.

فهذه جملة من الأسباب وغيرها كثير ولكني اقتصرت مخافة الإطالة وإني لأذكر أخواتي بهذا الحديث العظيم الذي وضح فيه النبي ﷺ أن الفراغ نعمة من النعم التي يسيديها بها الرب ﷻ على عباده حيث قال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ**». فعلى الأخت المسلمة أن تنتهز فرصة شبابها وفراغها في طاعة خالقها ورازقها جلت قدرته.

أما عن العلاج للفراغ الروحي:

فهو يكمن في معرفة الأسباب فإذا عرفنا الأسباب استطعنا أن نعرف طرق العلاج.

فمن العلاج.

١ ـ تقوى الله تعالى وخشيته والخوف من لقائه والوقوف بين يديه فهذا أعظم طرق العلاج وأنفعها.

٢ ـ الاهتمام بالوقت وذلك بمعرفة قدره وشرفه.

والاهتمام به يكون ببذله فيما ينفع من تلاوة للقرآن أو حفظ له أو قراءة الكتب النافعة أو بطلب العلم الشرعي وغيرها من الأمور التي تعود بالنفع على صاحبها.

٣ ـ اعتزال أصدقاء السوء الذين لا يبالون بالوقت وقيمته.

٤ ـ مصاحبة الأخيار والصلحاء والنجباء ممن ينتفع منهم قال علي رضي الله عنه: «لا تصاحب إلا رجلين: رجل تتعلم منه ورجل تعلمه فيقبل منك والثالث فر منه».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



رسالة بعنوان

الشباب
زينة الحاضر وأمل المستقبل

(تنشر لأول مرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبابي وإخواني في الله: في هذه الليلة المباركة وفي مساء هذا اليوم الخميس الموافق للعشرين من شهر جمادى الآخرة من هذا العام ثمانية وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وفي هذا المهرجان الصيفي بمحافظة الزلفي وفي هذا الجمع المبارك الطيب، في مجلس نرجو أن تحفه الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتتنزل عليه السكينة، في مجلس ندعو أن يحبه الله تعالى ويباهي به ملائكته، في مجلس نسأل الله ألا يقوم فيه من حضره إلا وقد غفرت له ذنوبه، كما قال ﷺ: «**هم**

القوم لا يشقى بهم جليسهم»[١]، وقال أيضاً: «**ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم**»[٢].

إخواني وأحبابي في الله: فمع تقلب الأيام والأزمان، ومع تصرُّم الشهور والأعوام، ومع ظهور الفتن التي تجعل الحليم حيراناً، نجلس سوياً في هذا المجلس المبارك لنتكلم عن موضوع في غاية الأهمية، نتكلم فيه عن زينة الحاضر وأمل المستقبل، نتكلم فيه عن كنز الأمة الثمين، وقوتها الكبيرة، وثمرتها اليانعة.

أتدرون من هم زينة الحاضر وأمل المستقبل؟ أتدرون من هم كنز الأمة الثمين الذي لا يقدر بثمن؟ أتدرون من هم ثمرتها اليانعة التي تؤتي أكلها كل حين؟ إنهم الشباب، نعم؛ إنهم الشباب.. فالشباب هم الكنز الثمين، وهم قوة الأمة في الحاضر، وأملها في المستقبل، وهم العون بعد الله في قيام أمة الإسلام القوية بدينها وشبابها. الشباب هم القلب النابض والبحر الدافق والبلسم الشافي للجراح هم بناة الوطن وصانعوا أمجاده.

لماذا الشباب:

وربما يقول سائل: لماذا اخترت الشباب فقط دون غيرهم؟

نقول وبالله العون والتوفيق:

إن الشباب في كل أمة يعتبرون المصدر الأساسي لنهضتها، ومعقد آمالها بعد الله، والدرع الواقي الذي تعتمد عليه في الدفاع عن كيانها، والذود عن حياضها، وفي تحقيق أهدافها. والشباب هم ثروة الأمة، وعدة مستقبلها بعد الله، ولقد كان للشباب في الأمة الإسلامية تاريخ حافل، وكان لهم دور عظيم في حمل لواء الدعوة الإسلامية، وصنع الحضارة الإسلامية، وقيادة الجيوش المظفرة في سبيل الله، ولئن كانت الحاجة إلى الشباب في الماضي

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٠٩).

ملحة، فالحاجة إلى الشباب وطاقات الشباب الفكرية والجسمية والاجتماعية في وقتنا الحاضر أشد إلحاحاً وأكثر وضوحاً.

والشباب اليوم هم دعامة الإنتاج في جميع ميادين الحياة، وهم أغلى رأسمال للأمة التي تريد أن تصنع لها حاضراً زاهراً ومستقبلاً مشرقاً.

والشباب هم عماد الأمة، وهم أمانة في أعناق المجتمع، والشباب هم أمل الحاضر، وعدة المستقبل، ورجاله، وقادته، وأمراؤه، ووزراؤه، وقضاته، وأطباؤه، ومهندسوه، ومعلموا أجياله التالية.

ومن هنا تبرز أهمية مخاطبة شبابنا وخاصة في الوقت الحاضر الذي تكاثرت عليهم فيه الفتن من كل حدب وصوب.

ولذلك فإن مرحلة الشباب دور من أدوار العمر يمر به الإنسان في أثناء تنقله بين مراحل العمر المتتالية إذ ينتقل من الطفولة إلى الشباب ثم الرجولة فالكهولة، فالشيخوخة. وهذه المرحلة (أي: مرحلة الشباب) أخطر المراحل التي يمر بها الإنسان، ولذا توقف عندها علماء الشريعة، وعلماء النفس، وعلماء الحياة لما يحدث فيها من الحوادث الجسمية والعقلية والنفسية والروحية التي تترتب عليها حياة الشاب، ويرسم من خلالها مستقبله.

وقد اهتم الإسلام بهذه المرحلة اهتماماً كبيراً، ويظهر ذلك من خلال اهتمام الرسول ﷺ بالشباب تعليماً وتربية وتوجيها إلى الخير، وانتفاعاً بنشاطها وحماسها وإخلاصها دون إفراط أو تفريط، ومن مظاهر الاهتمام قوله ﷺ: «**أوصيكم بالشباب خيراً..**».

وقوله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك...**».

وقوله ﷺ: «**لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، وذكر منها: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه**».

وعد النبي ﷺ الشاب الذي ينشأ في طاعة الله من السبعة الذين يظلهم الله

في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وخصَّ الشباب بوصيته الجامعة «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**».

وثبت عنه قوله ﷺ: «**ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن**».

وحث الأولياء على متابعة الأولاد فقال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**».

والمعصوم ﷺ بهذه التوجيهات يلفت الأنظار إلى خطورة هذه المرحلة من عمر الإنسان للمسارعة والاستباق إلى رعاية تشكيلها وتلوينها على الصورة الطيبة الفاضلة التي يريدها الإسلام.

لذا وجب أن يُبدأ في تكوين الشباب منذ النشأة الأولى، منذ الطفولة الباكرة على أن يستمر هذا التكوين الراشد في أطوار العمر، وهذه مسئولية الأبوين في المراحل الأولى من تكوينه.

روى البخاري عن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**».

وهذا الحديث فيه توجيهات عظيمة لمن فهم مقصده، فهو يتكلم عن الفطرة التي يولد عليها المولود وأنها فطرة التوحيد التي فطر الله عباده عليها، فحين يعيش هذا المولود في بيئة معينة، فإنه يتأثر بما حوله من المؤثرات، فإن كان الوالدان مسلمين صالحين متمسكين بأوامر الله تعالى تربى هذا المولود على الطريق الصحيح الذي رسمه الإسلام، والعكس صحيح، فإن كان الأبوان بعيدين عن أوامر الله تعالى ومفرطين في حقه، بل ويأتون بأنواع المعاصي والمنكرات عاد أثر ذلك على أولادهم.

لذلك وجب على المسلم العاقل الاهتمام بهذه البذرة النابتة كي تخرج ثمرة يانعة تنتفع بها الأسرة أولاً، ثم المجتمع ثانياً، ثم الأمة ثالثاً، وهكذا يعود نفع هذه الثمرة على الجميع بالخير المرجو لها.

وبعد ظهور هذه الثمرة الناضجة التي خرجت للمجتمع نقية من العوالق والمؤثرات يتلقفها المجتمع المسلم لينتفع بها، وهذا لا يتم إلا بوجود القدوة

الصالحة في مراحل التعليم، وفي جميع المجالات الأخرى التي يشارك فيها الشاب.

ومعلوم أن فترة الشباب هي أهم مرحلة من مراحل العمر بعد التنشئة الصغرى له، لذلك نبه القرآن على أن أصحاب الكهف كانوا فتية (أي: شباباً) قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، قد آمنوا بالله تعالى وأبغضوا ما عليه قومهم من الضلال والكفر، فتولاهم الله تعالى وحفظهم، وجعلهم آية لمن خلفهم عبرة وعظة للمؤمنين.

ولقد ذكر القرآن الكريم أيضاً أن غالب من يتبع الأنبياء والرسل هم الشباب، قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، فقد نزلت هذه الآية على النبي ﷺ تنبيهاً له لأنه لم يؤمن به في أول بعثته إلا ذرية من قومه، وأما شيوخهم ورؤساؤهم فقد صعب عليهم أن يتركوا قديمهم.

ولقد بُعث النبي ﷺ في سن الأربعين بعد أن أكتمل شبابه، وتهيأ للرسالة التي اختير لها، فالتف حوله الشباب من قريش، وأحجم عنه أولئك الرؤساء والشيوخ؛ لأنهم أنفوا أن يتبعوه وهو أقل منهم سناً وجاهاً ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

وقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: «ما بعث الله نبياً إلا شاباً، ولا أوتي العلم عالم إلا شاباً»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وكان من اتبع النبي ﷺ نحواً من أربعين فرداً من الشباب، فانطلقوا ينشرون الدعوة، ويقيمون دولة الإسلام، فامتزجت طاقتا الإيمان والشباب فصنعت المجد الأول لأمة الإسلام. لقد كان علي بن أبي طالب عندما أسلم صبياً في الثامنة من عمره، وكانت أسماء بنت أبي بكر عندما أسلمت في العاشرة من عمرها، وأسلم عمر وهو في حدود العشرين، وطلحة بن عبيد الله وهو ابن إحدى عشرة سنة، وجعفر بن أبي طالب وهو ابن ثماني عشرة سنة، وعثمان بن عفان وهو ابن عشرين سنة.

ولقد عين رسول الله ﷺ أسامة بن زيد قائداً لجيوش المسلمين لمقارعة إمبراطورية الرومان وهو في حدود الثامنة عشرة.

ولقد كان للصحابة رضي الله عنهم من الشباب مواقف عظيمة أثبتتها كتب السنة والسيرة، ومن ذلك موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما نام مكان النبي ﷺ مضحياً بنفسه في سبيل حفظ النبي ﷺ من أذى المشركين.

وموقف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حينما أعلن إسلامه جلس بجوار الكعبة قرب نادي (أي: مجلسهم) الكفار يتلو كلام الله تعالى ضارباً عرض الحائط بخوفه من المشركين فما كان منهم إلا أن قاموا إليه فأدموه حتى أنجاه الله من بين أيديهم.

وهذا بلال بن رباح رضي الله عنه كم عانى وتحمل من أجل إسلامه من التعذيب في حر الرمضاء، فما كان منه إلا أن يردد قولاً واحداً معتصماً به من أذى المشركين (أحد أحد).

وهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه الفتى المدلل الذي تربى مترفاً لابساً أرق اللباس وأحسنه ترك كل شيء من أجل الإسلام، وغير هؤلاء كثير وكثير ولكن نُذَكِّر الشباب بهؤلاء كي ينظروا في حالهم مع دينهم، هذه النعمة العظيمة التي فرط فيها كثير من الشباب من أجل الشهوات والملذات الفانية.

ومعلوم أن الشباب لهم خصائص معينة يتميزون بها عن غيرهم، ومن هذه الخصائص:

١ ـ القوة البدنية.

٢ ـ القوة الذهنية.

٣ ـ الحماس.

٤ ـ البذل والتضحية.

٥ ـ المسارعة إلى كل جديد.

فهذه الخصائص وغيرها تحتاج إلى توجيه ورعاية بحيث يستفاد منها لنفع الأمة، ولا يتم ذلك إلا بالأخذ بالأسباب التي تنمي فيهم حب الله تعالى،

وحب رسوله، وحب الدين لكي يقوموا بالبذل والتضحية من أجل إعلاء هذا الدين ونفع الأمة وبناء أوطانهم بما يعود عليها بالخير العميم في العاجل والآجل.

الصوارف عند الشباب:

هناك صوارف كثيرة تكون عاملاً كبيراً في صرف قوة هؤلاء الشباب وهمتهم إلى أدنى الصور، فمن هذه الصوارف:

أولاً: المشكلات النفسية والاجتماعية:

١ ـ الهم والغم والضيق:

فالشاب الذي يعيش في أسرة بعيدة عن دينها، همها الطعام والشراب، والملبس والمسكن، والفسح والرحلات، والسفر والتنقل، والسماع والنظر لما أحل الله تعالى وحرم، تتقلب فيها الأحوال بحسب بعدها عن دينها، فكلما كانت الأسرة بعيدة عن الله ظهرت فيهم الهموم والغموم والمشاكل، حتى لو نظرت إلى عيشهم لوجدت الجميع مشتتين، الوالدان في واد، والأولاد جميعاً في واد، فإذا كان هذا حال الشاب أو الفتاة في هذه الأسرة فماذا يفعلون كي يحصلوا على السعادة التي يتمنونها، فإذا وقعوا في براثن الصحبة السيئة عاد ذلك عليهم بالفساد والانحلال الأخلاقي، فيقعون فيما حرم الله تعالى، ويصبحون عالة على الأسرة والمجتمع.

أما إذا كانت الأسرة قريبة من ربها، حريصة على تربية أولادها على الخير والهدى والرشاد كان ثمرة ذلك أن يخرج الأولاد صالحين، تنتفع بهم الأسرة والمجتمع، وهكذا.

٢ ـ سوء التربية في البيت:

كما ذكرنا فبحسب وضع الأسرة من دينها يكون التأثير على الأولاد، فإذا خرج الأبناء والبنات من بيئة سوية كان لهم التأثير على من حولهم من قرنائهم، فيكونون أدوات بناء للمجتمع، وهنا تكون النتيجة نفع جميع

التخصصات في المجتمع، فيتخرج منهم الداعية، والطبيب، والمعلم، والمهني، وغير ذلك مما يعود على المجتمع والأمة بالخير.

وأما إن كانوا عكس ذلك، خارجين من بيئة سيئة، قد تربوا على مساوىء الأخلاق وأراذلها كان تأثيرهم على من يصاحبونهم تأثيراً سلبياً كبيراً، فيكونون معاول هدم للأخلاق والآداب، وينشرون الرذيلة في المجتمع، ويكونون عالة على المجتمع، فلا ينتفع بهم، ولا تنتفع بهم أوطانهم ولا أمتهم، بل على العكس يؤثرون تأثيراً سلبياً على الحالة الاقتصادية حيث يستنزفون الطاقات والنعم دون أن يعود منهم النفع على مجتمعهم وأمتهم وبلادهم.

٣ ـ البطالة:

التي أصيب بها بعض شبابنا، حيث يرغب الخريج من جامعته، أو الذي لم يكمل تعليمه أن يتعين في وظيفة تليق به، وإن لم تتيسر له ظهر عليه الإحباط والحزن، وجلس حبيس البيت، أو جائلاً بسيارته هنا وهناك ليضيع وقته الثمين، أو جالساً مع أصدقائه العاطلين يتحدثون وينفثون همومهم فيما بينهم لعدم وجود عمل يناسبهم.

ألم ير هؤلاء الشباب وغيرهم ممن لا يجدون وظائف أن بلادنا قد فتحت المجال لجميع فئات الشباب بالمشاركة في جميع الأعمال التعليمية والتربوية والفنية وغيرها مما يعود أثرها على المجتمع، فأين هم من تلك الأبواب التي أصبحت مشرعة على مصراعيها للكبير والصغير من أجل الكسب الحلال ونفع المجتمع.

٤ ـ المخدرات:

هذا السلاح الذي يدمر الشخص تدميراً رهيباً، ومعلوم أن مشكلة المخدرات تؤرق العالم كله؛ لأنها تتسبب في هدم الضروريات الخمس التي جاءت جميع الأديان بالمحافظة عليها ورعايتها، فهي تزهق النفوس، وتضيع العقول، وتتلف المال، وتخرب البيوت، وتسبب العداوة والبغضاء بين

الناس، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فإذا نظرت لمن تعاطى المخدرات وجدته مسلوب الإرادة والعزيمة، مسلوب الخير الذي في قلبه، منقاداً وراء ما تهواه نفسه من الملذات والشهوات حتى ولو كانت مضرة له، بل يحدث منه القتل، والنهب، والسرقة، والعقوق، والتنازل عن الغيرة التي جبل عليها، وغير ذلك من السلبيات التي سببتها المخدرات.

ثانياً: مشاكل التقنية الحديثة:

لقد انتشرت في الآونة الأخيرة بعض وسائل الإعلام والاتصالات التي سهلت على الشباب الانفتاح على الدنيا والإطلاع على ما يعرض غرباً وشرقاً، ومن هذه الوسائل:

١ ـ **القنوات الفضائية**: الغث منها والسمين، حتى أن غالب بيوت المسلمين الآن لا تخلوا من هذه القنوات إلا ما رحم ربك، فدخول هذه القنوات الفضائية بيوت المسلمين مع عرضها لكل ما هو صواب وخطأ، حلال وحرام، بدعة وسنة أصبح كثير من الشباب يتوجهون بحسب توجه هذه القنوات، فمنهم من يهتم بمشاهدة الرياضة، ومنهم من يهتم بمشاهدة الأفلام والمسلسلات، ومنهم من يهتم بالنظر إلى المحرمات بجميع أنواعها، ومنهم من تأثر بالبدع، ومنهم من تأثر بالأفكار الضالة المضلة، ومنهم من تأثر بالسحرة والمشعوذين، وهكذا أصبح الجو العام لغالب الشباب هو الانقياد خلف هذه القنوات بدون وعي أو هدف، حتى انشغل الكثير من الشباب بها كثيراً، فطغى ذلك على حياتهم العلمية والعملية، فركنوا للدعة والراحة، ورفضوا العمل في مجال يعينهم في حياتهم العملية، ويربيهم على الأخذ بالأسباب، وهذا ما يريده منا أعداء الإسلام، ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء: ٨٩].

٢ ـ **الجوالات بجميع أنواعها**: وما تحتوي عليه من تقنية حديثة تقرب البعيد، وتحل الحرام، وتعرض كل ما يهواه أصحاب النفوس الضعيفة، فأصبحنا نرى الكثير من أبناء المسلمين وبناتهم يتوجهون بحسب ما يعرض عليهم من مقاطع الفيديو المحرمة، والأغاني الماجنة، والمناظر الخليعة، حتى أثر كل ذلك على تكوينهم الشخصي، فانتشرت كثيرٌ من المنكرات بين فئة الشباب والشابات، وتوجه الكثير منهم لاستنزاف طاقته في غير مرضاة الله ونفع الأمة، فأصبحت هذه الجوالات أداة هدم إذا لم تستعمل فيما يرضي الله.

٣ ـ **الإنترنت**: وما أدراك ما الإنترنت، هذا الباب الفسيح الذي فتح على جميع أنحاء العالم، فأصبح المسلم وهو جالس في بيته يستطيع أن يرى ويسمع ما يريده، بل يستطيع أن يخاطب ويحادث من يشاء، فبعد أن كانت القنوات الفضائية هي التي توجه الشباب بما تريده، أصبح الإنترنت عامل مساعد على استغلال طاقات هؤلاء الشباب والفتيات فيما يعود عليهم بالضر والفساد، فأصبحت هناك منتديات تنادي من يريد التعرف على الغير من خلالها، وهناك غرف مخصصة للتعارف بين الشباب والفتيات حتى انتشرت انتشاراً رهيباً فأصبحنا نسمع عن مصائب تدمى لها القلوب بسبب هذا الشيء الذي لم يستعمل في طاعة الله، وأيضاً ما يعرض عليه من المحرمات، وخاصة أفلام الجنس والدعارة، والصور الفاتنة، والدعايات المضللة، والأفكار الهدامة، فلا ترى عن طريق هذا الإنترنت سوى الشر المستطير، وإن كان هناك مواقع للدعوة، وتوجيه الناس إلى الخير، وقد تكاثرت هذه المواقع التي تدعو إلى الله وإلى صراط الله المستقيم، فنحمده سبحانه أنه سخر هذه الأجهزة بعد أن كانت معاول نشر للفساد فأصبح الكثير منها أدوات بناء للخير.

ثالثاً: القرين وأثره على الشاب:

إن الإسلام الحنيف أراد للشباب وغيرهم أن يكونوا متخذين الصاحب الطيب الذي يأمر بالخير ويذكر به، ويعين عليه، وهذا من أهم العوامل على صلاح الشاب أو فساده، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «**المرء على دين خليله**

فلينظر أحدكم من يخالل»[١]، وقوله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»[٢].

وهذا يدل على أن الصاحب ساحب، فإما يأخذ بيدك إلى مرضات الله فتكون ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[٣].

وإما أن يأخذ بيدك إلى سخط الله وعذابه فتكون ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

فتخير أيها الشاب الصديق الذي تريده، وأنصحك أن تبحث عن الصديق الذي يأخذ بيدك إلى مرضاة الله وجنته فهذه هي السعادة في الدنيا والآخرة.

رابعاً: القدوة وأثرها على الشباب:

القدوة في البيت: لها أثر على الشباب والفتيات وهي في غاية الأهمية من حيث التأثير على سلوكياتهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، فكل قرين بالمقارن يقتدي، وكل شاب وفتاة يبحثان عمن يميلان إليه.

لذلك فإن الشاب ينظر إلى قدوته في البيت والمتمثل في والده، فإن كان الوالد صالحاً مطيعاً ذا خلق حسن، حريصاً على الخير، مؤدياً حق الله تعالى، مؤدياً حق الأهل والجيران، واصلاً لرحمه، عادلاً في أموره، حريصاً على منفعة غيره، مبادراً إلى مساعدة الخلق بما يعود عليهم بالنفع في الدنيا، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كان هذا قدوة حية قادرة على الأخذ بيد هذا الشاب إلى ما يرضي الله عنه، وإن كان الوالد غير ذلك عاد أثره على الشاب فنشأ على غير هدى ونور، وهكذا الفتاة.

---

(١) حسنه الألباني في كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

القدوة في المدرسة: هو المعلم والمربي، فالمعلم ينظر إليه الطلاب في كل صغيرة وكبيرة، فينهلون منه كل صفة وفعل وقول، فإن كان قدوة حسنة أثر ذلك فيهم فعاد ذلك عليه بالخير العميم، وإن كان غير ذلك خرجت الأجيال مشتتة غير سوية لأن القدوة قد غابت عنهم في البيت والمدرسة.

القدوة في المجتمع: فالشاب ينظر لمن حوله في كل صغيرة وكبيرة، فإن وجد من حوله يتمسكون بدينهم، ويتفاضلون في أخلاقهم ومعاملاتهم، ويحرصون على طاعة ربهم، ويتعاونون على الخير ويأمرون به، ويتناهون عن المنكر ويتركونه، فهذا يعطيه الدافع الكبير للحرص على سلوك الطريق المستقيم، وإن كان العكس فهذا أثره يكون سلبياً عليه فيخرج متحيراً من واقع الناس وتفريطهم في دينهم، فيسلك سبيل الشيطان، ويعزب عن طريق الرحمن، فينتكس بسبب ما عايشه من تناقضات في مجتمعه.

ونصيحتي لكل شاب إذا رأى قصوراً فيمن حوله من ناحية الإقتداء فلينظر إلى قدوته الحقيقية التي إن تمسك بها فاز في الدنيا والآخرة.

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في القدوة الحسنة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فرسولنا ﷺ هو القدوة الحقيقية لكل شاب مسلم يترسم الطريق الموصل إلى الجنة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فالإقتداء بالنبي ﷺ هو الهدف الرئيس لكل شاب لأنه يعلم أنه المثل الأعلى له، فيتعلم منه حسن العبادة، والأخلاق، والآداب، والمعاملات، فينظر في حاله مع ربه وكيف كان يقوم الليل خاشعاً باكياً طالباً عفو ربه وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وينظر في تواضعه للناس، وحلمه عليهم، ورفقه بهم، وحرصه على هدايتهم، وكيف كان يتحمل الأذى منهم، بل وكان يقابل الإساءة بالإحسان، والظلم بالعفو والصفح.

ولينظر كيف كان حريصاً على قضاء حاجات أمته، وتوجيههم إلى الخير، وتربيتهم عليه، وغرس حب الله تعالى وطاعته في قلوبهم.

ولينظر إلى معاملاته مع الناس، وكيف كان صادقاً في معاملاته، حتى أنه عندما كان مديناً ليهودي وجاء طالباً لحقه، وقف للنبي ﷺ مطالباً إياه بهذا الحق مع غلظته وشدته في طلبه، إلا أنه قابل ذلك بالإحسان والعفو، وأدى ما عليه ولم يغضب أبداً لنفسه، بل كان جل غضبه لربه تعالى.

ولينظر إلى حاله مع المنافقين على الرغم من علمه بإفسادهم، وبث روح الهزيمة في صفوف من دخل في دين الله، وتحريضهم للمشركين على قتاله، إلا أنه آثر ألا يقتل أحداً منهم كي لا يوصم بأنه يقتل أصحابه درءاً للمفاسد وجلباً للمصالح، وهكذا في كل حال من أحواله.

ولينظر إلى زهده في الدنيا وعدم تعلقه بها، مع حرصه على كل عمل يقربه إلى ربه، وهكذا.

الفكر المنحرف: لقد ظهر هذا الفكر عندما تصدر بعض المتعالمين في تعليم الشباب وتوجيههم فكرياً بعيداً كل البعد عن منهج الرسول ﷺ، بحيث أثمر ذلك فكراً خارجياً أثر على عقول الناشئة الذين يحبون دينهم ويحرصون على خدمته ونشره، ولكن العقول الآثمة التي لا تريد للمجتمع المسلم الذي نعيش فيه أن يستمر في البناء والعطاء فبدأوا ينشرون هذا الفكر المنحرف البعيد كل البعد عن الكتاب والسنة فيتأولون من القرآن ما يشاءون، وما يوافق أهواءهم، فخرج علينا منهم من يقتل باسم الدين، ويكفر باسم الدين، ويفجر باسم الدين، وهكذا كلما قاموا بعمل فاسد نسبوه إلى الدين، والدين منه براء، لقد جاء ديننا الحنيف موضحاً كيفية التعامل مع الفتن، وظهور المفاسد، وكيف يقوم الإنسان بالتعامل معها، اتباعاً لهدي القرآن والسنة.

ولو نظرنا لهذه الفئة بفكرها المنحرف ـ والتي أثمرت مفاسد رهيبة ما كان يتوقعها أحد من المسلمين ـ من أين يأخذون العلم لوجدنا أنهم منساقون وراء بعض الأشخاص الذين تحمسوا من غير علم ولا رجوع لأهل العلم الربانيين الذين يقومون على نشر العلم بين الناس، ولكن هذه العقول التي

ألقى فيها الشيطان حب الفساد انساقت وراء أفكار مضللة عادت على الأمة بالوبال والخسران.

لقد فرح أعداء الإسلام بما حدث في بلادنا، فهم حريصون على زعزعة أمن هذه البلاد لكي يعم فيها الفساد والإفساد، ولكي تطفأ فيها عقيدة التوحيد، ولكن هيهات هيهات فإن الله تعالى حافظ دينه ومعلي كلمته ولو كره الحاسدون.

ووصيتي لشبابنا الالتفاف حول علمائنا الربانيين، والنهل من علمهم، والسير على طريقهم لتكتب لهم النجاة من براثن الفتن التي أصبحت تموج موج البحر، وأوصيهم بطاعة ولاة أمورهم الذين جعلهم الله سبباً بفضله في حفظ هذه البلاد من براثن السير خلف من يحكمون القوانين الوضعية بدلاً عن شرعة رب العالمين، فنحمد الله تعالى على هذا الفضل، ونسأله سبحانه أن يحفظ علينا ديننا وأمننا وولاة أمرنا وعلمائنا.

هذه هي بعض المشكلات التي يعاني منها شبابنا.

فما هو المخرج من هذه المشكلات التي تبدو للجميع عويصة لا يمكن علاجها:

لو نظرنا في واقع السلف عندما انتقلوا من الكفر إلى الإيمان، ومن سوء الأخلاق إلى محاسنها، ومن الكذب والغش والخيانة إلى الصدق والأمانة والوفاء لظهرت لنا الثمرة التي عادت على الأمة وهي أنها انتقلت من براثن الجاهلية الجهلاء إلى نور الإسلام الذي انتفعت به الأمة منذ بعثة النبي ﷺ وحتى يومنا هذا.

المخرج من هذه المشكلات:

إذا أراد الشباب حلاً لمشكلاتهم التي يعانون منها فلينظروا بعين البصيرة إلى دينهم العظيم الذي جاء بحل لجميع المشكلات التي يعيشون فيها.

فتعالوا بنا أيها الشباب لنستوضح الحلول الحاسمة للمشكلات من خلال النصوص الشرعية فنقول:

أولاً: التمسك بدين الإسلام:

دين الإسلام دين عظيم حوى الخير كله لمن تمسك به وعمل بما فيه من أوامر ونواهي، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، فديننا العظيم حوى مكارم الأخلاق، ومحاسنها، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وهكذا فكل صور الإسلام تبين وتوضح أهميته في حياتنا، وأنه متى تمسكنا به عشنا سعداء في الدنيا والآخرة، ومتى فرطنا فيه تعس الجميع في الدنيا والآخرة.

والتمسك بدين الإسلام لا بد أن يكون ظاهراً وباطناً، بحيث يظهر أثره علينا في حياتنا كلها، فنحافظ على عقيدتنا من أن تمسها شائبة، ونحافظ على الصلوات الخمس في بيوت الله مع جماعة المسلمين، ونحافظ على أداء الزكاة وصيام رمضان والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أوامره ونواهيه.

وعلى الشاب أن يعلم أن الله تعالى خلقه لعبادته، وامتن عليه بنعمه من أجل أن يتقوى بها على طاعته، فليحرص شبابنا على التمسك بدينهم وعدم التفريط فيه، فالنجاة يوم القيامة لمن أتى وهو متمسك به.

وليحرص شبابنا على هذا الدعاء العظيم كما ورد في كتاب الله: ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ثانياً: حفظ الجوارح:

وحفظ الجوارح لا يتأتى إلا برقابة الله تعالى، والعلم اليقيني بأنه مطلع علينا، وأن كل عمل يحصيه لنا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، وقال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١)، فلو علم كل شاب بأنه محاسب عن كل صغيرة وكبيرة، وأنه مجزي عنها، وأن اللذة وإن طال وقتها فهي مؤقتة لن تنفعه، بل ستكون عليه حسرة وندامة، وأنه إن حفظ أمر الله في جوارحه بتسخيرها في طاعته كانت له النجاة في الدنيا من المنغصات والهموم والغموم والأكدار والفوز بالجنة يوم أن يلقى الله تعالى.

وإذا ضيع أمر الله تعالى بأن سخر جوارحه في غير مرضاته كانت له التعاسة والشقاء في الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٤، ٢٥]، وقال أيضاً: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢١ ـ ٢٣]، وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(٢).

ثالثاً: اختيار القرين الصالح:

قد ذكرنا سابقاً أن من المشكلات التي يعاني منها الشباب نوعية القرين، فإن كان سيئاً أخذ بيد قرينه إلى الشر والفساد، وإن كان صالحاً أخذ بيد قرينه إلى الخير والرشاد، وهذا مصداق الحديث الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق**

---

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني في جامع الترمذي ٤/ ٦٦٧ رقم (٢٥١٦).

(٢) رواه البخاري.

ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»(١)، فليحرص الشاب على مصاحبة من يعينه على طاعة الله تعالى، ويأخذ بيده إلى الخير، فالنجاة كل النجاة في مصاحبه الصالحين السائرين على منهاج النبوة.

رابعاً: لزوم الجماعة:

معلوم أن بلادنا هي البلاد الوحيدة على مستوى العالم التي تطبق شرع الله، وتقيم حدوده، وتنشر العدل بين أجرائه، وما تم هذا إلا بفضل الله أولاً ثم بتمسك ولاة أمر هذه البلاد بشريعة الله وتحكيمها في جميع جوانب الحياة، فوجد الأمن بعد الخوف، ووجدت السعة بعد الضيق، ووجدت السعادة بعد الشقاوة، لذلك وجب علينا أن نتمسك بديننا وأن نتعاون مع ولاة أمرنا في حفظ هذه البلاد من الحاسدين والحاقدين والمفسدين فيها، وعلينا أن نتمسك بجماعة المسلمين، فبدون الجماعة فالأمة تصير مشتتة لا خير فيها فيتحكم فيها الأعداء، ويتسلطون عليها، وعندئذ يخسر المسلمون ما يعيشونه في هذه النعم، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية**»(٢).

خامساً: لزوم حلقات العلم الشرعي:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]، لذلك وجب على المسلم أن يتمسك بهذا الصراط، ولن يستطيع أن يتمسك به إلا إذا علم ما يحتويه من أوامر ونواهي، ولن يتأتى ذلك إلا بالسعي لطلب العلم الشرعي الذي يعينه على التمسك به والعمل بما فيه، فعلى الشباب الحرص على حضور مجالس العلم والعلماء والنهل من علومهم، ويا بشرى من سلك هذا الطريق وحرص عليه فنهايته بمشيئة الله الجنة، قال ﷺ: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً**

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ»[١].

فمن يريد الجنة من الشباب فعليه بتعلم أمور دينه، والعمل على نشره بين الناس، وتعليمهم الخير ليعم الأمن والأمان والسلامة والإسلام بين ربوع بلادنا، وعليهم بالقدوة الصحيحة وهو نبينا محمد ﷺ فالسلامة في التمسك بأخلاقه ومعاملاته، وإن وقف أمامهم شيء لا يفهمونه فليرجعوا إلى العلماء فهم أدرى بذلك، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

سادساً: السير على منهج علمائنا:

ذكرنا أن طلب العلم هام وضروري لكل شاب، ولن يحصل ذلك إلا بلزوم العلماء والاستفادة من علمهم، وهذا يحتاج من شبابنا السعي إليهم، وسؤالهم والاستفادة من زادهم الكثير، وصدق النبي ﷺ حين يقول: «**وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٢].

سابعاً: محبة ولاة الأمر والدعاء لهم ومناصحتهم:

لو نظر شبابنا في البلاد التي حولنا لوجدوا شريعة الإسلام مغيبة في هذه البلاد، ونحمد الله تعالى أن وفق ولاة أمورنا في تطبيقها على الناس كافة، وقد آتت ثمرتها لما نراه من الأمن والأمان ورغد العيش، وهذا يحتاج منا إلى شيء مهم ربما قصر فيه الكثيرون ألا وهو الدعاء لولاة أمر هذه البلاد، حيث أن الدعاء نعمة من الله تعالى امتن بها علينا لا تكلفنا الكثير، أن يصلح الله ولاة أمرنا، فبصلاحهم يصلح المجتمع، ويعم في أرجائه الخير، وما هذه الخيرات التي نتقلب فيها إلا بفضل الله أولاً ثم بتوجيه ولاة أمرنا لما فيه الخير لأبناء هذا البلد الطيب المبارك.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٧).

وقد ورد عن الفضيل رحمهما الله، والإمام أحمد أنهما قالا: لو كان لنا دعوة مستجابة لجعلناها لولي أمرنا، وهذا من فقههم، لعلمهم أنه بصلاح الإمام يصلح حال الرعية.

فنسأل الله تعالى أن يصلح لنا ولاة أمرنا، وأن يسخر لهم البطانة الصالحة الناصحة، وأن يبارك في جهودهم لخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يمن عليهم بالمعافاة في النفس والأهل والذرية، وأن يوفقهم دائماً لما فيه خير للبلاد والعباد.

وأخيراً:

وصيتي لكم أيها الشباب أن تبادروا بعد تعلم أمور دينكم للسعي إلى تعلم المهن المختلفة، فنحن نحتاج إلى الطبيب، والمهندس، والمحاسب، والفني، والمهني، والعامل، والسائق، ومختلف المهن التي يرجوها المجتمع من شبابنا، حتى تذهب عنا البطالة، وتنتشر السعادة في البيوت لحصول المال الحلال من هذه المهن.

ومن استحى من العمل فليس فيه خير، فالنبي ﷺ كان يرعى الغنم، ونبينا داود كان يعمل حداداً، ونوح كان يعمل نجاراً، فلماذا يستحي المسلم من تعلم هذه المهن، من الذي سيبني لنا بيوتنا إلا أنتم، ومن الذي سيعمرها بكافة الصنائع إلا أنتم، ومن الذي سيتعامل مع كافة المهن إلا أنتم، فلا تنتظروا في بيوتكم لتحصلوا على الوظائف التي تأملون، لا بل عليكم بالسعي والجد من أجل نفع أنفسكم ومجتمعكم وأمتكم.

أسأل الله تعالى بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يصلح شبابنا وفتياتنا، وأن يبارك لنا فيهم، وأن يجعلهم ذخراً لأمة الإسلام، وأن يحفظهم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يمن عليهم بالخير والمعافاة في دينهم ودنياهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

رسالة بعنوان

حفظ الإسلام للضرورات الخمس

(تنشر لأول مرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبابي وإخواني في الله:

في هذه الليلة المباركة وفي مساء هذا اليوم الأربعاء الموافق للثالث والعشرين من شهر جمادى الأولى من العام التاسع والعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وفي هذا المكان الطاهر في جامع (الشفا في حوطة سدير) ووسط هذا الجمع المبارك الطيب، وفي مجلس نرجو أن تحفه الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتتنزل عليه السكينة، في مجلس ندعو أن يحبه الله تعالى ويباهي به ملائكته، في مجلس نسأل الله

ألا يقوم فيه من حضره إلا وقد غفرت له ذنوبه، كما قال ﷺ: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[(١)]، وقال أيضاً: «**ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم**»[(٢)].

أهمية الضرورات الخمس في الإسلام:

إخواني وأحبابي في الله:

لقد امتن الله ﷻ على أمة الإسلام بدين الإسلام، فختم به سائر الأديان، ورضيه للعالمين ديناً، ولم يقبل من أحد ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

لذلك كان حفظ هذا الدين من أهم ضرورات البشرية جمعاء؛ لأنه لا حياة للبشر بدونها، وقد تعددت صور حفظ هذا الدين عن طريق حفظ الأصلين العظيمين (كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ)، قال ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله**»[(٣)].

فهما محفوظان بحفظ الله تعالى من التغيير والتبديل إلى أن يقوم الأشهاد لرب العالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

ولقد هيأ الله تعالى لسنة رسوله ﷺ العلماء الربانيين المخلصين من أهل الحديث فاعتنوا بتدوينه، وحفظ أسانيده، وتمحيص صحيحه من ضعيفه، وهيأ علماء الفقه وأئمته لتأصيل الأصول وتقعيد القواعد ليؤخذ كل فرع من أصله، ويعود كل حكم إلى قاعدته، ووفق أئمة الفقه في الدين لاستنباط الأحكام من أدلتها، وفتح لهم باب الاجتهاد ليبينوا لكل حادثة تحدث حكماً، إما أخذاً من النصوص العامة والمطلقة، وإما إعطاء للنظير حكم نظيره.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٠٩).
(٣) رواه في الموطأ.

وتوعد الله تعالى من كتم شيئاً من بيان هذا الدين للناس بأعظم الوعيد ليبقى هذا الدين معلوماً عند الناس أجمعين محفوظاً بالعلم والعمل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

والذي يتتبع أبواب الأحكام التكليفية في نصوص الكتاب والسنة وشروح الحديث، وتفسير القرآن العظيم، وكتب الفقه، وكتب الأخلاق وغيرها من الكتب الإسلامية يتضح له ذلك تمام الإيضاح، ويحفظ هذا الدين (أي: دين الإسلام) الذي يعتبر الضرورة الأولى من ضرورات الحياة تحفظ بقية الضرورات تبعاً لحفظه؛ لأنه يقتضي ذلك، وتلك الضرورات هي: النفس، والعقل، والنسل، والمال، والعرض وكلها تبع للدين.

واختيار هذا الموضوع يندرج تحت التوجيه الهام للمسلمين بأهمية هذه الضرورات، والنظر إلى حفظها، وعدم التفريط فيها، فبدون حفظ هذه الضرورات يعم الخراب والدمار، وينتشر الفساد، وتسوء الأخلاق، ويأكل القوي الضعيف، وتنتهك الحرمات، ويفرط في حق رب الأرض والسماوات.

لذا فحفظ هذه الضرورات ليست مسؤولية الحكام، أو المسؤولين، أو بعض الأفراد، إنما هي مسؤولية الجميع، لعلم الناس أن حياتهم وسعادتهم بحفظ هذه الضرورات.

ومن أسباب الحديث عن حفظ الضرورات الخمس ما يلي:

أولاً: الأثر العظيم المترتب على حفظ هذه الضرورات من السعادة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبأمن الناس على حياتهم وأعراضهم وأموالهم واطمئنانهم وسعادتهم، وحصول كل منهم على حقوقه وقيامه بواجباته، وعدم اعتداء أحد على الآخر.

وأما في الآخرة فما يناله الناس من الأجر العظيم والثواب الجزيل بحفظ هذه الضرورات والذي هو غاية العباد من ربهم سبحانه وتعالى.

والثاني: أن كثيراً من المسلمين فرطوا في حفظ هذه الضرورات على الرغم من علمهم بضرورة حفظها، وعلى الرغم من رؤيتهم ما لحق البشرية من الآثار السيئة بسبب تضييع حفظ هذه الضرورات، وهذا بسبب تفريطهم في دين الإسلام الذي جاء شاملاً كاملاً لكافة حقوق البشر كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

الأدلة من الكتاب والسنة على أهمية حفظ الضرورات الخمس:

إن المتأمل لكثير من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة يجد فيها العناية الكاملة بحفظ هذه الضرورات، وقد وجه فيها الشارع الحكيم توجيهاً عظيماً؛ لأنه بها تقوم حياة البشرية على الخير والسعادة لهم في العاجل والآجل.

ومن الأدلة على أهمية حفظ الضرورات الخمس، ما يلي:

أولاً: من كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

* ففي هذه الآيات الكريمة تُظهر عناية الشرع بحفظ هذه الضرورات جلية واضحة، فقد جاء في حفظ الدين نهيه سبحانه وتعالى عن الشرك به، والأمر بتوحيده، وإخلاص العبادة له، والقيام بحقه فيما أمر به ونهى عنه.

* وجاء في حفظ النفس قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ [الإسراء: ٣٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَمَن

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

ففي هذه الآيات وغيرها أمر الله تعالى بحفظ النفس من الهلاك، والنهي عن قتل النفس إلا بالحق، والحق المشار إليه هنا هو من باب القصاص، في الحدود والمظالم، وهذا فيه حفظ للدين، وحفظ للنفوس من الهلاك.

* وجاء في حفظ النسل والعرض قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

والجمع بين حفظ النسل والعرض فيه أهمية بالغة؛ لأنه بحفظ العرض يحفظ النسل، وبضياع العرض يضيع النسل، وإذا تم الاعتداء على العرض كان ذلك اعتداءً على النسل.

* وجاء في حفظ المال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [الشعراء: ١٨١ ـ ١٨٣].

* وأما حفظ العقل فبإبعاده عن جميع المؤثرات التي تغيبه عن عالمه الذي يعيش فيه ليعبد الله تعالى بعلم وبصيرة، عن طريق النظر إلى آياته ومخلوقاته، وتأمله في نفسه، وتفكره بعقله بما يوصله إلى الإيمان بالله تعالى خالق هذا الكون ومدبره، وهذا العقل هو الذي أثنى الله عليه في كتابه بآيات كثيرة تشير إلى أهميته وضرورته للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ومن الآيات الدالة على حفظ العقل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، وهذا في بداية

أمر المؤمنين بعدم القيام بطاعة الله تعالى وهم مغيبوا العقول بسبب الخمر، ثم أمرهم بعد ثبات الإيمان في قلوبهم باجتنابها إطلاقاً فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]. والناظر في هذه الآيات يتبين له أن كل مسكر للعقل لا بد أن يمتنع عنه كي يحفظ عقله، وهذا هو الحفظ الذي يعود عليه بالخير والفلاح؛ لأنه كلما كان حاضر العقل والذهن كلما كان أقرب إلى الصواب وأنفع إلى نفسه وغيره.

وأما أدلة السنة على حفظ هذه الضرورات، فهي ما يلي:

* ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر ﵁ قال ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضعه من دمائنا دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم مسؤولون عني فما أنتم** قائلون قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال: **اللهم أشهد**».

* وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم، عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟**» قالوا: ألا شهرنا هذا، قال: «**ألا أي بلد تعلمون أعظم حرمة؟**» قالوا: ألا بلدنا هذا، قال: «**ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟**» قالوا: ألا يومنا هذا، قال «**فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟ ثلاثاً، كل**

ذلك يجيبونه ألا نعم، قال: ويحكم ـ أو ويلكم ـ لا ترجعنَّ بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض».

* ومن شدة عنايته أيضاً ﷺ بحفظ هذه الضرورات مبايعته أصحابه رضوان الله عليهم على حفظها، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: **«تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك في الدنيا فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»**، قال: فبايعناه على ذلك.

ففي هذا الحديث بايع النبي ﷺ أصحابه على حفظ بعض من هذه الضرورات الخمس، وهي حفظ الدين في قوله: **«أن لا تشركوا به شيئاً»**، وحفظ العرض في قوله: **«ولا تزنوا»**، وحفظ المال في قوله: **«ولا تسرقوا»**.

* قال الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه الموافقات عن مقاصد الشريعة الإسلامية، وأن رجوع الشريعة كلها تعود إلى حفظ هذه الضرورات أو ما يكملها، فقال رحمه الله: «تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام أحدها أن تكون ضرورية والثاني أن تكون حاجية والثالث أن تكون تحسينية. فأما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، والحفظ لها يكون بأمرين أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك عبارة عن مراعتها من جانب الوجود. والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم. فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود كالإيمان»[١].

---

(١) الموافقات ٢/٨.

ومن وسائل حفظ الإسلام للضرورات الخمس ما يلي:

حفظ الدين:

أولاً: بوجوب العمل به، فكل فرد من الأمة مكلف بإقامة الدين في نفسه، بحيث يقوم بما فرض الله عليه عيناً من عبادته تعالى ما دام أنه أهل للتكليف، قادر على الفعل الذي كلفه الله إياه، ويقوم بأداء حقوق الآدميين من معاملات وأخلاق وغيرها. وهكذا الأمة كلها فهي مأمورة أيضاً بالإتيان بما فرض الله عليها الإتيان به. وكيف يحفظ الدين مع عدم العمل بأوامره ونواهيه، أليس هذا هو الضياع بعينه.

وثانياً: الدعوة إلى هذا الدين، والعمل على نشره بين الأمم، وتعليم الجاهل، فالدعوة إلى الدين ضرورة من ضرورات حفظه وبقائه في الأرض وبلوغه إلى الناس الذين لا حياة لهم بدون الدين.

وثالثاً: الجهاد في سبيل الله تعالى: فلا يحفظ الدين إلا بقوة الأمة، وقدرتها على الوقوف أمام أعدائها المتسلطين عليها من كل جانب، وبدونه تصبح الأمة ذليلة حقيرة بين الأمم، لكن مفهوم الجهاد اختلط على الناس وفهمه بعض ضعاف النفوس فهماً أهوج أعوج كما سنوضحه إن شاء الله.

ورابعاً: وجوب الحكم بهذا الدين، وتطبيق أوامره ونواهيه في حياة البشر؛ لأنه بذلك تحفظ الضرورات، ويأمن المجتمع، ويسعد في الدنيا والآخرة.

حفظ النفس:

وذلك بضرورة إقامة البينة في القصاص وغيره مما فيه إزهاق للنفوس، وأيضاً جواز تأخير تنفيذ حد القتل فيمن وجب قتله إذا خيف الضرر من قتله على غيره؛ كقصة المرأة التي أتت النبي ﷺ كما في الحديث الذي رواه مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: «جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرني فقال: **ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه،** فقالت: تريد أن

تردني كما رددت ماعز بن مالك إنها حبلى من الزنا، فقال: **أنت؟** قالت: نعم، قال لها: **حتى تضعي ما في بطنك،** قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، فأتى النبي ﷺ، فقال: قد وضعت الغامدية، فقال: **إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه،** فقام رجل من الأنصار فقال: إلي رضاعه يا نبي الله قال فرجمها. وفي رواية أنه قال لها: **اذهبي حتى تلدي** فلما ولدت قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فقال النبي ﷺ: **مهلاً يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت»**[١]. وهذا فيه تعليم للأمة بعدم التعجل في إزهاق النفس إلا بعد إقامة البينة، وهذا يحتاجه أولي الأمر من الحكام والقضاة.

وأيضاً ينبغي توجيه الناس إلى عظم شأن النفس، وعظم قتلها، والاعتداء عليها، والوعيد الشديد المترتب على من انتهك حرمتها وتسبب في سفكها.

حفظ النسل:

وذلك بترغيب العباد في النكاح، وأنه من أقوى وسائل حفظ النسل والعرض، وأنه سبيل لحفظ المجتمعات المسلمة من الانحراف عن الجادة التي خلقهم الله لها بالخلافة في الأرض، وأنه سنة الأنبياء والمرسلين، وأن قوة الأمة في كثرة نسلها كما قال ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**»[٢].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود والنسائي.

وأيضاً بتحريم قتل الأولاد وإجهاض الحوامل، وأن إيجاد الذرية لها الأثر العظيم للآباء في حياتهم وبعد مماتهم، قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»(١). وأيضاً تحريم الزنا، ونكاح المحارم، والإرشاد إلى كل ما يوصل إلى حفظ النسل.

حفظ العقل:

وذلك ببيان أهمية العقل، وأنه مناط تكليف العباد، وأنه لا تقبل طاعة أو عبادة من البشر إلا إذا كان الواحد منهم سليم العقل، كما قال ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق**»(٢).

والتحذير من مفسدات العقل من الشبهات التي يلقيها أعداء الإسلام في قلوب المسلمين ضعفاء الإيمان، وأيضاً الشهوات التي تؤثر عليه كشرب الخمر وغيرها من المسكرات التي تفنن أعداء الدين في استخراجها لنشرها بين أمم الأرض كافة كالحشيش، والهيروين، والكوكايين، وغيرها من أنواع السموم الأخرى.

حفظ المال:

وذلك بالحث على السعي المشروع في طلبه من حله، والعمل على تنميته، قال تعالى ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال ﷺ: «**ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»(٣).

والعمل على إحياء الموات من الأراضي المهجورة التي ليست ملكاً

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخاري.

لأحد، قال ﷺ: «**من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها**»[١].

وأيضاً القيام بالزراعة، فقد رغب النبي ﷺ في ذلك بقوله: «**ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**»[٢].

والعمل على إنفاق المال في الأوجه المشروعة ففي ذلك حفظ للمال من التلف، بحيث ينتفع به أصحاب الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وغيرهم.

وحماية المال من التلف عن طريق الإسراف فيه بغير حق، والإنكباب على الشهوات والملذات التي تكون عاملاً في ضياعه، والبعد عن مسببات هلاكه بعدم التعامل به في أوجه محرمة من طريق الشرع، كالتعامل بالربا، أو التجارة في مشروعات غير مباحة وغير ذلك.

وأيضاً العمل على حماية المال من السفهاء عن طريق الحجر عليهم لئلا يضيعوا أموالهم وأموال مستحقيها من ورثتهم، قال ﷺ: «**لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه**»[٣].

ولعل من أهم الأمور التي عايشناها وابتلينا فيها في مجتمعنا مما يخل بهذه الضرورات ظاهرة الإرهاب وظاهرة المخدرات.

وهذا الأمران وهما متنافران أحدهما جاء عن طريق الغلو والتشدد والإفراط، والثاني جاء عن طريق التساهل والبعد والتفريط في الدين، ولذا سأقف مع هذين الداءين اللذين أصابا المجتمع المسلم وأثرا فيه كثير ففيهما اعتداء على الكليات والقواعد والضرورات التي جاءت الشرائع السماوية بها فأقول:

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

الإرهاب اعتداء على الكليات والقواعد والضرورات التي جاءت بها الشرائع السماوية.

ظاهرة الإرهاب غريبة على مجتمعنا، فالإسلام ينبذ العنف والإرهاب، ويدعو إلى اللين والسماحة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

ووصف الله نبيه ﷺ بأنه رؤوف رحيم، وأنه رؤف رحيم وأنه ليس بفظ غليظ ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد أنعم الله علينا بهدايتنا لهذا الدين وأكمله لنا ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

فهو الدين الكامل الشامل في العقائد والمعاملات والعبادات وفي أبواب الأسرة والقضاء فيه صلاح البلاد والعباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وقد جاءت شريعة الإسلام بكليات وقواعد فيها تحقيق المصالح ودفع المفاسد وليس لأحد كائناً من كان مخالفتها أو تجاوزها فحرمت الظلم وأوجبت العدل وقدمت المصالح العامة على المصالح الخاصة وأكدت على الكليات الخمس ـ حفظ الدين ـ والنفس ـ والعقل ـ والمال ـ والنسل.

وما حصل من التكفير والتفجير والتخويف وزعزعة الأمن والاعتداء على الأموال والممتلكات.

ينافي هذه القواعد ولذا فتحريم هذا الفعل ظاهر لكل مسلم فضلاً عن المعالم وطالب العلم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**».

وقال ﷺ: «**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا جار عليه**».

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وقال ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**».

وقال ﷺ: «**لزوال الدنيا بأسرها أهون على الله من سفك دم امرئ مسلم بغير حق**».

وجاء في الحديث «**من أعان على قتل مسلم جاء يوم القيامة مكتوب على جبينه آيس من رحمة الله**».

وقال ﷺ في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**».

وقال ﷺ: فيما يرويه عن ربه: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**».

العواقب الوخيمة لهذه الأفعال:

هذه البلاد المباركة منطلق الإسلام ومأرز الإيمان ومعقل الدعوة انطلقت منها جحافل الخير تحمل النور والهداية للبشرية جمعاء تنزل كتاب ربنا على أرضها وبعث هادي البشرية من بطاحها وبلادنا بلاد الحرمين الشريفين ـ المملكة العربية السعودية ـ ابتلت بالحسد والحقد من قبل الأعداء فراحوا يخططون لها مكراً وكيداً وعدواناً أذهلهم تماسكها وخنقهم أمنها وأقض مضاجعهم الخير المتدفق منها فاجتهدوا في محاولة التأثير عليها عبر قنوات داعرة وأفكار مظللة وركزوا على شبابها محاولين تفريق الصف وخلخلة البناء.

ولذا لا بد أن نكون صرحاء واضحين مع شبابنا نضع النقاط على الحروف مهما كلفنا ذلك ولا ينفع هنا التخاذل والمجاملات والنار تسعر من تحتنا والسؤال الذي يطرح نفسه هل فكر هؤلاء الشباب في عواقب أفعالهم

الشنيعة من التكفير والتفجير الذي راح ضحيته أبرياء آمنون عجائز وشيوخ وأطفال ورجال أمن.

أين إعمال المصالح ودرء المفاسد هؤلاء يعتدون على الأمن والآمنين ورسول الله ﷺ يترك بعض الأعمال مع قناعته أنها حق وأنها الدين لكنه يراعي المصالح والمفاسد في هذا الباب.

ألم يترك الكعبة على قواعد ـ الكفار ـ وكان حريصاً على بنائها على قواعد إبراهيم عليه الصلاة السلام الم يقل لعائشة: «**لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم**».

الم يترك المنافقين الذين فضحهم الله في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

الم يجتهد المنافقون في إلقاء الصخرة عليه ومع ذلك تركهم ولم يتعرض لهم بل درء المفسدة وقدم المصلحة وترك أمرهم إلى الله.

ألم يفقد عهداً مع اليهود وصلحاً مع قريش ويستميل القبائل هذا هو منهج رسول الله في التعامل مع الأعداء فكيف بالأصدقاء والأبرياء والآمنين.

إن طالب العلم الذي يرميه هؤلاء بالتخاذل والمداهنة أفضل له ألف مرة من أن يمدحه هؤلاء الذين تجاوزوا حدود الشرع والعقل والعاطفة في تعاملهم مع الآخرين.

إن طلاب العلم والعلماء يجب أن يقودوا الشباب لمصلحة الدين والأمة والبلاد أما أن يقود الشباب أنفسهم بعضهم بعض أو يدفعوا بطالب العلم لتحقيق رغباتهم فهذا خطره عظيم على طالب العلم وعلى المجتمع.

ولذا فهؤلاء الشباب لم يفكروا في عواقب الأمور التي عملوها وعظائم الجرائم التي ارتكبوها لكن شياطين الجن والإنس ممن يزينون الشر والباطل حرصوا على إيقاع هؤلاء الناشئة فيما وقعوا فيه.

سبل تحصين الشباب من هذه الأفكار:

المسؤولية تبدأ من محاضن الجيل:

(الأسرة ـ المدرسة ـ الجامعة ـ المسجد).

التربية الروحية	العبادات
التربية الوجدانية	الشعور والعواطف
التربية العقلية	القراءه ـ والثقافة
التربية الخلقية	الأخلاق
التربية الاجتماعية	العلاقات
التربية البدنية	تهيئتهم صحياً ونفسياً

الرد على جميع الشبهات:

يرد أهل السنة بأربعة أصول مقررة عندهم:

الأول: المسلم مأمور بالتثبت في ما يسمع من الأخبار.

الثاني: أجمع أهل السنة والجماعة على أنه لا يجوز الخروج على ولي الأمر إلا في حالة مواقعته للكفر البواح.

الثالث: ليس كل من وقع في الكفر يصبح كافراً إذ قد يوجد عنده ما يمنع من تكفيره.

الرابع: لا يسوغ الإنكار العلني إذا ترتب عليه مفاسد تضر البلاد والعباد.

الثبات في المواقف والأزمات والفتن:

العلماء ـ الصادقون ـ العاملون ـ لا تتغير مواقفهم بل هم ثابتون لإيمانهم الجازم بالله وأن هذا الكون لله ويقينهم بالقضاء والقدر والتوكل على الله وأن ما قدره الرحمٰن كائن لا محالة مهما أدلهمت الخطوب وتعاظمت المصائب.

أخذ العلم عن أهله:

جاء في الحديث «**إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عن الأصاغر**».

وقال عمر رضي الله عنه: «فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى

عليه الكبير وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم فإذا أخذوا عن صغارهم وشرورهم هلكوا».

وجاء رجل إلى عمر فسأله عن الناس في الأمصار قال: تسارعوا في أخذ القرآن وحفظه وكان عنده ابن عباس فقال: ليتهم لم يفعلوا فقال عمر: ما لك فحزن ابن عباس وذهب[(١)].

ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية حينما قال: «من فارق السبيل كان كمن يمشي في الصحراء بغير دليل فهلاكه أقرب إليه من نجاته».

إن مشاكل الأمة لا تحل بقول فلان أو فلان بل بالرجوع إلى الحق ولزوم غرز العلماء والأخذ عن الراسخين في العلم.

المخدرات وأضرارها على المجتمع:

إخواني في الله: الله جل وعلا ما أمرنا بشيء إلا وفيه خير لنا، وما نهانا عن شيء إلا وفيه شرٌ لنا، وهو العليم بشؤون عباده، ومن دلائل عظمته سبحانه وتعالى أنه وضع كل أمر في موضعه اللائق به، فشرح صدور قوم لطاعته لما فيهم من الخير والانقياد لأمره، وطبع على قلوب بعض عباده لما فيهم من الشر والانصراف عن أمره ونهيه.

ومن علامات ذلك ما نجده الآن في أحوال بعض المسلمين حينما انتشرت بينهم المخدرات انتشار النار في الهشيم حيث بدلوا الخبيث بالطيب، والحرام بالحلال، وهكذا كلما ابتعد الناس عن أوامر ربهم تبارك وتعالى وقعوا فيما يعود عليهم بالضرر في العاجل والآجل.

وتعلمون ما للمخدرات من تأثير على العباد، وأنها سبيل للهلكة والدمار، والفساد والعار، فكم أزهقت من أرواح، وكم أضاعت من عقول،

(١) إلى بيته مهموماً حتى ظنوا به مريض وبعد مدة ناداه عمر فقال مالك: أبوك قال: إذا تسارعوا تشاحنوا واختلفوا ثم تخاصموا ثم لم ينتفع بهم فقال.

وكم فرَّقت من أسر، وكم أتلفت من أموال، وكم تسببت في هتك للأعراض، وسرقة للأموال، وظلم للآخرين، وهلم جرًّا.

وإن من أهم وأخص أسباب وعوامل انتشار المخدرات بين الناس ما يأتي:

أولاً: ضعف الوازع الديني لدى المتعاطي: حيث أن المتمسك بدينه يبتعد كل البعد عن التعامل بها بيعاً وشراءً وترويجاً وتهريباً، بل وتعاطياً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ومتى كان الشخص بعيداً عن ربه، مفرطاً في أوامره، واقعاً في معاصيه ففي الغالب أنه يكون قريباً من الوقوع في شباكها.

ثانياً: الفراغ: فكثيراً ممن يتعاطون المخدرات وخاصة الشباب منهم تجدهم فارغين بلا عمل، ولا بذل، واجتهاد في شؤون حياتهم، فهم أكثر عرضة للوقوع في براثنها، وقد قال النبي ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»، فكيف يليق بالمسلم أن يكون فارغاً وهو مخلوق لعبادة ربه، وحياته كلها له، ألم يسمع هؤلاء قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ثالثاً: قرناء السوء: وما أدراك ما قرناء السوء، فهم واقفون بالمرصاد لمن خالطهم وتعامل معهم، فهم يؤثرون تأثيراً عظيماً على أصحابهم وأصدقائهم، قال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»[(١)].

فكم من شاب كان لا يعرف طريق الشر، وليس له صلة به ولكنه بسبب قرين السوء وقع شيئاً فشيئاً حتى أصبح أداة هدم للمجتمع، وخاصة إذا سلك طريق المخدرات.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

رابعاً: المشاكل الأسرية: فهي من أهم أسباب وقوع بعض الأبناء في طريق المخدرات، حيث أن الخلافات الزوجية، أو الطلاق لها أثرٌ كبيرٌ في حصول الهدم للبيت والشتات للأولاد، فيكون ذلك سبباً في وقوع البعض منهم في طريق المخدرات.

خامساً: السفر إلى خارج البلاد: وهذه طامة كبرى وقع فيها بعض الشباب، ممن عايشوا واقع هذه البلاد ورأوا أحوالها وما فيها من الفتن، وتيسر الحصول على كل شيء بالمال، وقد حرص أعداء الإسلام على إغوائهم فوقع الكثير منهم في شراك العهر والمخدرات، فإذا رجع إلى بلاده بحث عنها بكل وسيلة ولو دفع كل ماله من أجل الحصول عليها.

سادساً: العمالة الوافدة: فهم ـ إلا ما رحم الله منهم ـ يأتون إلينا بعادات وتقاليد وأخلاق مخالفة لواقع مجتمعنا، وما يأتي به هؤلاء من المخدرات لبيعها داخل بلادنا وخاصة ممن يأتون من بلاد الكفر والعهر والإباحية، فعاد ذلك على شبابنا بالشر المستطير.

سابعاً: الفقر وقلة ذات اليد: فحينما لا يجد الشاب في بيته ما يكفيه لغذائه وملبسه، ولا يجد من يعينه على أمور حياته الضرورية، ولا يحصِّل فرصة العمل التي تتيح له بناء حياة كريمة يهرب من البيت إلى خارجه فتتلقفه الأيدي الآثمة الخبيثة لتوقعه في براثن المخدرات، فيتعاطى ثم يكون بائعاً ومروجاً لها بعد ذلك.

ثامناً: التقليد الأعمى ومجاملة الآخرين: وخاصة في حياة المراهقين، فهم يقلدون من يحبونه ويعتبرونه مثلهم الأعلى ولو كان من الفجار والفاسقين، ومن أسوأ صور التقليد تقليد متعاطي المخدرات، ومروجها، والذي يتاجر فيها فينساق وراء هذا التقليد حتى يجد نفسه سائراً في ركبهم واقعاً في براثنهم، فتحيط به الهموم والمشكلات، ويقع في المنكرات والمحظورات.

تاسعاً: سعي البعض وراء الأفكار الكاذبة عن المخدرات: فتجد البعض من الناس يسمعون بعض الأفكار عن المخدرات وخاصة في الجانب الجنسي، فيظن أنها تقوي الجنس وتجلب المتعة والسرور، وتلك والله أفكار كاذبة،

فالمخدارت عكس ما يتصور كل من سمع هذه الأفكار، فتجد من وقع فيها قد جلب لنفسه الحزن والشقاء، فربما خسر زوجته وأولاده، وربما جلب لزوجته الضرر العظيم الحسي والمعنوي، وأثر بحاله على أولاده فكان بئس الأب لهم.

فهذه يا عباد الله أبرز الأسباب التي تؤدي بصاحبها إلى الوقوع في براثن المخدرات وغيرها كثير.

ولو نظرنا لحال من يتعاطى المخدرات لوجدناه مضيعاً لحقوق الله من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك من العبادات، ونراه أيضاً مضيعاً لحقوق نفسه فيهلكها، ويدمر حياته بيده، ويشوه سمعته، ويترك عمله، ويضيع بيته وأولاده، ويقطع رحمه وجيرانه، وغير ذلك كثير مما يعيشه من يتعاطى المخدرات أو يتاجر فيها.

ولقد أوجب الله تعالى حفظ الضرورات الخمس، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال، والمخدرات تهدم هذه الضرورات وتقضي عليها لأن من آثارها المحسوسة أن متعاطيها يضيع الصلاة والصيام وسائر الأعمال، ويرتكب أشد المنكرات دون خجل أو حياء.

كما أنها تزهق النفوس والأرواح إذ كثيراً ما ينتحر المتعاطون، أو يقتل بعضهم بعضاً، والإحصاءات العالمية خير شاهد على ذلك.

أما تضييعها للعقل فهو معروف لكل عاقل، فمن غاب عقله فعل الأفاعيل وهو لا يدري، ومن غاب عقله هان عليه هتك عرضه، وقتل والده أو والدته، أو سرق مالهما، أو مال غيرهما، وهذا أمر مشاهد في عالم المخدارت والمتعاطين لها.

أما إتلافها للمال فحدث ولا حرج، فكم من غني بات بسبب تعاطيها فقيراً، وكم من مالك لمسكن ومركب خرج من مسكنه ونزل عن مركوبه بسببها، وكم من شاب ترك عمله وهجره بسببها، وكم بيت خَرب وتهدَّمت أركانه بسببها، وهكذا دواليك.

إخواني في الله: إن المخدرات سلاح استغله أعداء الإسلام ليحطموا به شباب المسلمين، تخديراً لهم، وشلاً لجهودهم، وإهداراً لطاقاتهم، وقبل ذلك تدميراً لدينهم وقضاءً على مستقبلهم، ومع ما ذكرنا فقد امتدت أيدي بعض من لا خلاق لهم من المسلمين لتناولها، بل والأدهى من ذلك معاونة أعداء الإسلام على ترويجها، فأظلمت حياتهم بعد البصيرة، وانطفأت بصائرهم بعد النور، وألغوا عقولهم بعد استنارتها بهدى الله، فعبدوا اللذة والشهوة المؤقتة، وأقدموا على الجريمة، فأيتموا أطفالهم، ورملوا نسائهم، وأشاعوا الفساد في الأرض بعد إصلاحها.

وإن من القصص المحزنة التي نسمعها ونراها بسبب هذه المخدرات هذه الصور التي تقشعر لها الجلود، وترتجف بسببها الأبدان، وخاصة في بلاد الكفر والإلحاد، وأيضاً فهي موجودة في بلاد المسلمين، كما ذكرت ذلك دراسات وتقارير أعدتها هيئات دولية، ومن ذلك:

- شخص وضع رأسه تحت عجلات القطار بسببها.
- وشخص قتل زميله في الدراسة ثم أسقط نفسه من الدور السابع والثلاثين.
- وامرأة قتلت طفلتها الرضيعة الوحيدة دهساً بأقدامها.
- وشخص وقع على أخته بسببها.
- وبعضهم أرخص عرض زوجته وبنته للحصول على المخدر.
- وشاب تحايل على أمه كي تجمع له مالاً ليتزوج، وكان يأخذ منها المال ويشتري به المخدرات، حتى آل الأمر به إلى أن اختل عقله وأخذ يضرب أمه، فبلغت عنه وأودع السجن متلبساً بجريمته الشنعاء.
- وشخص كان يعيش سعيداً مع أهله وأولاده، فسافر في إحدى المرات إلى بلد مشبوه، فتعرف على صديق قاده إلى الهاوية، فانساق وراء المخدرات حتى ضاع عقله وماله وأودع السجن، وأصيب بانهيار نفسي بحيث لا يعرف أحداً من أهله وأولاده.

• زوج خرج بزوجته إلى الصحراء فتناول المخدر حتى غاب عقله، ثم أخذ يطارد زوجته المسكينة حتى أمسكها وأدخل رأسها داخل السيارة ثم أغلق عليها الزجاج الخلفي بغية خنقها، ثم أدار محرك السيارة، والمسكينة تصارع لكسر الزجاج، واستطاعت بعد جهد أن تفلت منه وتأخذ مفتاح سيارته وهربت بالمفتاح في الصحراء كي لا يلحقها، وسارت طول الليل لا تلوي على شيء حتى بلغت إحدى المزارع القريبة من البلد، فأبلغت عن زوجها فقبض عليه وأودع السجن.

فكل هذه القصص وغيرها قصص واقعية، ونحن أردنا من إيرادها إيقاظ النفوس الضعيفة، وتذكير القلوب الغافلة وتنبيه العقول الشاردة التي انساقت وراء تلك المخدرات.

فعلينا أن نهتم بتربية الفرد والمجتمع على السلوك الإسلامي الصحيح كي ينجو أولادنا من براثنها، فلا يمكن التغلب على هذه المشكلة إلا بتحذير النشء منها ولزوم طريق الاستقامة، فيجب أن تكون الأسرة مصباح هداية لأبنائها، وأن تعطي القدوة الحسنة لجميع أفرادها قولاً وفعلاً.

ومن ذلك أيضاً: الحرص على الكسب الحلال، ومحاربة البطالة والفراغ: فالجميع مطالب بالعمل والكسب الحلال لمحاربة هذه الأمراض الخطيرة، فكلما كان المجتمع عاملاً مكتسباً للمال من أوجهه الحلال عاش طيباً كريماً محاطاً بعناية الله تعالى، بعيداً عن الرذائل والموبقات.

ومن ذلك: غرس القيم الإسلامية وتعميم الوعي بأضرار المخدرات: فينبغي للمسجد ووسائل الإعلام والمناهج الدراسية والأندية الرياضية والمؤسسات الاجتماعية أن يكون لهل دورٌ متميزٌ في محاربة هذه المشكلة الكبيرة.

فلو قام الجميع بدورهم الهام في نشر أضرارها، ومعرفة عقوبة متعاطيها والمتاجر فيها في الدنيا والآخرة لحرص الناس على محاربتها.

وإن من فضل الله تعالى علينا أن ولاة أمور هذه البلاد عملوا على تقويض بنائها بفرض العقوبات اللازمة في حق من يتعاطاها أو يتعامل بها،

فعلى الجميع الحرص على ذلك فالجهود لا بد أن تكون من جميع الأطراف، ولا تتكل جهة على جهة أخرى في محاربة هذه المشكلة، بل على الجميع بذل الغالي والنفيس من أجل محاربتها والقضاء عليها.



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

فهرس إجمالي للكتب

الكتاب ... الصفحة